المقاومة الفلسطينية للاحتلال الإسرائيلي في بيت المقدس 2015 – 1987

تأليف
خالد إبراهيم أبو عرفة

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

الفصل الثاني

المقاومة الشعبية والانتفاضات

المقاومة الشعبية والانتفاضات

أولاً: أساليب عامة في المقاومة الشعبية:

لقد ترك احتلال مدينة القدس سنة 1967 أثره الكبير في نفوس المقدسيين عامة، ونفوس القادة الوطنيين خصوصاً، ولم يكن باستطاعة المقدسيين أن يطلبوا النجدة من العواصم العربية، فقد كانت هذه العواصم حينئذٍ تحت نيران القصف الإسرائيلي.

هدفت سلطات الاحتلال الإسرائيلي منذ الساعة الأولى لاحتلالها مدينة القدس إلى تغيير معالمها العربية الإسلامية، واصطناع حدود جديدة لها، تخدم الغايات الإسرائيلية بتهويد وأسرلة المدينة وابتداع إرثٍ تاريخيّ يهودي فيها، والعمل على محاصرة المدينة وعزلها عن امتدادها الفلسطيني العربي والإسلامي، عبر أطواق استيطانية متعددة، وجدر فاصلة، وشبكات متشعبة من حواجز عسكرية وطرق التفافية. وصاحَبَ ذلك تهجير ممنهج لأهل القدس الفلسطينيين، واستبدالهم بمستوطنين يهود متطرفين، لتحويل القدس العربية الإسلامية إلى مدينة مفرغة من سكانها الأصليين[1].

وانتهجت قوات الاحتلال سياسة "الأمر الواقع"، فسارعت إلى إيجاد الحقائق والوقائع على الأرض، لوضع الفلسطينيين والعرب والمسلمين أمام هذا التحدي، وجعلت قوات الاحتلال لهذه الحقائق مظاهر مزعومة ثلاثة: وحدة القدس، والهدوء في القدس، والتعايش. ومن أجل تحقيق هذه المظاهر، عمدت الحكومات الإسرائيلية إلى إصدار قوانين مختلفة اعتنت بضمّ القدس إدارياً وقضائياً، والإشراف على المدارس، ومصادرة الأراضي، واعتماد القدس عاصمة لـ"إسرائيل"، والسيطرة على الأماكن المقدسة، وحلّ مجلس أمانة القدس، ومصادرة كافة ممتلكات وسجلات الحكومة الأردنية في مدينة القدس، إلى غير ذلك من الإجراءات[2].

1. مقاومة المقدسيين في الفترة 1967–1987 ووسائلها:

بالرغم من أثر الصدمة الشديدة التي تلقاها المقدسيون نتيجة احتلال المدينة، إلا أن مجموعات منهم قد قاومت الاحتلال الصهيوني بأساليب متنوعة، كان أهمها المشاركة

[1] منظمة التحرير الفلسطينية، اللجنة التنفيذية، دائرة شؤون القدس، **مرجع سابق**، ص 4.

[2] **المرجع نفسه**.

في وحدات الجيش الأردني، أو العمل ضمن خلايا صغيرة بما تملكه من أسلحة بسيطة وبدائية. وكانت أكبر مظاهر المقاومة ضدّ الاحتلال الصهيوني تكمن في بقاء المقدسيين في المدينة وعدم مغادرتها، فالكثير ممّن غادر المدينة من أهلها في أثناء الحرب لم يتمكنوا من العودة إليها عند انتهاء الحرب. وقد أكد ذلك قول بعض الإسرائيليين: "لو استطاع القادة الإسرائيليون تطبيق خططهم، لغادر "معظم" السكان العرب القدس الشرقية منذ زمن بعيد. فإسرائيل كانت تفعل كل ما هو ممكن لتشجيع —وأحياناً لإجبار— العرب في القدس الشرقية على المغادرة"[3].

وقد واصل المقدسيون مقاومتهم للقوات الصهيونية في أعقاب احتلال المدينة سنة 1967 بوسائل وأساليب شتى، تركزت في الهبّات الجماهيرية، والمسيرات، والانتفاضات، والاعتصامات، يوازيها بعض العمل العسكري[4]. وتداعت الهيئات والمؤسسات الوطنية، لاجتماع عاجل للنظر فيما يجب فعله، على صعيد المدينة المقدسة وعموم الأراضي المحتلة، وانبثق عن الاجتماع تشكيل "الهيئة الإسلامية العليا"، التي سريعاً ما أبعد الكثير من أعضائها على يد القوات الصهيونية[5].

وشهدت مسيرة النضال والمقاومة للاحتلال مدّاً وجزراً تبعاً للظروف والمناسبات والطاقات وموازين القوى، وكذلك المناخات المحلية والعربية والدولية المحيطة، غير أنها في الوقت ذاته كانت تسير باتجاه رفض واقع الاحتلال ولزوم التحرر منه. وأعلن المقدسيون موقفهم من كافة الإجراءات المتخذة بحق المدينة من قبل سلطات الاحتلال. وانبرى العديد من النخب السياسية والثقافية المقدسية يبينون خطورة هذه الإجراءات على المقدسيين، والتعدي على حقّ المقدسيين في تقرير مصيرهم، وكذلك مخالفة هذه الإجراءات لكافة المواثيق والقوانين الدولية. حيث تنص هذه المواثيق والقوانين على عدم الاعتراف بالتغيرات الإقليمية التي تنشأ بالقوة، أو التي تنشأ بشكل يخرق القانون الدولي[6].

---

[3] مازن قمصية، **مرجع سابق**، ص 173.

[4] نواف الزرو، **القدس بين مخططات التهويد ومسيرة النضال والتصدي الفلسطينية** (عمّان: دار الخواجا للنشر والتوزيع، 1991)، ص 85.

[5] **المرجع نفسه**.

[6] إبراهيم شعبان، **مجزرة الأقصى ولجنة زامير** (القدس: 1991)، ص 63.

وغلب على نهج المقاومة في تلك المرحلة فكرة استحالة التعايش مع الاحتلال، أو الوصول إلى حلول وسط أو تسويات، فقد فرضت قوات الاحتلال على المقدسيين من خلال نهجها التدميري، أن يؤمنوا بالصراع الوجودي، "إما نحن وإما هم، ولا خيار لنا إلا المقاومة"[7].

وقد حاول عدد من الناشطين الفلسطينيين تأسيس نموذج للمقاومة الشعبية السلمية خاص بالفلسطينيين، إلا أن هذه المحاولات لم يكتب لها النجاح. مثال ذلك محاولة الدكتور مبارك عوض أواخر آذار/ مارس من سنة 1983، حيث انطلق عوض في محاولته بافتتاح "المركز الفلسطيني لدراسات اللاعنف" في مدينة القدس. وقد عمل المركز في عامه الأول في مجال التعليم والتوعية، بما في ذلك ترجمة أعمال قادة حركات التحرر أمثال: المهاتما غاندي Mahatma Gandhi، ومارتن لوثر كينغ Martin Luther King، وجين شارب Gene Sharp، وعبد الغفار خان Abdul Ghaffar Khan. وتمّ عقد ورش عمل بعناوين مثل: "كيف تحصل على حقوقك دون رصاصة واحدة؟"، ووزعت كتيبات باللغة العربية بعنوان "اللاعنف في الأراضي المحتلة". وكان أول مركز ينظم زيارة للفلسطينيين إلى منازل آبائهم وأجدادهم المهجرة، وإعطاء شرح للمستوطنين القاطنين في البيت، حول تاريخ المنزل الذي يحتلونه[8].

ومن وسائل وأساليب المقاومة في الفترة 1967–1987:

أ. توقيع عرائض الاستنكار والمذكرات الاحتجاجية:

- رفض المقدسيون ضمّ الاحتلال الإداري والسياسي للمدينة، ورفضوا التخلي عن عقاراتهم وممتلكاتهم أو إخلائها، وكان هذا الرفض على صورة الاحتجاجات المتنوّعة، وإصدار البيانات والتصريحات الرافضة، وبيان حقّ المقدسيين في أن يحيوا في مدينتهم، وإرسال المذكرات الخطية والرسائل للمعنيين، بدءاً بالأمم المتحدة ومجلس الأمن، وكذلك للملوك والزعماء العرب والمسلمين، وانتهاء بمؤسسات الاحتلال المختلفة ممثلة بالحكم العسكري وغيره[9].

---

[7] بهجت أبو غربية، **من مذكرات المناضل بهجت أبو غربية: من النكبة إلى الانتفاضة 1949–2000** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004)، ص 550.

[8] مازن قمصية، **مرجع سابق**، ص 191.

[9] نواف الزرو، **مرجع سابق**، ص 87. فيما نقله المؤلف عن أمين أمانة القدس السيد روحي الخطيب في كتابه: **المؤامرات الإسرائيلية على القدس ما بين 1965–1975** (أمانة القدس، 1975)، ص 65–70.

- أصدر القضاة المسلمون والمحامون ورجال القانون مذكرات ووثائق، استنكروا فيها إغلاق سلطات الاحتلال جميع المحاكم النظامية في المدينة المقدسة والإجراءات التهويدية المتخذة ضدها. ورفض الجهاز القضائي العربي هذه الإجراءات، وامتنع العاملون فيها عن التعامل والعمل مع سلطات الاحتلال، ورفضوا الظهور أمام المحاكم الإسرائيلية، النظامية منها والعسكرية، وأكدوا هذا الرفض في عدد من المذكرات والوثائق التي رفعت للمحافل الدولية والسلطات المحتلة نفسها. وفي الوقت نفسه رفض قضاة الشرع الإسلامي في القدس التعاون مع السلطات المحتلة، وتضامن معهم جميع قضاة الشرع وأجهزة المحاكم الشرعية، ودوائر الأوقاف في الضفة الغربية[10].
- بعث "رجالات القدس" بعريضة إلى كلّ من ليفي أشكول Levi Eshkol رئيس الحكومة الإسرائيلية، وإلى الحاكم العسكري الإسرائيلي للضفة الغربية، استنكاراً لاعتزام سلطات الاحتلال مصادرة أراضٍ في المدينة، حيث جاء في العريضة: "لقد سارعنا بتقديم هذه المذكرة إليكم وغايتنا هي المحافظة على مدينتنا العربية، والطابع الذي عرفت به عبر العصور، ولننقل إليكم قلقنا البالغ إزاء ما يمكن أن يعكسه مثل هذا العمل على الجهود المبذولة لإحلال السلام العادل في المنطقة، كذلك نرغب في أن نؤكد لكم شجبنا لهذا الإجراء لأسبابٍ كثيرة"[11]. وكذلك المذكرة التي أرسلها سكان مدينة القدس إلى رئيس دائرة التسجيل وتسوية الأراضي الإسرائيلي احتجاجاً على قرار السلطات الإسرائيلية الاستيلاء على أراضي المنطقة الشمالية من القدس، وقد جاء في المذكرة: "نحن الموقعون أدناه من أهالي القدس، نعترض على قرار استملاك وحيازة الأراضي المذكورة للأسباب التالية: إننا لا نعترف بالقرار المذكور، ولا نقرّ السلطات المسؤولة باستملاك هذه الأرض، أو جزءٍ منها. وإننا نعارض بكلّ شدة الحيازة الفورية ووضع اليد أو الاستملاك من قبل أية سلطة"[12].
- كذلك استنكر رجال القدس في مذكرات وجهوها لرئيس الوزراء الإسرائيلي ليفي أشكول، قيام السلطات الإسرائيلية بإبعاد أمين القدس السيد روحي الخطيب، وفي مذكرة أخرى استنكروا قيام الجيش الإسرائيلي بأول عرضٍ عسكري في مدينة القدس، وطالبوا المقدسيين في بيانٍ وزّع عليهم بالبقاء في منازلهم وعدم الخروج في

[10] **المرجع نفسه**، ص 75.

[11] **المرجع نفسه**، ص 88.

[12] **المرجع نفسه**، ص 89.

أثناء العرض العسكري. كذلك رفعوا عريضة إلى ليفي أشكول، رئيس وزراء حكومة الاحتلال، بتوقيع "رجالات القدس"، استنكاراً لاعتزام قوات الاحتلال مصادرة أرض في القدس.

كما شجب رجال القدس في مذكراتٍ وعرائض مشابهة، كافة إجراءات الاحتلال وقوانينه، فيما يخص الضرائب والجمارك والغرامات ونحو ذلك، وطالبوا المقدسيين بالامتناع عن دفعها والتمسك بأملاكهم وعدم التخلي عنها. والأمر ذاته انطبق على إجراءات وقوانين الاحتلال المتعلقة بالصحة والتعليم وغير ذلك[13].

ب. البيانات والمنشورات:

اختصت مدينة القدس عقب احتلالها سنة 1967، عن باقي مدن الضفة الغربية بتواجد مركز للمؤسات الوطنية والسياسية، وبكثرة الشخصيات الاعتبارية الوطنية، ولهذا كان من الطبيعي أن تتبلور الكثير من المواقف السياسية الرافضة لإجراءات الاحتلال وانتهاكاته في صورة بيانات سياسية ساخنة، ومنشورات فورية تعالج الأحداث أولاً بأول[14].

وكان لهذه البيانات والمنشورات صفة التوعية والتوجيه والتحريض الفعّال في التعبئة والتصدّي للأحداث، وقيادة الجماهير وتشجيعها لرفض الاحتلال بكافة صوره، كما كانت لهذه البيانات أهدافٌ تعبوية تتمثل في توضيح الخلفية السياسية والعسكرية وراء إجراءات الاحتلال. وكذلك بيان أهداف المسيرة النضالية، المتمثلة بتعزيز صمود المقدسيين في وجه المحتل وآلته العسكرية، ورفض كافة إجراءاته وانتهاكاته، وبيان برنامج الفعاليات والنشاطات. إضافة إلى ترسيخ العلاقات والوشائج بين شرائح المقدسيين من جهة، وبينهم وبين قادة النضال من جهة أخرى[15].

ومن أمثلة هذه البيانات: البيان الذي وجهته "لجنة إنقاذ القدس" إلى المسلمين في العالم، بمناسبة عيد الأضحى المبارك سنة 1968، وبيان سماحة المفتي سعد الدين العلمي، ومطران طائفة الروم الكاثوليك، إلى قناصل الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا وبلجيكا، احتجاجاً على الاعتداءات الإسرائيلية، وبيان "لجنة التوجيه الوطني"

---

[13] **المرجع نفسه**، ص 90.

[14] **المرجع نفسه**، ص 91.

[15] **المرجع نفسه**، ص 92.

بدعوة جميع المقدسيين لتنفيذ إضراب عام، احتجاجاً على إقامة الاحتلال لأول عرض عسكري في المدينة. كذلك بيانها تنديداً بمحاولات قتل رؤساء البلديات في الضفة الغربية سنة 1980، وبيان الهيئة الإسلامية العليا في القدس حول القضاء الشرعي والوقف الإسلامي والأماكن المقدسة، وكذلك بيانها حول إحراق اليهود للمسجد الأقصى المبارك سنة 1969، إضافة إلى بيانات الفعاليات الوطنية المختلفة حول أحداث أعوام الثمانينيات، وخصوصاً غزو حكومة الاحتلال لبيروت سنة 1982، وقتالها لفصائل منظمة التحرير الفلسطينية[16].

ج. المظاهرات والصدامات:

اعتاد المقدسيون الاستجابة لمعاناة إخوانهم الفلسطينيين في كافة مواقعهم، والتفاعل مع هباتهم وانتفاضاتهم في وجه الاحتلال الإسرائيلي. إذ إن الوحدة السياسية والنسيج الاجتماعي بينهم لم تكن قد استهدفت بعد بمحاولات جدية من قبل الاحتلال. وتجمع بينهم المناسبات الوطنية والأحداث المهمة، وأحياناً يستقل فيها المقدسيون لظروف تتعلق بالشأن المقدسي خصوصاً. ومن أمثلة ذلك:

- شرع المقدسيون بإضراب في 1969/8/21، على أثر قيام مستوطن يهودي بإحراق المسجد الأقصى المبارك، وقامت المظاهرات الغاضبة، وأعلن الاحتلال فرض حظر التجول، وفي اليوم التالي عمّ الإضراب الشامل مدينة القدس والضفة الغربية وقطاع غزة، إضافة إلى الأراضي المحتلة سنة 1948، وخرجت المظاهرات بعشرات الألوف، رجالاً ونساءً، وعمّ الحزن والألم النفوس لهذا المصاب الجلل[17].
- شارك المقدسيون إخوانهم الفلسطينيين في الضفة والقطاع، في انتفاضاتهم في وجه المحتل خلال الفترة 1974–1976، رافضين سياساته واجراءاته القمعية على كل الأصعدة، وخصوصاً محاولات الاحتلال في فرض خطوات يهدف من خلالها الالتفاف على ولاء الشارع الفلسطيني لقيادة م.ت.ف، كما انتفض الشارع الفلسطيني رافضاً قانون القيمة المضافة المفروضة على التجار والبالغة 8%، وقد أعلن الفلسطينيون إضراباً تجارياً عاماً، بلغ عدد أيامه في مدينة القدس وحدها 42 يوماً[18].

---

[16] **المرجع نفسه**.

[17] **المرجع نفسه**، ص 90. فيما نقله المؤلف عن أمين القدس السيد روحي الخطيب في كتابه: **المؤامرات الإسرائيلية على القدس ما بين 1965–1975**، ص 65–75.

[18] جهاد أحمد صالح، **القوى الشعبية وقياداتها المقاومة من أجل القدس بعد حرب حزيران 1967** (عمّان: جمعية يوم القدس، 2012)، ص 20.

• أصبح يوم 30 آذار/ مارس من كل سنة، يوماً فلسطينياً وطنياً تاريخياً، يتم إحياؤه كرمز لتمسك الفلسطينيين بأرضهم، واستعدادهم للدفاع عنها. ففي 1976/3/30، هبّ الشعب الفلسطيني في معظم المدن والقرى من الأراضي المحتلة سنة 1948 ضدّ الاحتلال الإسرائيلي، وذلك في أعقاب قيام سلطات الاحتلال بمصادرة 21 ألف دونمٍ (21 كم^2) من أراضي بلدات عرابة، وسخنين، ودير حنا، وعرب السواعد وغيرها، فأُعْلِنَ الإضراب الشامل، وخرجت المظاهرات الكبيرة، وواجهت قوات الاحتلال المظاهرات بالعنف الشديد، فأطلقت النار على المتظاهرين، وقتلت منهم ستة، وجرحت العشرات، واعتقلت نحو ثلاثمئة فلسطيني[19].

د. عمليات الطعن بالسكاكين:

يشتهر هذا الأسلوب من أساليب المقاومة عادة في أوساط الشعوب تحت الاحتلال، بسبب شحّ السلاح، وقد شهدت مدينة القدس أسلوب "حرب الخناجر" نظراً للتواجد الإسرائيلي العسكري والاستيطاني المكثف، ونظراً للاحتكاك اليومي بين الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني، وكذلك للحساسية الفائقة المتعلقة بمكانة القدس في السياسة والإعلام.

وعلى مدى العشرين سنةً الأولى من احتلال المدينة، نفذ الشبان المقدسيون عشرات عمليات الطعن بالخناجر ضدّ الجنود المستوطنين داخل البلدة القديمة وخارجها، الأمر الذي أبقى الجنود والمستوطنين في حالة تأهبٍ ورعبٍ مستمرين، فضلاً عن الإرباك الدائم الذي يصيب قادة الأمن الإسرائيلي في مجابهة هذا النوع الفعال من أساليب المقاومة، حيث يصعب تفاديه[20].

هـ. العمليات المسلحة:

انبرى بعض المقدسيين في مقاومة الاحتلال بالسلاح الناري، خصوصاً وأن الفصائل المقاومة كانت ما تزال تُجمع على الكفاح المسلح، وتتنافس فيما بينها لتقديم نماذج حيّة

---

[19] قسم الأرشيف والمعلومات – مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، **المقاومة الشعبية في فلسطين**، سلسلة تقرير معلومات (26) (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2014)، انظر: http://bit.ly/2hWdGea

[20] نواف الزرو، **مرجع سابق**، ص 95. فيما نقله المؤلف عن أمين أمانة القدس السيد روحي الخطيب في كتابه: **المؤامرات الإسرائيلية على القدس ما بين 1965–1975**، ص 65–75.

في إيقاع الخسائر وسط جنود الاحتلال ومستوطنيه وممتلكاته. ولم تكن مدينة القدس بعيدة عن متناول السلاح، بل كانت الطريق الذي يعبر منه فلسطينيو شمال الضفة الغربية إلى جنوبها وبالعكس، ومنها باتجاه غور الأردن وبالعكس. وهنا نبذة عن بعض هذه العمليات المسلحة:

- قامت مجموعة من الشباب المقدسيين بتنفيذ 18 عملية عسكرية خلال فترة زمنية قصيرة، إذ وضعوا سبع عبوات ناسفة ليلة 1968/8/18، وهو يوم مناسبة يهودية سنوية، في أماكن متفرقة في غرب القدس، وكان ذلك احتجاجاً على الممارسات الإسرائيلية، وعلى زيارة الوسيط الدولي يارينغ لمدينة القدس في حينه. ثم قامت المجموعة ذاتها من الشباب في 1968/9/4، بوضع أربعة ألغام كبيرة في قلب المحطة المركزية في تل أبيب. وقد عرفت العملية الأولى بـ"ليلة القنابل"، بينما عُرفت الثانية بـ"المحطة المركزية"، وقد أسفر انفجار تلك العبوات والألغام وفقاً لاعتراف السلطات عن قتل 8 إسرائيليين، وإصابة قرابة 125 إسرائيلياً بجروح. كما نفذت مجموعة أخرى عمليات متفرقة إضافة إلى هاتين العمليتين الكبيرتين[21].
- ووقعت في المدينة عملية كبيرة بعد ذلك بأشهرٍ قليلة عُرفت باسم "الثلاجة" في سوق محانيه يهودا، وهزت في حينه القيادة والشارع الإسرائيليين، حيث قام عدد من المقدسيين بتفجير "ثلاجة" مليئة بالمتفجرات في وسط السوق، ممّا أدى إلى مقتل ثمانية إسرائيليين وإصابة عددٍ آخر[22].
- نفذت المقاومة الفلسطينية عشرات العمليات المسلحة المتنوعة، ما بين وضع عبوات ناسفة، أو إطلاق النار، أو إلقاء قنابل حارقة أو يدوية. وأشارت دراسة إسرائيلية إلى تنفيذ المقاومة 29 عملية عسكرية بين سنة 1980 وآذار/ مارس من سنة 1990، فيما أشارت دراسة أخرى إلى أن المقاومة تركزت عقب احتلال المدينة سنة 1967 وخلال سنوات السبعينيات في القدس الغربية، ثم توسعت في سنوات الثمانينيات والتسعينيات فشملت المنطقة المسمّاة "خطّ الهدنة" التي تفصل شرق المدينة عن غربها، وشملت كذلك المستوطنات الواقعة شرقي المدينة، إضافة للبلدة القديمة من المدينة[23].

---

[21] **المرجع نفسه**، ص 94.

[22] **المرجع نفسه**.

[23] جادي فارن وآخرون، **التعامل مع الإرهاب في مدينة القدس 1967–2002** (معهد القدس للدراسات الإسرائيلية، 2005)، ص 24.

واعترفت المصادر الإسرائيلية بتنفيذ المقاومة الفلسطينية 5 عمليات عسكرية خلال سنة 1967، و24 عملاً عسكرياً في سنة 1968، وتراوحت معظمها ما بين إطلاق نار، وزرع مواد متفجرة، وإلقاء عبوات ناسفة، أما أبرز العمليات فكان انفجار مركبة مفخخة وسط شارع يافا المكتظ باليهود، في 1968/11/22، حيث قتل 12 يهودياً وجرح العشرات[24].

وقد حصل انخفاض ملحوظ لنشاطات المقاومة العسكرية في سنوات السبعينيات —حسب المصادر الإسرائيلية السابقة— ثم عادت بعد حرب سنة 1973 بين المصريين والإسرائيليين لتشهد ارتفاعاً نسبياً في أعمال المقاومة. وكانت معظم هذه الأعمال باستخدام العبوات الناسفة. وبلغت الإصابات في صفوف المستوطنين في مدينة القدس خلال العقد الأول من الاحتلال، قريباً من 350 إصابة بين قتلى وجرحى، بينما انخفض مجموع الإصابات بين اليهود في العقد الثاني إلى 300 إصابة تقريباً[25].

2. ظاهرتان: الرباط والصمود:

أ. ظاهرة الرباط:

يفخر المقدسيون بمقاومة الاحتلال من خلال "الرباط والمرابطة"، وأن يقال لهم "المرابطون"، وهي الصفة التي صار القاطنون في مدينة القدس يوصفون بها بشكل عام، كونهم يواجهون سياسات الاحتلال وإجراءاته. وأطلق تعبير الرباط أواخر التسعينيات من القرن العشرين على المعتكفين في المسجد الأقصى في مواجهة اقتحامات الاحتلال أو المستوطنين، ثم غدا هذا التعبير يطلق على كافة المقدسيين الرازحين تحت آلة الاحتلال القمعية.

وتعبير "الرباط" توجيه قرآني ونبويّ شريف، يوافق معنى الصبر ويلازمه أحياناً، جاء في الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[26]. وهو كذلك تعبير مقرون بالمقاومة والجهاد، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ

[24] **المرجع نفسه**.

[25] **المرجع نفسه**، ص 27.

[26] **القرآن الكريم**، سورة آل عمران، الآية 200.

وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[27]، وقوله: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾[28]. كذلك جاء في السنة النبوية قوله ﷺ: "رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها، وموضعُ سوط أحدكم في الجنة خيرٌ من الدنيا وما عليها، بل هو خيرٌ من صيام شهر وقيامه، ورباط شهر خيرٌ من صيام الدهر"[29].

1. يومٌ وليلة من الرباط:

يعيش المقدسيون والمصلون أحياناً كثيرة يوماً وليلة من الرباط أو أياماً متواصلة داخل المسجد الأقصى، بتحضير مسبق من قبلهم أو بشكل طارئ. مثال ذلك ما حصل يومي 13–2015/9/14، وهو الشهر الأكثر انتهاكاً للمسجد الأقصى خلال "عيد المظلة" "السوكوت Sukkot" العبري؛ الذي يتخذه المستوطنون ذريعة لاقتحام المسجد، حيث قرّر عشرات المقدسيين الرباط ذلك اليوم منعاً للمستوطنين الذين أعلنوا نيتهم اقتحام المسجد، والقيام بتراتيل وشعائر تلمودية. وقد قامت صباح الأحد 2015/9/13 وحدات الشرطة الإسرائيلية، بشكل مباغت باقتحام المسجد الأقصى، مسنودة بعشرات أفراد المخابرات والوحدات الأخرى المساندة، التي انتشرت في ساحات المسجد وأروقته ومصاطبه، وشرعت بإطلاق القنابل المسيلة للدموع وقنابل الصوت، ثم صارت تطلق الرصاص المطاطي تجاه جمهور المصلين الذين تحوّلوا تلقائياً لمرابطين مقاومين، ثم انهالت وحدات الاحتلال المختلفة بالضرب بالهراوات على كل كبير وصغير يواجهها. أعاد المرابطون اصطفافهم على الفور، ودخلوا إلى المسجد القبلي ليتمركزوا فيه وليتخذوه قاعدة ومخبأ ومأمناً، الأمر الذي استدعى قوات الاحتلال ليطلبوا مزيداً من عناصر الشرطة والقناصة والمستعربين، الذين اعتلوا أسطح المسجد ونوافذه، فأحكموا الحصار على المرابطين واقتحموا عليهم المسجد في سابقة غير مألوفة، واستهدفوا أبواب المسجد ونوافذه وزخارفه بالقنابل والرصاص والتخريب المتعمّد[30].

قام المرابطون داخل المسجد بمقاومة وحدات الشرطة المختلفة بكافة الوسائل المتاحة، فقذفوا عناصرها بالحجارة المخزونة سلفاً داخل حجيرات المسجد، وكذلك بالزجاجات

---

[27] **القرآن الكريم**، سورة الأنفال، الآية 60.

[28] **القرآن الكريم**، سورة الأنفال، الآية 11.

[29] رواه البخاري ومسلم.

[30] رأس السنة العبرية: المسجد الأقصى يشتعل والمرابطون يخمدون حريقه، وكالة كيوبرس الإخبارية، 2015/9/13.

الفارغة وبقايا قطع الأخشاب المركونة. إلا أن الأعداد المتزايدة من عناصر الشرطة أتاحت لهم اعتقال عدد من المرابطين، ومطاردة آخرين نحو أبواب المسجد الخارجية. أما المرابطون خارج المسجد والممنوعون من الدخول بهدف إتاحة الشرطة الإسرائيلية للمستوطنين اقتحام المسجد وساحاته، فقد رفضوا أوامر الشرطة بالانصراف، ورابطوا على الأبواب وهم يهتفون ويكبّرون[31].

مؤسسة الأقصى للوقف والتراث رصدت مشهد ووقائع الرباط ليلة الإثنين 2015/9/14 في المسجد القبلي، حيث قرّر عشرات المقدسيين الرباط أيضاً ليلة الإثنين، وشارك في الرباط المئات من فلسطينيي الأراضي المحتلة سنة 1948، تحسباً من قيام قوات الاحتلال الإسرائيلي بمنع المقدسيين من الدخول للمسجد نهار اليوم التالي، بهدف إتاحة الاحتلال الفرصة للمستوطنين الاستفراد بالمسجد في ساعات النهار[32].

قضى المرابطون ليلتهم تلك في التسبيح والتهليل وقراءة القرآن. قال أحد المرابطين: "لم يكن النوم يعرف سبيلاً إلى عيوننا، فكنا نستريح قليلاً بعد أدائنا الصلوات الخمس، ثم ننتشر في مواقع متفرقة من المسجد، بينما يبقى عدد من المعتكفين والمرابطين مستيقظين، تحسباً لأي طارئ". وأضاف آخر: "كان رجال الشرطة الإسرائيليون ينشرون في ساعات الليل الوعيد والتهديد بإخراجنا بالقوة من المسجد، ولكننا لم نكن نلقي لهم بالاً، ونمضي مواصلين اعتكافنا طوال الليل، فيما تحاول الشرطة اعتقال من يخرج إلى الساحات لقضاء حاجته أو تجديد وضوئه، ولكن بحمد الله تمكنا من ابتكار أساليب لنجدد بها وضوءنا ونقضي حاجتنا"[33].

ثم قام المصلون المرابطون صباحاً بإغلاق أبواب الجامع القبلي المسقوف داخل الأقصى، فيما استمرّ احتشاد قوات الاحتلال عند الأبواب الخارجية، مهدّدة بإلقاء القبض على كل معتكف يرابط في المسجد الأقصى. وهكذا دواليك، في أحداث مشابهة وعديدة[34].

---

[31] المرجع نفسه.

[32] رغم إجراءات الاحتلال: الرباط في الأقصى يتواصل على مدار الساعة، صحيفة **الحياة الجديدة**، رام الله، 2015/9/14.

[33] **المرجع نفسه**.

[34] **المرجع نفسه**.

2. وسائل المرابطات في المقاومة:

برز دور النساء المقدسيات في المسجد الأقصى بشكل جليّ سنة 2013، حيث انتظمن في حلقات الدراسة في مشروع "مصاطب العلم في المسجد الأقصى"، وقامت مؤسسة عمارة الأقصى والمقدسات، التابعة للحركة الإسلامية في الأراضي المحتلة سنة 1948، بالإشراف على هذا البرنامج التعليمي[35]. ثمّ تطوّر دور المرابطات فصرن يحرصن على الحضور المكثف داخل المسجد الأقصى وساحاته، ردّاً على الاقتحامات المتكررة التي ينفذها المستوطنون اليهود للمسجد، مصحوبة بعناصر عديدة تابعة للأجهزة الأمنية الإسرائيلية. وقد تجلى دور المرابطات في عدد من الفعاليات أهمها:

- **مواجهة وإعاقة المستوطنين:**

إذ حرصت المرابطات المقدسيات على القدوم إلى المسجد الأقصى المبارك مع ساعات الصباح الباكر، بهدف استباق المستوطنين في اقتحامهم للمسجد، والتمكن من صدهم أو إعاقة تقدمهم، وتتحلق المرابطات في ساحات المسجد لتلقي أصناف العلوم التربوية والتثقيفية، إضافة إلى مدارسة القرآن الكريم انتظاراً لاقتحامات المستوطنين وصدّها وإعاقتها[36]. وبمجرد اقتحام المستوطنين وعناصر الأمن الإسرائيلي لبوابات المسجد الأقصى، تصطف المرابطات في مواجهتهم ويصرخن في وجوههم بالهتافات والتكبير، ويحاولن صدهم وحرف مسارهم والتشويش عليهم، وكذلك منعهم من أداء شعائرهم وتراتيلهم التلمودية[37].

قالت السيدة زينة عمرو، إحدى مدرسات المشروع: "تجلس طالبات مصاطب العلم في المنطقة الأكثر حساسية بالنسبة لاقتحامات المستوطنين، أي باب المغاربة الذي يضخ يومياً عشرات المستوطنين، بالتالي فطالبات المصاطب أول من يرين المستوطنين المقتحمين للمسجد وأول من يتصدين لهم"[38].

---

[35] هنادي قواسمي، حارسات الأقصى: نساء يتصدرن مقاومة المعتدين على المسجد، موقع مدونة هنادي توك الإلكترونية، 2014/8/30، انظر: https://hanaditalk.wordpress.com/2014/08/30/alaqsawomen/

[36] هنادي الحلواني، مؤتمر "انتفاضة القدس واقع ومآلات"، جامعة بيرزيت، رام الله، 2015/11/2.

[37] المرجع نفسه.

[38] هنادي قواسمي، حارسات الأقصى: نساء يتصدرن مقاومة المعتدين على المسجد، مدونة هنادي توك الإلكترونية، 2014/8/30.

• صراع البطاقات:

استخدمت سلطات الاحتلال سياسة حجز بطاقات السيدات المرابطات كشرط لدخولهن المسجد الأقصى، فقاومت المرابطات هذه السياسة بتسليم بطاقاتهن بهدف الدخول إلى المسجد وأداء دورهن في صدّ المستوطنين، وبقصد إرباك شرطة الاحتلال والتشويش عليها. وعلى أثر ذلك قامت شرطة الاحتلال بإيداع البطاقات على مخافر متباعدة، وتوجيه المرابطات إليها بقصد إرهاقهن وتخويفهن واستجوابهن. وكثيراً من الأحيان ما انتهت هذه الوقائع باعتقال المرابطات واحتجازهن، بتهمة محاولة الاعتداء على الشرطة أو إعاقة عملهم. إلا أن المرابطات قاومن هذه السياسة بالصبر والثبات ورباطة الجأش[39].

وقد اعتقلت قوات الاحتلال خلال كانون الثاني/ يناير من سنة 2015، 25 سيدة وفتاة مقدسية، من بينهن 23 اعتقلن من داخل المسجد الأقصى المبارك أو في أثناء مغادرته، ووجهت إليهن السلطات اتهامات تتعلق بالتكبير والتصدي للمستوطنين المقتحمين، أو إعاقة عمل الشرطة، وحكمت عليهن محكمة الاحتلال بالإبعاد عن المسجد الأقصى ما بين 15–30 يوماً. وفي 2015/8/10، أعلنت سلطات الاحتلال عن المرابطات الصادر بحقهن أحكاماً بالإبعاد عن المسجد الأقصى لفترات متفاوتة كمحظورات من الاقتراب أو الدخول إلى المسجد، وأنهن ضمن "القائمة السوداء"، وأدرج الاحتلال في هذه القائمة أسماء ستين امرأة وفتاة، بينما قاومت المرابطات وأنصارهن من المقدسيين هذه التسمية واستبدلوها باسم "القائمة الذهبية"، الأمر الذي أعطى تحرك المرابطات زخماً إضافياً في مواجهة الاحتلال[40].

• الوقوف والاحتجاج أمام بوابات الأقصى:

قامت المرابطات المبعدات عن المسجد الأقصى، اللواتي صدر بحقهن بشكل متكرر قرارات بالإبعاد عن المسجد الأقصى لأسابيع أو أشهر، بالتواجد فرادى أو بشكل جماعي أمام بوابات المسجد بشكل يومي أو أسبوعي، رافضات لقرارات الإبعاد وأوامر شرطة الاحتلال التي تحتجز بطاقاتهن الشخصية عند دخولهن إلى المسجد.

---

[39] مقابلة أجراها الباحث مع جمان أبو عرفة، إعلامية مقدسية، 2015/11/10.

[40] محمد أبو الفيلات، نساء "القائمة الذهبية".. صمود على أبواب "الأقصى"، المركز الفلسطيني للإعلام، 2015/11/15.

واتخذت المرابطات عدداً من الأبواب كموقع احتجاج، وتحديداً باب الأسباط، أو باب المجلس، أو باب السلسلة[41].

وقالت السيدة هنادي الحلواني، إحدى المعنيات بمصاطب العلم قبل أن تحظر سلطات الاحتلال هذه المصاطب: "بعض المرابطات ممن اعتقلن تمّ الإفراج عنهن مقابل الإبعاد عن الأقصى لفترات مختلفة، وتفضّل بعضهن البقاء في السجن لبضعة أيام على القبول بالإفراج المشروط بالإبعاد"[42].

ورفعت المرابطات لافتات تتهم مؤسسات الاحتلال بالظلم والعنصرية، وتطالب شرطة الاحتلال بحقهن في حرية العبادة، ولبسن قمصاناً كتبت عليها: "أنا مبعدة عن المسجد الأقصى"، وقمن بالهتاف المتواصل بالقرب من عناصر الأمن الإسرائيلي، حيث تشير الهتافات إلى حقهن في المسجد وأن المحتلين اليهود لا حقّ لهم فيه، وأن المرابطات يفدين المسجد والقدس بأرواحهن، وأنهن لا يخفن الاحتلال ولا قراراته. وعلى رأس الهتافات هتاف "الله أكبر"، الأمر الذي ترتب عليه إصدار شرطة الاحتلال قراراً بحظر هذا الهتاف، وعلى إثر هذا الحظر قامت الشرطة باعتقال سبع مرابطات في 2014/10/23، وأصدرت قرارات بإبعادهن عن المسجد الأقصى[43]. وبالرغم من تعرض المرابطات لكافة أشكال التضييق من قبل شرطة الاحتلال، التي قامت بدفعهن، وشتمهن، وليّ أذرعهن، وإيقاعهن أرضاً، وكذلك بسحلهن وضربهن وجذبهن بقوة من ملابسهن وأغطية رؤوسهن ممّا تسبب بسقوط الحجاب عنهن، بالرغم من ذلك كله، إلا أن المرابطات أبدين تحدياً كبيراً لعناصر الأمن والشرطة الإسرائيلية، وتجمعن مقابل عناصر الأمن، عاقدات أيديهن بشكل متراص، وهتفن بصوت عالٍ بالتكبير والوفاء للقدس والأقصى[44].

• مخاطبة الرأي العام:

حيث أنشأت المرابطات منظومة متعددة العناوين على شبكات التواصل الاجتماعي، من أجل الدعوة إلى التضامن معهن، وإيصال رسائلهن إلى الرأي العام، وللتنسيق فيما

---

[41] مقابلة أجراها الباحث مع جمان أبو عرفة، 2015/11/10.

[42] هنادي قواسمي، حارسات الأقصى: نساء يتصدرن مقاومة المعتدين على المسجد، مدونة هنادي توك الإلكترونية، 2014/8/30.

[43] مقابلة أجراها الباحث مع جمان أبو عرفة، 2015/11/10.

[44] هنادي الحلواني، مرجع سابق.

بينهن إزاء الخطوات المطلوبة في مواجهة قوات الاحتلال والمستوطنين. وتواصلت المرابطات مع وسائل الإعلام والقنوات الفضائية، واستجبن لدعوات عديدة في كلّ من الأردن وقطر وتركيا، لإلقاء المحاضرات والمشاركة في الندوات التي تعرض قضية انتهاكات الاحتلال والمستوطنين للقدس والمسجد الأقصى. كذلك أرسلت المرابطات برسائل مناشدة إلى جهات مسؤولة عدة، بقصد الضغط على حكومة الاحتلال وإحراجها، وشملت الرسائل جهات خارجية كعاهل الأردن والرئيس التركي.

وكان وزير جيش الاحتلال موشيه يعلون Moshe Ya'alon قد أصدر بداية أيلول/ سبتمبر من سنة 2015، قراراً يقضي بحظر ما أسماه تنظيمي "المرابطين والمرابطات" في المسجد الأقصى، والإعلان عنهما كـ"تنظيمين غير قانونيين"، هدفهما الإخلال بالأمن العام ومنع اقتحام المستوطنين للمسجد[45].

ب. ظاهرة الصّمود:

الصمود مصطلح محلي "دارج" ومشهور، في وصف التحدي المقدسي للانتهاكات والإجراءات الإسرائيلية اليومية ومقاومتها على كافة الصعد. ويعني المقدسيون بالصمود، الصبر والتحدي اللذين يرافقان الثبات على الموقف الوطني المتمسك بالحقوق، وعدم التنازل عن اتخاذ الوسائل المستطاعة لأشكال المقاومة مهما بلغت التضحيات، وهذا بدوره يستدعي وعياً ناضجاً وإيماناً قوياً، ويرى المقدسيون أنهم استطاعوا الصمود والثبات والمقاومة، وأنهم ما يزالون يشكلون رقماً صعباً وكبيراً في المدينة، بالرغم من مرور حوالي نصف قرن على احتلالها، وبالرغم من اعتماد الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، أعتى وأقسى وسائل الاضطهاد والحصار والعنصرية والتطهير العرقي. ويسلط هذا الكتاب الضوء على نماذج من صور الصمود لدى المقدسيين ومنها:

1. صمود عائلة فلسطينية في البلدة القديمة:

وصفت الباحثة والصحفية المقدسية جمان أبو عرفة أهل بيتٍ في البلدة القديمة، في جوار المسجد الأقصى المبارك، وتشرح معاني الصمود والتحدي في حياتهم اليومية، فقالت: "أن يسكن المقدسي وعائلته في بيت يبعد أمتاراً عن المسجد الأقصى، فتلك

[45] حصاد 2015: تصعيد خطير في الأقصى... ارتقاء 34 شهيداً في القدس.. اعتقال 2297 مقدسياً، موقع مركز معلومات وادي حلوة – سلوان، القدس، 2016/1/1، انظر:
http://www.silwanic.net/index.php/article/news/66196/ar

نعمة عظيمة، وأن تكون شرفة ذلك البيت تطل على ساحة المسجد الغربية المسماة "ساحة البراق"، فذلك أوفر حظاً وشرفاً، ولكن لهذه النعمة في القدس ضريبة باهظة، يدفعها من اختار الصمود والرباط". ففي لقاء الباحثة أبو عرفة مع المقدسي عماد أبو خديجة (54 عاماً)، صاحب البيت الملاصق لباب السلسلة، ويطل على ساحة البراق من الجهة الجنوبية، أكد أبو خديجة أن حجم معاناته وعائلته اليومية تعادل حجم النعمة التي ينعم بها، كونه جاراً للمسجد الأقصى، فآلات المراقبة الاحتلالية المثبتة فوق باب منزله تستقبله فور دخوله، ليمشي بعدها في ممر ضيق يفضي إلى غرف أكثر ضيقاً، امتلأت جدرانها بالتشققات والرطوبة[46].

وعن سبب وضع بيته المتردي قال أبو خديجة: "يمنعني الاحتلال من ترميم البيت، وأواجه الكثير من المتاعب ولا أستطيع إصلاحها، كل شيء هنا مراقب". وفي داخل بيته شرفة صغيرة هي بمثابة متنفس البيت، أحاطه الاحتلال بشباك حديدية، ومراقبة دائمة. ويبرر الاحتلال حصاره المشدد لهذا المنزل الصغير، أن شرفة المنزل تطل على "الكوتيل"، أي ساحة البراق. "عندما يزورني ضيوف، عليّ استصدار إذن من الاحتلال في حال رغبت أن أجلس مع ضيوفي على الشرفة، وكذلك في حال أرادت زوجتي أن تنشر الملابس المغسولة"، قال أبو خديجة مستهجناً[47].

وقام عدد من جنود الاحتلال ليلاً بمهمة المناوبة فوق شباك بيت أبو خديجة، وهم يتضاحكون ويتلفظون بكلمات نابية، إمعاناً في إزعاج أهل البيت، ثم أتى صباحاً عشرات المستوطنين ومروا أمام البيت ونوافذه في طريقهم لاقتحام المسجد الأقصى وهم يهتفون بترانيم تمجد ما يسمى بـ"جبل الهيكل"، وأخرى تحقر من قيمة العرب والمسلمين. ويرفض أبو خديجة بيع حانوته الصغير الذي ورثه عن أبيه وجده، كما يرفض "ملايين الدولارات" التي تعرضها عليه المنظمات الصهيونية الاستيطانية مقابل بيته وحانوته، "إنهما روحي وحياتي، ولن أفرط بهما مهما كلفني ذلك من ثمن، العيش هنا ليس يسيراً، ويضيق اليهود المحتلون علينا بكافة الوسائل حتى نترك القدس والأقصى، ولكن هيهات"، قال أبو خديجة[48].

---

[46] جمان أبو عرفة، فاتورة باهظة للعيش في بيت يلاصق الأقصى، المركز الفلسطيني للإعلام، 2015/4/28.

[47] المرجع نفسه.

[48] المرجع نفسه.

وما قيل في عائلة أبي خديجة يُقال في مئات العائلات المقدسية داخل البلدة القديمة وخارجها، أو الذين عزلتهم قوات الاحتلال داخل جدار الضم والتوسع العنصري أو خارجه.

2. نشاطات أهلية وشعبية لتعزيز الصمود:

حيث تقوم بعض الجهات الأهلية الفلسطينية والرسمية، بإقامة النشاطات المختلفة في مدينة القدس، بهدف ما تراه "تعزيزاً لصمود المقدسيين"، ومقاومة للمخططات الإسرائيلية الهادفة إلى إذابة الهوية الفلسطينية، وإحلال الهوية العبرية أو المشوّشة بدلاً منها، وصولاً إلى نزع روح الأصالة الوطنية من الوعي الفلسطيني. لذا تبادر بعض المؤسسات والجمعيات الخيرية بين الحين والآخر، إلى الاحتفاء بما له علاقة بمعيشة المقدسيين وتراثهم وتقاليدهم، فتقيم المهرجانات المتعلقة بالزيّ والملبوسات الفلسطينية، أو بالمسكن وأثاثه وأدوات المعيشة فيه، وكذلك تقاليد الدبكة والأهازيج والزجل، أو ما له علاقة بأصناف الطعام والمأكولات المختلفة التي يحتفل المقدسيون بها في مواسمها المختلفة.

وفي مثال على ما سبق، رعت "جمعية التنمية والثقافة العربية" في 2012/5/27، مهرجاناً لإقامة "أطول مائدة للغذاء العضوي خالٍ من اللحوم" في مدينة القدس، وقد شارك في المهرجان شخصيات وطنية واجتماعية ورسمية ترأسها رئيس حكومة فلسطينية سابق، وأعلنت المؤسسة عن هدفها من هذا المهرجان المتمثل في "إبراز الثقافة الفلسطينية في القدس، والتصدي لسياسات طمس عروبة المدينة المقدسة وإضعاف الوجود العربي فيها"، إضافة إلى رغبتها في تسجيل هذا النشاط في موسوعة غينيس Guinness العالمية[49].

ومن منطلق اختلاف الآراء في المجتمع المقدسي، فقد قوبلت بعض الجهود والنشاطات السابقة، وتحديداً المثل المذكور آنفاً، انتقاداً من قبل آخرين رأوا فيه تشويهاً لمعاني المقاومة وتعزيز الصمود. وتساءلوا عن كيفية تعزيز هذه النشاطات لصمود المقدسيين الذين هدمت بيوتهم، أو هُجروا خلف الجدار، أو سحبت هوياتهم وصودرت عقاراتهم وممتلكاتهم، أو كيف يكون التعزيز في وجه سياسات الاحتلال بتدنيس المساجد

[49] القدس تستعد لـ(غينيس) بأطول مائدة غذاء صحي، موقع العربية.نت، 2012/5/27، انظر:
https://www.alarabiya.net

والمقدسات، وأشار المنتقدون إلى فائدة هذا النشاط صحياً وغذائياً، ونفوا أن يكون له علاقة بمعاني الصمود والمقاومة[50].

3. خيام الاعتصام:

لا يكاد حيّ أو قرية أو شارع في مدينة القدس، إلا وشهد خياماً للتحدّي والصمود في وجه سياسات الاحتلال، الهادفة إلى مصادرة الأراضي، أو هدم البيوت، أو تهجير السكان، أو بناء الجدار العازل. كما لا يكاد حيّ أو قرية أو شارع إلا وشهد خياماً للعزاء بالشهداء، أو غير ذلك من المبررات التي دفعت بالمقدسيين لانتهاج أسلوب خيام الاعتصام والاحتجاج والصمود.

إلا أن أحياءً بعينها قد شهدت تواصلاً في نصب الخيام يكاد لا ينقطع، ومن هذه الأحياء: الشيخ جراح، وسلوان، والطور، والعيسوية، وبيت صفافا، وجبل المكبر، وكذلك أحياء راس خميس، والزْعَيّم، وقريتي أبو ديس والعيزرية، وأراضي عرب الجهالين.

ولم تتوصّل قوات الاحتلال بالرغم من اتباعها لكافة أشكال البطش والملاحقة، إلى الحدّ من ظاهرة خيام الاعتصام والصمود المقدسية، بل حاولت في كثير من الأحيان غضّ الطرف والابتعاد عن موقع الخيام، تفادياً لما يسببه وجود القوات من إثارة لحماس وغضب المعتصمين. وبدا هذا واضحاً في أثناء نصب خيام الشهداء الذين يسقطون في أعقاب دعسهم أو قتلهم للجنود أو المستوطنين، وفي ذلك إشارة إلى التعاطف الكبير الذي يبديه المقدسيون لهذا الصنف من الشهداء.

وقد حقق المقدسيون أغلب أهدافهم من تشييد الخيام المتمثلة في الإبقاء على روح التحدّي والصمود لدى المقدسيين، وتعزيز ونشر الرواية الفلسطينية عن حقّ المقدسيين في الأرض والممتلكات والمقدسات، وكذلك إعادة بناء الخيام كلما تعرضت للهدم، في إشارة إلى الإصرار وعدم التنازل عن الحق الفلسطيني مطلقاً.

[50] هنادي قواسمي، القدس ومعركة الوجود العربي: المهرجانات أنموذجاً والطعام سلاحاً، مدونة هنادي توك الإلكترونية، 2012/5/28، انظر: https://hanaditalk.wordpress.com/2012/05/28/1328/

أ. أمثلة على خيام الاعتصام:

1. خيمة اعتصام جبل أبو غنيم: التي نصبت للاحتجاج على إعلان الاحتلال، عن نيته إقامة مستوطنة هار حوماه Har Homa الإسرائيلية على منطقة جبل أبو غنيم جنوب القدس، ما بين سنتي 1996–1997، بهدف إكمال الطوق الاستيطاني حول القدس، والفصل بين الأحياء العربية في صور باهر وأم طوبا وبين مدينة بيت لحم جنوباً. وضمت الخيمة فلسطينيين وأجانب على مدار الساعة ولمدة أشهر. وقام "المركز الفلسطيني للتقارب بين الشعوب"، الذي نشط جنوب القدس في أثناء الانتفاضة الأولى (1987–1993)، برعاية الخيمة ونشاطاتها. إضافة إلى نشطاء مقدسيين[51].

2. خيمة اعتصام بيت حنينا: التي نصبها مقدسيون ومتضامنون من الداخل الفلسطيني بمبادرة من الدكتور عزمي بشارة، على أراضي بيت حنينا القديمة شمال المدينة، في الأول من آب/ أغسطس 2008، وذلك احتجاجاً على تجريف أراضي المنطقة واقتلاع أشجارها.

3. خيمة أم كامل: التي نصبها المقدسيون سنة 2008، في حي الشيخ جراح، احتجاجاً على استيلاء المستوطنين اليهود على جزء من البيت الخاص بالحاجة أم كامل الكرد سنة 2000، وقد تبع ذلك اعتداء المستوطنين على العائلة طيلة ثماني سنوات، حيث قررت العائلة نصب خيمة في جوار البيت سنة 2008 وطلب المعونة والمساعدة من الرأي العام، وقد هدم الاحتلال الخيمة سبع مرات، وأعادت العائلة بناءها في كل مرة. وقد نصبت بجوار خيمتها، خيمتان؛ إحداهما لعائلة ناصر الغاوي، والثانية لعائلة ماهر حنون أواخر سنة 2009، وهم جيرانها الذين طردتهم سلطات الاحتلال من بيوتهم، بحجة أن ملكيتها تعود لمستوطنين إسرائيليين[52].

4. خيمة حيّ البستان: نصب الأهالي في بلدة سلوان، جنوب المسجد الأقصى المبارك خيمة اعتصام في شباط/ فبراير من سنة 2009، احتجاجاً على نية سلطات الاحتلال هدم 88 منزلاً في أرض البستان وسط البلدة. وقد تكفلت مؤسسات الحركة الإسلامية في الداخل الفلسطيني برعاية الخيمة وتوفير مستلزماتها. وشهدت الخيمة منذ

---

[51] مازن قمصية، **مرجع سابق**، ص 237.

[52] أم كامل.. سفيرة الصمود في القدس، الجزيرة.نت، 2010/5/11، انظر:
http://bit.ly/2hKhSzy

تأسيسها مؤتمرات صحفية، وندوات تثقيفية، ومعارض للصور والفعاليات المختلفة، حول الاعتداءات التي تقوم بها سلطات الاحتلال على أحياء سلوان ومدينة القدس. كما استقطبت وفوداً عامة وخاصة، وكان للخيمة أثرٌ كبير في إيقاظ الوعي الوطني ومقاومة سياسات الاحتلال في سلوان خاصة والقدس عامة. وما تزال الخيمة تشهد صلوات الجمعة منذ نصبها، وتحولت في مناسبات وطنية مختلفة إلى ساحة مواجهات مع قوات الاحتلال، التي حاصرت الخيمة وأطلقت القنابل المسيلة للدموع والرصاص المطاطي، ما أدى إلى إصابة العشرات بحالات إغماء، إضافة إلى اعتقال عدد من المتظاهرين[53].

5. خيمة دار صلاح: نصبت عائلة صلاح خيمة اعتصام في بلدة بيت صفافا جنوب غرب مدينة القدس. احتجاجاً على استيلاء المستوطنين على منزل العائلة، وفي أعقاب قرار المحكمة الإسرائيلية بلزوم إخلاء عائلة صلاح لمنزلها في 2009/12/5، وقد تلى ذلك مصادرة قوات الاحتلال لمصدر رزق العائلة المكون من 120 رأساً للغنم، بحجة تلويثها للبيئة. وقد استمع كاتب هذه السطور في 2010/5/13 إلى الحاج أبو إسماعيل صلاح، وهو يقول: "لن نخرج من المنزل، يا موت يا حياة، فنحن أصحاب الأرض نعيش فيها منذ 62 عاماً مدافعين عنها ومتشبثين بها. وأضاف صلاح: "لقد زرعت الصبر بأرضي منذ عشرين عاماً، لقد أخرجوني من منزلي وهذا ليس عدلاً، ولا أشكو همي إلا الله سبحانه وتعالى"[54].

6. خيمة اعتصام النواب المقدسيين: التي نصبها النائبان أحمد عطون ومحمد طوطح، إضافة إلى وزير شؤون القدس السابق خالد أبو عرفة[55]، في مقر اللجنة الدولية للصليب الأحمر في حيّ الشيخ جراح، بين 2010/7/1–2012/1/23، احتجاجاً على سحب سلطات الاحتلال بطاقات الإقامة من المذكورين الثلاثة، إضافة إلى رابعهم النائب المقدسي الشيخ محمد أبو طير، وذلك بحجة اشتراكهم في المجلس التشريعي الفلسطيني والحكومة العاشرة التي شكلتها حركة حماس سنة 2006، وبذريعة "عدم ولائهم لدولة إسرائيل" حسبما جاء في قرار وزير الداخلية الإسرائيلي

[53] التقرير الشهري حول الانتهاكات الإسرائيلية في مدينة القدس، الائتلاف الأهلي للدفاع عن حقوق الفلسطينيين في مدينة القدس، نيسان/ أبريل 2009.

[54] مقابلة أجراها الباحث مع عائلة صلاح في خيمة الاعتصام، 2010/5/14.

[55] خالد أبو عرفة هو مؤلف هذا الكتاب.

الأسبق روني بار أون Ronnie Bar-On. وسوف يتخذ الباحث خيمة اعتصام النواب المقدسيين نموذجاً لمزيد من التوضيح، كونه أحد ثلاثة أشخاص نصبوا الخيمة واعتصموا فيها 19 شهراً، إلى أن اقتحمت قوات الاحتلال الخيمة واعتقلت المعتصمين الثلاثة.

لماذا مقر الصليب الأحمر..؟

اختار المعتصمون في الخيمة مقر المنظمة الدولية للصليب الأحمر في حيّ الشيخ جراح في مدينة القدس، دون مقر الأمم المتحدة أو أيّ من المقرات الديبلوماسية الأخرى، لأسباب عدة منها:

- ما تمثله المنظمة الدولية من عنوان إنساني وقانوني، يأوي إليه عادة المضطهدين من المقدسيين. وحيث أن مقرّها —كما هو مفترض— ذو حصانة ديبلوماسية[56]، وتوقع المعتصمون أن تتعاون إدارة المقر مع المعتصمين كون قضيتهم عادلة وإنسانية، وتتفق مع توجيهات وقرارات القانون الدولي والقانون الإنساني.
- اختار المعتصمون مقر الصليب الأحمر، كونه عنواناً "شعبياً" مطروقاً لعامة المقدسيين، في نشاطاتهم الموسمية والطارئة، المتعلقة بالاحتجاج على انتهاكات الاحتلال الإسرائيلي، وخصوصاً فيما يتعلق بالأسرى الفلسطينيين، وقد اعتاد المقدسيون إقامة خيام الاعتصامات المختلفة بصورة دورية ومتكررة، وبتعاون نسبي من إدارة المقر.
- كون ساحات المقر تتيح للمعتصمين التواصل مع وسائل الاتصال والإعلام، وعموم المؤسسات الدولية والرسمية، وكذلك عقد المؤتمرات والندوات الصحفية. وتتلخص رسالة المعتصمين في أنهم صامدون وباقون في مدينتهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وأنهم متمسكون بحقوقهم الإنسانية والسياسية، ويرفضون قرار الاحتلال بسحب إقاماتهم وإبعادهم خارج المدينة، وأن سلطات الاحتلال لا تستطيع منعهم من تمثيل شعبهم الذي اختارهم لتمثيله في انتخابات نزيهة وشفافة، وليس من حقها إبعاد المقدسيين خارج مدينتهم بذريعة آرائهم السياسية أو أيّ ذرائع أخرى، وليس من حقّ

[56] أقرّ موظفون كبار في المنظمة الدولية للمعتصمين في الخيمة، أن "حكومات إسرائيل" المتعاقبة رفضت التوقيع على حصانة مقرات المنظمة في "إسرائيل"، ولا في مقرات تواجد هذه المنظمات في الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة، مما يعني أن المقرات ليست ذات حصانة ديبلوماسية.

سلطات الاحتلال كذلك إجبار المقدسيين على إعطاء الولاء للاحتلال الغاصب. وأن القدس مدينة عربية إسلامية محتلة.

رمزية خيمة النواب ومعناها السياسي:

تفاعلَ الفلسطينيون بحماس مع صمود النائبين المقدسيين والوزير السابق، واستقبل المعتصمون في خيمة الاعتصام المئات من المتضامنين والمتعاطفين من شتى الشرائح والطوائف والتيارات، وأمّها نواب من البرلمانات العربية والأجنبية، وكذلك العديد من القناصل والسفراء وأساتذة الجامعات والوفود المحلية والأجنبية، وشكلت الخيمة حالة استثنائية في الحضور والتفاعل سياسياً واجتماعياً وثقافياً. وشهدت الخيمة حضوراً يومياً وزيارات متكررة من قبل مؤسسات المجتمع المدني وطلبة الجامعات والمدارس، إضافة إلى الاتحادات والنقابات والجمعيات النسائية. وأضحت الخيمة بمثابة استفتاء يومي لصالح تأكيد المقدسيين على هويتهم الوطنية، وإعلان واضح للرواية الفلسطينية في الحق التاريخي والديني والسياسي. كما شكلت الخيمة متنفساً رمزياً لعشرات المؤسسات التي أغلقتها قوات الاحتلال في السنوات السابقة. وقد وصف العديد من رجال النخبة المقدسيين حال "خيمة الاعتصام" في أنها تحدّ للمحتل، وإعادة انتخاب المقدسيين لنوابه وممثليه.

تمثيل حيّ لصمود ورباط المقدسيين:

تمسك المقدسيون في حقهم بالتواصل مع النائبين والوزير السابق، بالرغم من التضييقات التي انتهجتها قوات الاحتلال ضدّ الوافدين للخيمة، حيث استخدمت القوات سياسة الترهيب والتهديد، وأقامت حواجز التفتيش حول المقر وفي مداخله عشرات المرات، واعتقلت واحتجزت العديد من المتضامنين لساعات وأيام، خصوصاً في أثناء عقد الفعاليات والمؤتمرات المتعلقة بالمناسبات الوطنية والدينية، وقامت قوات الاحتلال بخلع اللافتات والشعارات الوطنية والأعلام الفلسطينية أكثر من مرة. إلا أن المتضامنين أثبتوا إصراراً وتحدياً كبيرين، واستمروا يحيون المناسبات والمؤتمرات بأعداد غفيرة، وواصلوا إقامة صلوات الجمعة في الساحة المحاذية للخيمة، حيث تناوب الأئمة على خطبة الجمعة لثمانين جمعة متتالية، وكان خاتمة المؤتمرات والخطابات، مهرجاناً مركزياً أقامه المقدسيون والحركة الإسلامية في بيت المقدس في أواخر تشرين الأول/ أكتوبر 2011، احتفاءً بنجاح صفقة "وفاء الأحرار"، التي بموجبها

أجبرت المقاومة الفلسطينية الاحتلال على الإفراج عن 1,027 أسيراً فلسطينياً مقابل الإفراج عن الجندي الإسرائيلي الأسير جلعاد شاليط Gilad Shalit. وقد اقتحمت سلطات الاحتلال المهرجان، وفي اليوم التالي قامت باعتقال 17 ناشطاً مقدسياً وحكمت عليهم لاحقاً بمددٍ تراوحت بين عام وسبعة أعوام. ثمّ ما لبثت أن اقتحمت مقر الصليب الأحمر في كانون الأول/ ديسمبر من سنة 2012، واختطفت المعتصمين أنفسهم وقدّمت في حقهم لوائح اتهام، وأصدرت السلطات ضدهم قرارات بالاعتقال مدة 24 شهراً فعلياً.

7. خيام بوابة القدس: تمثل مجموعة خيام قرية بوابة القدس الإصرار الفلسطيني والصمود، بوجه مخططات التهويد التي تنفذها قوات الاحتلال ضدّ الفلسطينيين في الضفة المحتلة ومدينة القدس. حيث قام مجموعة من النشطاء الفلسطينيين بنصب عدد من الخيام شرقي بلدة أبو ديس في القدس المحتلة، رفضاً للمخططات التي ينفذها الاحتلال عبر مصادرة أراضيهم. وتحمل خيام القرية، التي هدمها الاحتلال ما يزيد عن 11 مرة، رسالة رفض لإعادة تهجير البدو الفلسطينيين شرقي القدس، الذين يقطنون الأراضي المهددة بالاستيلاء عليها منذ عشرات السنوات وقبل احتلال القدس سنة 1967، وإعادة توطينهم في مواقع مختلفة قسراً وبالإكراه[57].

8. خيام الأفراح والعزاء: اعتاد المقدسيون أن ينصبوا خياماً لاستقبال الأسرى المحررين، وخياماً أخرى تقام فيها المهرجانات للاحتفال ببعض المناسبات الدينية أو الوطنية، إلا أن أكثر هذه الخيام عدداً وأثراً تلك التي تنصب للعزاء بالشهداء الذين يسقطون برصاص الاحتلال. وتتحوّل هذه الخيام عادة لميدان يستقبل المئات من المعزّين والمتضامنين، وبالرغم من الحزن الذي يلف أجواء العزاء، إلا أن ذلك لا يمنع المقدسيين من تزيين جدران الخيام بالأعلام الوطنية، والآيات القرآنية، وصور الشهداء، وصور كبار القيادات. كما لا يمنعهم من تقديم صنوف الحلويات استبشاراً بمصير الشهداء الموعودين بالجنة، وتفاخراً بـ"الدرجة الوطنية" الجديدة التي ارتقاها الشهيد وأقاربه.

ويشهد المقدسيون في خيام العزاء حالة من الوحدة الوطنية وتوافق الفعاليات. ويتنافس ممثلوا الفصائل في كلمات التأبين على رفع سقف التحريض والمقاومة، وتعلوا

[57] احتفالاً بالقدس عاصمة للثقافة العربية.. وفد من الداخل والقدس يزور خيام الصمود، موقع أخوات من أجل الأقصى، 2009/3/27، انظر: http://bit.ly/2h4ZZHE

تبعاً لذلك الهتافات المطالبة بتوحيد الكلمة ورصّ الصّف، والداعية إلى تعزيز الصمود ومقاومة المحتل.

وتنظر أجهزة الاحتلال إلى خيام العزاء على أنها سببٌ للتحريض و"الشغب" المؤدي لـ"العنف"، وهي غالباً ما تقيّد هذه الخيام أو تحظرها، وتقوم باستدعاء أصحاب الخيام لتنذرهم وتهددهم بالغرامات أو الاعتقال. وأحياناً تتفادى السلطات الاقتراب منها بسبب ارتفاع درجة الحماسة فيها.

ب. دور فلسطينيو الداخل في تعزيز خيام الاعتصام:

آزر العديد من المؤسسات والجمعيات الأهلية الفلسطينية خيامَ الاعتصام في مدينة القدس خلال سنوات الاحتلال، إضافة إلى وفود مختلفة تمثل الأطياف السياسية للواقع الفلسطيني، عدا الوفود والهيئات الأجنبية التطوعية. وقدمت معظم هذه الوفود المعونات اللازمة والمساعدات الطارئة لأصحاب الخيام ونشطائها.

وكان للأحزاب والحركات في الداخل الفلسطيني حضور قويّ في خيام الاعتصام ونشاطاتها، وتميز وفد الحركة الإسلامية برئاسة الشيخ رائد صلاح، بمبادرات مكثفة وفعالة في سبيل إنجاح الأهداف المنشودة من نصب الخيام، وتعزيزاً لمبدأ الصمود والثبات على الأرض والحقوق. وتولي الحركة اهتماماً كبيراً بالمدينة ومقدساتها، وتتابع شؤون المسجد الأقصى المبارك تحديداً كأولوية من الدرجة الأولى. ويحرص قادة وفود الحركة في أثناء مؤازرتهم للمقدسيين على التأكيد على موقف النصرة، ووحدة الهمّ، والحال، والمصير بين أهل القدس والداخل الفلسطيني.

4. الالتماسات القانونية:

اتخذ المحامون الفلسطينيون والعرب منذ الاحتلال سنة 1967، قراراً بمقاطعة المحاكم العسكرية الإسرائيلية، كتعبير عن رفض الاحتلال ومقاومته ورفض التعاطي معه، وكانت المقاطعة بعدم التوجه إلى المحاكم، وعدم الموافقة على الدفاع عن معتقلين متهمين أمام المحاكم العسكرية الإسرائيلية.

لم يلتزم كافة المحامين بالقرار الذي أخذته نقابة المحامين الأردنيين، التي كان المحامون الفلسطينيون جزءاً منها، ممّا أدى إلى تراجع المقاطعة خلال السنوات التالية، وأصبح المئات من المحامين يتعاملون مع المحاكم العسكرية في الضفة الغربية،

وقطاع غزة، والقدس، والأراضي المحتلة سنة 1948، بحكم الاضطرار وعدم توفر البديل المجمع عليه.

في أعقاب الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى) سنة 2000، أصبحت الغالبية الساحقة من محامي القدس والداخل الفلسطيني، أصحاب الأفضلية في متابعة قضايا المعتقلين الفلسطينيين، كونهم يحملون البطاقة وعضوية نقابة المحامين الإسرائيليتين. وبينما استنكف بعض المحامين الفلسطينيين عن التعامل مع المحاكم الإسرائيلية عامة، فقد منعت سلطات الاحتلال البعض الآخر من الوصول إلى المحاكم داخل الكيان، واقتصرت مرافعتهم فقط أمام محكمتين عسكريتين، هما محكمة سالم ومحكمة عوفر، بحكم وجودهما في أراضي الضفة الغربية.

يدافع المحامي محمد شهاب من "مركز العمل المجتمعي" في مدينة القدس، والمختص في الدفاع عن قضايا المقدسيين في البلدة القديمة، عن ضرورة سلوك المقدسيين طريق المرافعة أمام المحاكم الإسرائيلية كونها تحدّ من ظاهرة مصادرة الاحتلال للعقارات العربية وتهويدها، ويضرب لذلك مثلاً في نجاح المركز في إلغاء لائحة الاتهام المقدمة ضدّ أحد المخابز أواخر سنة 2012، حيث اتهمت السلطات صاحب المخبز بعدم دفعه للضرائب والغرامات المترتبة عليه، وطالبته بإخلاء المخبز لصالح الحكومة الإسرائيلية.

ويؤيد أمين الصاحب، أمين سرّ لجنة تجار البلدة القديمة، الصراع القانوني مع قوات الاحتلال عبر المحاكم الإسرائيلية، ويعزو ضرورة ذلك إلى تغوّل السلطات الإسرائيلية واستفرادها بالمجتمع المقدسي، في غياب الدعم العربي والإسلامي الفعلي للمدينة وسكانها، بل ويصف هذا الدعم بالضعيف والمخزي[58].

5. مقاومة التطبيع مع الاحتلال:

ينطبق مثال "القويّ في مواجهة الضعيف" على الحالة الإسرائيلية الفلسطينية، حيث ما يزال للاحتلال الإسرائيلي اليد العليا في علاقاتها مع معظم خصومها المفترضين والفعليين، وفيما يدافع المؤيدون للتطبيع مع الإسرائيليين عن سلوكهم فيعدّونه ضرورة بدهية ملازمة للخيار السلمي المقاوم، فإن الرافضين للتطبيع يرونه أداة

[58] فيديو "الاستشارات القانونية قد تحدّ من تهويد القدس"، موقع شبكة هنا القدس للإعلام المجتمعي، 2015/4/5، انظر: http://www.honaalquds.net/ar/article/11965/#.WKyDuzt97IV

ماكرة من أدوات الاحتلال، لا تزيد الضعيف تحت الاحتلال إلا ضعفاً، عدا عن كونها تحرم المقاوم من الصفات الواجب توفرها فيه، كاليقظة، والاحتراز، وأصالة الهوية الوطنية.

ويُعوّل المؤيدون للتطبيع من الفلسطينيين، على ما يُسمّى "معسكر السلام الإسرائيلي"، الذي اعتاد على تشجيع الفلسطينيين على التطبيع، بينما الرافضون للتطبيع يعدّون هذا المعسكر صورة أخرى من صور الاحتلال، ويذكّرون بمواقفه العدائية، ومنها دعمه للحكومات الإسرائيلية في اعتداءاتها على الفلسطينيين وخصوصاً في أثناء الانتفاضة الثانية. وينظر المؤيدون للتطبيع —من الفلسطينيين والإسرائيليين— إلى عناصر وأنصار المقاومة المسلحة من الفلسطينيين كمتطرفين ومتشددين، وأنهم عثرة في طريق "السلام"، بينما يسمّون من ينبذ المقاومة من الفلسطينيين بـ"المعتدلين".

ويرى الرافضون، أن التطبيع مع الاحتلال قد شجع الأنظمة العربية إلى مزيد من التنازل عن الحقوق العربية والفلسطينية، وصار بعض هذه الأنظمة يردّد مقولة "لن نكون ملكيين أكثر من الملك". بل وتحوّلت بعض الأنظمة العربية، من مؤيدة للفلسطينيين إلى حليفة للإسرائيليين. فيما استغلت "إسرائيل" بحكم قوتها وتفوّقها، دعاية التطبيع مع الفلسطينيين وكذلك المفاوضات واتفاقيات السلام، في إعادة صياغة علاقاتها مع المعسكر الدولي المتضامن مع الفلسطينيين، وخصوصاً في أعقاب اتفاقية أوسلو، وخسر الفلسطينيون بسبب ذلك العديد من الأصدقاء والحلفاء[59].

ومقاومة المقدسيين للتطبيع مع مؤسسات الاحتلال، تعني التطرق إلى طبيعة العلاقة مع الإسرائيليين في كافة مناحي الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والترفيهية وغير ذلك، وبيان مدى مقاومة المقدسيين في هذه النواحي كافة، وهو موضوع هذا الكتاب وحيثيات فصوله. لذا فإن الباحث لن يخصّص في موضوع التطبيع فصلاً خاصّاً، وإنما سيختار موضوعين متعلقين بهذا الباب للحديث حولهما. أولهما: الموقف من بلدية الاحتلال، وثانيهما: التطبيع والموقف من زيارة القدس والمسجد الأقصى من قبل المسؤولين العرب والمسلمين.

[59] مجلة **عصر الفكر**، مركز الدراسات المعاصرة، أم الفحم، العدد 3، 2010، انظر:
http://derasat.ara-star.com/full.php?ID=636#.WEpk89J97cs

أ. الموقف من بلدية الاحتلال (بلدية القدس):

تعدُّ العلاقة مع بلدية الاحتلال بما لها من تشعبات والتزامات، امتحاناً صعباً على المقدسيين فيما يتعلق بالتطبيع مع مؤسسات الاحتلال. وتحرص السلطات الإسرائيلية على ظهور بلدية القدس، بمظهر المؤسسة المدنية الخدماتية التي تشرف على تقديم الخدمات المتنوعة للسكان كافة، بغض النظر عن العرق أو الدين، بقصد الظهور بمظهر المؤسسة الديموقراطية. في وقت يبقى فيه المقدسيون في أحسن الأحوال أقلية كبيرة، لا يؤثر صوتها على طبيعة القرارات المعدّة سلفاً لتهويد القدس وطرد سكانها الأصليين.

وتنهج سلطات الاحتلال وسائل عديدة لتحقيق هذا الادعاء، وتخضع المقدسيين بأساليب مختلفة ما بين الترهيب والترغيب، مستغلة ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية القاسية. من جهة أخرى تحرص السلطات على تشجيع المقدسيين الفلسطينيين للإدلاء بأصواتهم في انتخاب مجلس البلدية، بدعوى "انتزاع الحقوق المدنية" من المجلس، وهي تهدف من ذلك إيجاد حالة من تطبيع العلاقات مع الاحتلال. وفي سبيل الوصول إلى أهدافها التطبيعية، أنشأت "المراكز الجماهيرية" في أوساط الأحياء الفلسطينية، وأشاعت مفهوم "بناء علاقات حميمية مع وجوه من المجتمع المحلّي" على أمل إيجاد "قيادات محلية"[60].

إلا أن الوقائع على الأرض من النواحي كافة تثبت بطلان هذا الزعم. وأثبتت الإحصائيات السنوية أن بلدية القدس ما هي إلا جهازاً متقدماً من أجهزة الاحتلال لتنفيذ مخططاته الاستيطانية، وصولاً إلى ترسيخ واقع المدينة كعاصمة موحدة للشعب اليهودي ولـ"دولة إسرائيل". والثابت أن جهاز البلدية الإسرائيلية يتعاون مع باقي الأجهزة الأمنية، للوصول إلى الإنسان المقدسي من خلال نقاط ضعفه، والتأثير عليه بهدف إفقاره أو طرده من المدينة أو استمالته.

وتظهر بلدية القدس الاهتمام بالقضايا السطحية فيما يتعلق بالمقدسيين، زاعمة الخدمة الموحّدة لجميع سكان المدينة، فتحاول تزيين المناسبات الدينية الإسلامية أو المسيحية، من خلال نصب الحدّ الأدنى من اللافتات والأضواء، وتحرص على إظهار

[60] دائرة سليمان الحلبي للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي، "الهبة الفلسطينية... تحديات وفرص"، تقدير موقف، موقع باب الواد، 2015/10/10، انظر: http://bit.ly/2ietGuP

هذه المناسبات كمواسم دينية احتفالية ناجحة، بغرض "استتباب الهدوء في المدينة"، هادفة من ذلك تحقيق أمن الإسرائيليين.

ب. التطبيع والموقف من زيارة القدس والمسجد الأقصى تحت الاحتلال:

شكل الموقف من تحريم زيارة المسؤولين العرب والمسلمين للقدس والمسجد الأقصى المبارك، إلى عهد قريب، محلّ تأييد وإجماع كبيرين بين علماء المسلمين والمسيحيين، إضافة إلى رجال الفكر والسياسة عربياً وإسلامياً. فقد رفض معظم رجال الدين المسلمين والمسيحيين في فلسطين وخارجها، خلال العقود الماضية زيارة القدس والمسجد الأقصى المبارك تحت الاحتلال، ودعا المفكرون إلى مقاطعة مؤسسات الاحتلال الإسرائيلي بما في ذلك مقاطعة سفاراته التي تعطي الإذن بالزيارات. وكان على رأس هؤلاء "شيوخ الأزهر"، والمؤسسات الدينية في عموم العالم العربي والإسلامي، وكان أشهر الرافضين فضيلة شيخ الأزهر الأسبق الشيخ عبد الحليم محمود، حيث رفض مرافقة الرئيس المصري أنور السادات في زيارته لمدينة القدس سنة 1977[61]. إضافة إلى المواقف المشهورة المعروفة عن الأنبا شنودة، رئيس الطائفة القبطية المصرية، وكذلك مواقف المؤسسات الوطنية والثقافية والنقابية التقليدي، الرافض لزيارة القدس والمقدسات تحت الاحتلال.

وقد طرأ تطوّر مفاجئ على موقف الجانب الفلسطيني من فتوى الزيارة، تحديداً من الناحيتين السياسية والإعلامية، إضافة إلى الناحية الفقهية منها. فرأى الفريق الفلسطيني المؤيد للتسوية السلمية مع الاحتلال، ضرورة زيارة المسؤولين العرب والمسلمين للقدس والمسجد الأقصى، من أجل مواجهة التهويد الإسرائيلي للمدينة ومقدساتها، ومن أجل تعزيز صمود أهلها الفلسطينيين، وتمكينهم من التمسك بأراضيهم وممتلكاتهم.

فيما رأى الفريق الآخر، والذي هو الامتداد التقليدي لـ"تحريم الزيارة تحت الاحتلال"، أن مقاطعة الاحتلال ومؤسساته هو الأصل في المقاومة، ولا يجوز القيام بأي خطوة في هذا الاتجاه بإذن الاحتلال وبتصريح منه، حتى لو تمثلت هذه الخطوة بزيارة المسجد الأقصى، لأن الزيارة بموافقة الاحتلال إنما تعزز سيادته على المدينة ومقدساتها، وتضفي عليها شرعية وتطبيعاً.

[61] الدكتور حسام عفانة، رؤية شرعية نقدية في فتاوى زيارة الأقصى، موقع وكالة فلسطين اليوم الإخبارية، 2012/7/22.

دوافع المؤيدين للزيارة والرافضين لها:

• دوافع المؤيدين للزيارة:

دعا الرئيس الفلسطيني محمود عباس على الصعيد الرسمي إلى زيارة القدس والمسجد الأقصى في أكثر من مناسبة، ووجه دعوته كذلك إلى القادة العرب خلال مؤتمر القدس الأول، الذي عُقد في الدوحة في قطر في شباط/ فبراير 2012، ورأى أن ذلك شكل من أشكال النضال ضدّ تهويد المدينة، ووسيلة لفك العزلة عن المقدسيين وتعزيز صمودهم. وأكد الرئيس عباس أن السلطة الفلسطينية والشعب الفلسطيني بحكم الأسرى، وأنهم ما يزالون "تحت بساطير الاحتلال"، وأنه لا ضير والأمر كذلك من زيارة القدس والمسجد الأقصى المبارك، وأن الزيارة تعدّ "تضامناً مع السجين وليست تضامناً مع السجان"[62].

وعدَّت السلطة الفلسطينية على لسان وزير الأوقاف السابق محمود الهباش، أن "زيارة القدس والمسجد الأقصى واجبة دينياً وأخلاقياً"، وأنه "لا يجوز ترك المدينة وحدها"، وأنها ليست تطبيعاً مع الاحتلال، بل هي تأكيد للحق العربي والإسلامي للمدينة المقدسة، إضافة إلى كون الزيارة "تعزيزاً لصمود ورباط المقدسيين ورفعاً لمعنوياتهم". كذلك رأى الوزير الهباش أن "زيارة القدس فريضة شرعية وضرورة سياسية، وأنها حقّ مشروع لجميع المسلمين والمسيحيين، وواجب مقدس على المسلمين بنصّ السنة النبوية"[63].

وقد وصف الوزير الهباش فتوى الدكتور القرضاوي رئيس "اتحاد العلماء المسلمين"، التي حرم فيها زيارة المسؤولين العرب والمسلمين لمدينة القدس تحت الاحتلال بـ"الخاطئة والمريبة"، وأنها تخالف نصّ القرآن والسنة النبوية، وطالبه بالرجوع عن فتواه وبعدم إقحام الدين في السياسة، وأكد على أن الفتوى تخدم السياسة الإسرائيلية الرّامية إلى تهويد القدس وتفريغها من سكانها[64].

---

[62] إبراهيم حمامي، **زيارة القدس والأقصى تحت الاحتلال: تطبيع أم دعم وتشجيع؟** (لندن: مركز الشؤون الفلسطينية، نيسان/ أبريل 2012)، ص 22.

[63] **المرجع نفسه**، ص 23.

[64] **المرجع نفسه**.

وقد أيد بعض العلماء العرب دعوى "ضرورة زيارة القدس والمسجد الأقصى"، فقد أشار الدكتور سالم عبد الجليل وكيل وزارة الأوقاف المصرية، إلى أن "الزيارة تدعم المقدسيين وتساندهم، وأنها قد تغير الواقع على الأرض". بينما أكد الدكتور عبد الغفار هلال وزير الأوقاف المصري الأسبق، على ضرورة "التفريق بين السياسة والدين، فاحتلال المسجد الأقصى مسألة سياسية، ويجب على أهل السياسة أن يعملوا من أجل تخليص المسجد الأسير من الاحتلال، ويجوز دينياً للمسلمين الصلاة في المسجد الأقصى"[65].

وفي مدينة القدس أيّد المفتي العام الشيخ محمد حسين الزيارة بشروط، قائلاً: "ومن المؤكد أن شدّ الرحال في ظلّ الاحتلال يختلف عنه في ظلّ الأمان، ولا مانع من زيارتها مع تجنب التطبيع مع العدو ولزوم التنسيق مع الجهات الفلسطينية المعنية، وأن تكون الزيارة رفضاً للاحتلال وعوناً للمرابطين فيها حتى التحرير، وندعو الجميع إلى شدّ الرحال وزيارة القدس حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً"[66].

• دوافع الرافضين للزيارة:

امتداداً للموقف المتمثل بتحريم زيارة القدس تحت الاحتلال، صرح رئيس الهيئة الإسلامية العليا الشيخ عكرمة صبري: "أن زيارة القدس المحتلة للصلاة في المسجد الأقصى المبارك بتأشيرة إسرائيلية وبتصريح من الاحتلال، تطبيع وإقرار بشرعية الاحتلال الإسرائيلي للمدينة"[67]. وتابعه في ذلك الفقيه المقدسي الدكتور حسام عفانة، أستاذ أصول الفقه في كلية الدعوة وأصول الدين في جامعة القدس، حيث أصدر دراسة فقهية بعنوان "رؤية شرعية نقدية في فتاوى زيارة المسجد الأقصى والقدس بتأشيرة صهيونية"، حيث قال: "وما ساقه المؤيدون للزيارة من أدلة لا تنهض لإثبات صحة الدعوى، والمعتمد الأساسي للمانعين من الزيارة هو النظر في مآلاتها وما يترتب عليها من التطبيع مع الاحتلال، وأن المفاسد المترتبة عليها أكثر من المصالح"، إلى أن يقول: "وأن الأنفع والأجدى هو توفير أوجه الدعم الأخرى لقضية الأقصى والقدس وفلسطين وتخليصها من الاحتلال"[68].

---

[65] **المرجع نفسه**، ص 24.

[66] مؤتمر بالأردن يشرعن زيارة القدس تحت الاحتلال، الجزيرة.نت، 2014/4/30، انظر: http://bit.ly/2hfGjFT

[67] إبراهيم حمامي، **مرجع سابق**، ص 51.

[68] الدكتور حسام عفانة، رؤية شرعية نقدية في فتاوى زيارة الأقصى، وكالة فلسطين اليوم الإخبارية، 2012/7/22.

كما أكد على لزوم مقاطعة زيارة القدس والمسجد الأقصى تحت الاحتلال المطران عطا الله حنّا رئيس أساقفة الروم الأرثوذكس، وذلك بقوله: "أولئك الذين يدعون لزيارة القدس —تحت الاحتلال— عليهم أن يعرفوا أن إسرائيل هي المستفيد الحقيقي من هذه الزيارات، وهي تستفيد اقتصادياً وسياسياً وإعلامياً"[69].

وقد أجمل المفتي السابق لجمهورية مصر العربية، الشيخ نصر فريد واصل، رأي العلماء والمفكرين العرب بتأكيده على أن "زيارة القدس باستخدام تأشيرات صهيونية يكرس الخضوع للصهاينة والإقرار بحقهم في السيطرة على القدس، وقد يكون الأمر مدخلاً للتطبيع"، واستثنى من ذلك الفلسطينيين، لأنهم حسب قوله "واقعون تحت الاحتلال، ومضطرون شرعاً وقانوناً لاستخدام التصاريح الصهيونية في الدخول إلى القدس أو الخروج منها"[70]. كذلك أكد الدكتور القرضاوي على أن "تحريم الزيارة يرتكز على ما يوجبه الإسلام على المسلم من مقاطعة عدوه اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً، كأحد الأسلحة المتاحة للمسلمين في مواجهة عدوهم"[71].

ويؤكد الرافضون للزيارة بحسب موسى أبو مرزوق القيادي في حركة حماس، أن القدس والمسجد الأقصى تحتاجان فتحاً، لا زيارة تحت حراب احتلال يدنسها ويهدّد مستقبلها ويحرق منبرها ويحرم أهلها من زيارتها[72]. وإذا لم يستطع الفلسطينيون والعرب تحريرها في الظروف الراهنة، فإن أقل ما يتوجب عليهم فعله هو عدم المساس بمكانتها وابتذال صورتها في وعي وثقافة ومخيلة العرب والمسلمين، باستبدال تحريرها بزيارتها[73]. وأنه لا بدّ من سلوك النهج البديل للزيارة، وهو الشروع بالخطوات الجدية في دعم القدس والمقدسيين والمسجد الأقصى، والحفاظ على الهوية العربية الإسلامية لمدينة القدس. وذلك من خلال وقف أيّ تدابير متخذة لتطبيع العلاقات مع "إسرائيل"، ومقاطعتها وفرض العقوبات عليها وسحب الاستثمارات منها. بالمقابل يجب اتخاذ إجراءات حقيقية وفعالة لتوفير كافة سبل الدعم، من أجل مواجهة الخطر الذي يواجه المدينة ومقدساتها.

---

[69] إبراهيم حمامي، **مرجع سابق**، ص 51.

[70] **المرجع نفسه**، ص 25.

[71] **المرجع نفسه**، ص 35.

[72] **المرجع نفسه**.

[73] سيف دعنا، مرجع سابق.

• **تقييم وخلاصة:**

من المعلوم أن الاحتلال يمسك بزمام آلة إعلامية جبارة، تمهد لسياساته الاستيطانية والتهويدية على الدوام، وتعكس انطباعاً مغلوطاً عن "ديموقراطية إسرائيل" والأخلاق الرفيعة لـ"جيش الدفاع الإسرائيلي"، وصورة معكوسة عن الجهود التي تبذلها حكومة الاحتلال في "تأمين حرية العبادة" في المسجد الأقصى خاصة والمقدسات عامة. والذي يؤكد على قدرة "إسرائيل" في السيطرة على آلة الإعلام وعلى حركة الزيارة والسياحة إلى المدينة المقدسة، ما صرح به نير بركات رئيس بلدية القدس الإسرائيلية في 2015/4/5، من أن الحكومة الإسرائيلية تستعد لاستقبال عشرة ملايين سائح أجنبي سنوياً إلى المدينة. وتتوقع الحكومات الإسرائيلية أن نجاح الزيارات واستمرارها يؤدي إلى قبول العرب والمسلمين ومن ثم الفلسطينيين، لـ"حالة الأمر الواقع" في المدينة، الحالة التي تشكل ركيزة أساسية ضمن مخطط الاحتلال للسيطرة المطلقة على مدينة القدس المحتلة. ومن ثم تأمل "إسرائيل" في أن يقارن العرب والمسلمون، أجواء "الأمن والهدوء" في أثناء زياراتهم للقدس والمسجد الأقصى، مع ما تعانيه المدن والعواصم العربية والإسلامية من توتر واضطراب وإرهاب. وقد صرح رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو Benjamin Netanyahu ما يؤكد ذلك، إذ ادعى أن "إسرائيل هي الجهة الوحيدة التي تحمي المقدسات"[74].

ولا شكّ أن القدس والمقدسيين بحاجة ماسة إلى التضامن والمؤازرة، بسبب ما يعانونه من تهديد وتهويد واضطهاد، إلا أن الرأي الداعي إلى ضرورة زيارة القدس والمسجد الأقصى تضامناً وتعزيزاً للمقدسيين في مواجهة الاحتلال، ومنعاً للمستوطنين من الاستفراد بالقدس والمقدسات، لم يلقَ ترجمة حقيقية تنقذ القدس من التهويد وتدعم المقدسيين في صمودهم ورباطهم. على الرغم من أن هذا الرأي تدعمه السلطة السياسية والإعلامية وعموم المؤيدين لمشروع التسوية السياسية، وفي سياق ذلك عقد مؤتمر "الطريق إلى القدس" الذي أنهى أعماله بالعاصمة الأردنية عمّان في 2014/4/30، بهدف دعم الجهود المبذولة لإنجاح دعوة زيارة القدس والمسجد الأقصى، حيث أفتى المشاركون في المؤتمر بـ"رفع الحظر عن زيارة القدس" للفلسطينيين أينما

[74] نتنياهو يزعم أن إسرائيل الجهة الوحيدة التي تحمي المقدسات، وكالة الصحافة الفلسطينية (صفا)، 2015/10/20، انظر: safa.ps/

كانوا ومهما كانت جنسياتهم، وللمسلمين الذين يحملون جنسيات دول خارج العالم الإسلامي والبالغ تعدادهم 450 مليوناً، بحسب المؤتمر[75].

على الرغم من كل ذلك، إلا أن الزيارات لم تتحقق بالقدر الذي رُوّج لها، ولم تتحوّل الفكرة إلى نهج فعلي ودائم، حتى من قبل المسؤولين العرب الذين تبنوا الدعوة وسوّقوا لها، سوى بعض الشخصيات الذين وصفت زيارتهم أنها تمت فجأة وعلى استحياء ودون برنامج وطني أو جماهيري. الأمر الذي حال دون تقديم أيّ مساعدة لتعزيز صمود المقدسيين، عدا عن كفّ الاحتلال عن تهويد المقدسات وتدنيسها. وفي هذا الصدد رفض الشيخ عكرمة صبري رئيس الهيئة الإسلامية العليا، تصريحات الشيخ علي جمعة مفتي جمهورية مصر العربية، عقب زيارته للقدس في 2012/4/17، حيث صرَّح أن سلطات الاحتلال لم تلزمه استصدار تأشيرة إسرائيلية، وأنه لم يصادف في طريقه إلى الأقصى أي جندي إسرائيلي[76]. كذلك وصف الدكتور عزمي بشارة، الرئيس السابق لحزب التجمع الوطني في الداخل الفلسطيني، الزيارة بقوله:

> زيارة القدس والمقدسات تحت الاحتلال، يعطي انطباعاً بالموافقة على الاحتلال كراعٍ للمقدسات، وأن الاحتلال يحمي حرية العبادة. وفي حين تمنع فيه سلطات الاحتلال شخصيات فلسطينية وطنية ووفوداً أجنبية متضامنة، فإن السلطات تسمح لشخصيات عربية أخرى ترى في زياراتهم دعماً لسيادة الاحتلال على القدس والمسجد الأقصى[77].

ثانياً: الانتفاضات الشعبية:

1. الانتفاضة الأولى (1987–1993):

الانتفاضة عمل مقاوم يندرج في باب الاحتجاج، وهي عبارة عن ردّ فعل شعبي تلقائي ناجم عن الإحباط الشديد ووجود فراغ كبير في مواجهة الاحتلال. خصوصاً في وقت تنحصر فيه المقاومة وتحاصر، ويخلو من آفاق التخلص من الاحتلال، عندها

---

[75] مؤتمر بالأردن يشرعن زيارة القدس تحت الاحتلال، الجزيرة.نت، 2014/4/30.

[76] إبراهيم حمامي، **مرجع سابق**، ص 31.

[77] **المرجع نفسه**.

تخرج الجماهير لتعبر بطرق متعددة عما يعتمل داخلها من ضيق. وقد نشبت منذ سنة 1920 في فلسطين قرابة 18 انتفاضة، والبعض يرفع الرقم إلى 25، أوصلت هذه الانتفاضات الاحتلال —أحياناً البريطاني وأحياناً أخرى الإسرائيلي— إلى موقف يراجع فيه حساباته، بسبب ارتفاع التكلفة التي يدفعها ثمن احتلال الأرض والسيطرة على السكان[78]. ونشير هنا إلى بعض الملاحظات المهمة:

- اندلعت الانتفاضة الأولى، كما صارت تسمّى، يوم 1987/12/8، وذلك في أعقاب قيام مستوطن صهيوني بدعس أربعة عمال فلسطينيين بمحاذاة مخيم جباليا شمال قطاع غزة، ممّا أدى إلى استشهادهم، وعلى أثر ذلك مشى الآلاف من الفلسطينيين في جنازة غاضبة، سرعان ما تحوّلت إلى مظاهرات وصدامات مع قوات الاحتلال، ثمّ اشتعلت في باقي الأراضي الفلسطينية اشتعال النار في الهشيم.
- قضت قوات الاحتلال سنوات ما بعد خروج منظمة التحرير الفلسطينية وهي تتعامل مع الفلسطينيين في الأراضي المحتلة بسياسة العصا والجزرة، واستخدمت "القفازات الحريرية" أحياناً. لكن وما إن انطلق الفلسطينيون بانتفاضتهم، حتى قرّر الاحتلال استخدام سياسة القبضة الحديدية والعقاب الجماعي. وقد استخدمت قوات الاحتلال سياسة الانتقام من الفلسطينيين في مدينة القدس، كما استخدمتها في الضفة الغربية وقطاع غزة سواء بسواء.
- وبالرغم من صدور قرار عن مجلس الأمن الدولي رقم 605، يستنكر ممارسات دولة الاحتلال في انتهاكها لحقوق الفلسطينيين الإنسانية، إلا أن الحكومة الصهيونية استمرت في قمعها للفلسطينيين بشتى الوسائل. بل وأعلنت في 1988/1/16 أنها ستستخدم سياسة القبضة الحديدية ضدّ المشتركين في الانتفاضة، وطبقت فعلياً هذه السياسة من خلال ضرب المتظاهرين ضرباً مبرحاً، وتكسير أياديهم أو أرجلهم، وإطلاق النار الحيّ والمطاطي وقنابل الغاز وقنابل الصوت، وكذلك الاعتقال الجماعي، ونسف البيوت، والإبعاد عن الوطن، وغير ذلك الكثير.
- ولم يتردّد المقدسيون بالاشتراك الفعّال في هذه الانتفاضة، بالرغم من انهيار الاقتصاد المقدسي وتراجع دور المؤسسات الوطنية بسبب الملاحقات الصهيونية القمعية، وبالرغم من التضحيات الباهظة في الأرواح والممتلكات والأرزاق.

[78] مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، مستقبل المقاومة الفلسطينية في ضوء التطورات العربية، سلسلة تقدير استراتيجي (31)، أيار/ مايو 2011، انظر: http://bit.ly/2ieo9Eu

- بمرور الوقت تصاعد الصراع وتعددت أشكاله، بدءاً من نشاط الخلايا المنظمة المرتبطة بالمنظمات الفلسطينية المنضوية في إطار منظمة التحرير الفلسطينية، وانتهاء بالخلايا المنفردة التي بدأت تظهر في الأراضي المحتلة سنة 1967، مروراً بأشكال الصراع الأخرى من التظاهر إلى إلقاء الحجارة وغيرها.
- تكرست حالة صراع أفقدت "إسرائيل" بوصلة التحرك داخل المناطق المحتلة، بعد أن رأت "تهديداً أمنياً" يدق أبوابها، فشرعت ومع انطلاقة الانتفاضة الأولى باستخدام "القبضة الحديدية والعقاب الجماعي" بهدف التحطيم النفسي للفلسطينيين، وإضعاف ثقتهم في ذاتهم القومية، وتفتيت وحدتهم الوطنية، وتبديل قناعاتهم في المقاومة[79]. فعمدت قوات الاحتلال وأجهزتها المختلفة على مواجهة جماهير المقدسيين بالتعذيب والتنكيل الفردي والجماعي، وأغلقت الأحياء والطرقات وحاصرتها من كل الجهات، ونصبت الحواجز العسكرية والأتربة على مداخلها، وكذلك بنت قوات الاحتلال سدوداً وجدراناً إسمنتية بين الأحياء، ولم تتردد باستخدام القتل بالرصاص والضرب المبرح والجرح الكلي والجزئي. ثم أقدمت على ارتكاب مجزرة المسجد الأقصى سنة 1990، وسلكت مسلك الحكم الصوري العسكري بالسجن بمدد زمنية خيالية، والاعتقال الإداري، والإبعاد، وداهمت منازل الفلسطينيين ليلاً بأعداد كبيرة لإرهاب الأهالي وبثّ الذعر في قلوبهم، واستخدمت أسلوب منع التجول لفترات طويلة على القرى والأحياء، ومنعت سفر المواطنين...إلخ، من أشكال الإرهاب والتنكيل[80].

أ. أسباب اندلاع الانتفاضة الأولى:

1. الأسباب المباشرة:

- حفلت الأشهر والأيام الأخيرة من سنة 1987، بعددٍ من الأحداث المؤلمة كان آخرها استشهاد أربعة عمال فلسطينيين، دعستهم شاحنة كبيرة يقودها مستوطن يهودي. وكانت قوات الاحتلال قد قتلت في مخيم البريج ثلاثة فلسطينيين في 1987/10/3. وخاضت على أثر ذلك جماهير المخيم مظاهرات وإضرابات شملت المدارس والكليات.

---

[79] جهاد أحمد صالح، **مرجع سابق**، ص 11.

[80] كمال علاونة، **انتفاضة فلسطين الكبرى الأولى 1987-1994** (نابلس: مؤسسة الإسراء العربي، آذار/ مارس 2007).

وتوسعت المظاهرات والصدامات حيث قتلت قوات الاحتلال أربعة فلسطينيين في أماكن متفرقة من القطاع، بعد خمسة أيام من السنة ذاتها[81].

- اعتداء قوات الاحتلال يوم 1987/10/12، على مظاهرة فلسطينية في ميدان المنارة في رام الله، فقتلت امرأة وجرحت العديد من المتظاهرين. ثم كان الحدث الدموي صباح يوم الأربعاء 1987/10/28، حيث قامت القوات بمهاجمة مظاهرة طلابية أمام جامعة بيت لحم، وأصيب عدد من الطلبة بجروح، وما لبث أن توفي أحد الطلاب نتيجة إصابته، وهكذا استمرت المظاهرات يوماً بعد يوم، إلى أن كان 1987/11/29، حيث خرجت المظاهرات في الذكرى السنوية الأربعين لقرار التقسيم، وتصدت القوات للمتظاهرين بالذخيرة الحية، وقتلت خمسة فلسطينيين في مدينة رفح ومخيم بلاطة[82].
- ومن الأسباب المباشرة، والتي أدت إلى تعاظم اشتعال الانتفاضة، قيام الصهيوني أريل شارون Ariel Sharon وزير الحرب الإسرائيلي الأسبق، بالاستيلاء على بيت عربي في البلدة القديمة، أوائل كانون الأول/ ديسمبر من سنة 1987، وإعلانه عن نيته بالسكن فيه. وكذلك إعلان قوات الاحتلال عن حفرها لنفق بجوار المسجد الأقصى المبارك، وقيام قوة من شرطة الاحتلال باقتحام مكاتب شركة كهرباء القدس العربية[83].

2. الأسباب غير المباشرة:

أسهمت أسباب عديدة ومختلفة ما بين الإحباط والأمل، في تحرك الفلسطينيين تحركاً شعبياً جارفاً، أوائل كانون الأول/ ديسمبر من سنة 1987، فيما بات يعرف بالانتفاضة الأولى التي استمرت ستّ سنوات. ونجمل بعض هذه الأسباب ونختصرها فيما يلي:

- الاعتداءات والانتهاكات الإسرائيلية اليومية، مما يندرج في إطار تشييد المستوطنات على الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1967، أو ضرب الاقتصاد وإلحاقه بالسوق الإسرائيلي، وتفشي البطالة ومحاصرة القطاع التعليمي والثقافي، وانتهاج سياسة الاعتقال والتعذيب والإبعاد، وكذلك سياسة إغلاق الطرق الرئيسية والفرعية المؤدية إلى القرى والمخيمات، وإغلاق البيوت أو هدمها أومصادرتها، والاعتداء على الأراضي والأشجار والثمار والمساجد والكنائس وحرقها، وغير ذلك الكثير من الانتهاكات والاعتداءات المستمرة.

---

[81] مازن قمصية، **مرجع سابق**، ص 198.

[82] **المرجع نفسه**.

[83] أحمد فارس عودة، **مرجع سابق**، ص 96.

- إخراج مؤسسات الثورة الفلسطينية من بيروت في تشرين الأول/ أكتوبر من سنة 1982، وما نتج عن ذلك من فراغ سياسي في أوساط الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، امتد لسنوات عديدة.
- سكوت المجتمع الدولي وصمت العالم العربي والإسلامي وإحجامهم عن القيام بخطوات جدية وفاعلة لصالح الفلسطينيين.
- الارتفاع النسبي في مستوى المعنويات لدى شرائح من المقدسيين والفلسطينيين عموماً، وخصوصاً في أوساط الطلبة والجامعيين، في أعقاب سلسلة من نشاطات الاحتجاج والتظاهر، وكذلك سلسلة من العمليات العسكرية في الضفة والقطاع، استخدم فيها المجاهدون والمناضلون السلاح الناري والعبوات الناسفة والسكاكين[84].

ب. مقاومة المقدسيين في الانتفاضة الأولى:

عبّر المقدسيون في هذه الانتفاضة عن غضبهم على الهجمة الشرسة التي نالت منهم من قبل أذرع الاحتلال المختلفة، العسكرية والسياسية والقضائية، خلال الثمانينيات وفي أعقاب إخراج مؤسسات الثورة الفلسطينية من بيروت سنة 1982. وخرج المقدسيون في مسيرات ومظاهرات، ووزعوا البيانات والمنشورات، وكتبوا على الجدران برنامج الانتفاضة الأسبوعي، وصاغوا بأسلوبٍ خاص شعارات العمل الثوري المقاوم، ورفعوا الأعلام والشعارات، ووضعوا المتاريس في طريق قوات الاحتلال ومجنزراته، وأشعلوا إطارات السيارات وسدّوا بها طريق جنود الاحتلال ورشقوهم بالحجارة، بالأيدي تارة، وبـ"النقيفة والمِعْلاق" تارة أخرى.

وتخلل الانتفاضة الأولى بعض العمليات العسكرية ضدّ الأهداف الإسرائيلية، مما كبد الإسرائيليين خسائر نتج عنها قتلى وجرحى، واشتمل هذا النوع من الكفاح اختطاف جنود بهدف مبادلتهم بأسرى فلسطينيين، وكذلك ملاحقة وقتل العملاء وسماسرة الأراضي. كما شمل هجومَ مقدسيين على جنود ومستوطنين يهود بالسكاكين، واستطاعت القوات الميدانية الفلسطينية الضاربة من إحكام شبه سيطرة ليلية على العديد من المواقع الفلسطينية في والقرى والأحياء[85].

---

[84] مازن قمصية، **مرجع سابق**، ص 196.

[85] كمال علاونة، **مرجع سابق**.

أساليب المقاومة:

1. المظاهرات الشعبية:

بدأت الاحتجاجات في مدينة القدس أوائل كانون الأول/ ديسمبر من سنة 1987، بمظاهرات طلابية وعمّالية صغيرة، اجتاحت القرى والأحياء ومخيم شعفاط، وتركزت حول المدارس وفي الشوارع الرئيسية، ثمّ ما لبثت أن ازدادت الأعداد لتصل إلى المئات، وبلغت في بعض الأحيان الآلاف، واستمرت المظاهرات بهذا الزخم الكبير عاماً كاملاً، وكانت تخرج أحياناً تستعرض قوتها أمام الاحتلال بشكلٍ منظم وبأسلوبٍ عسكري، تتنافس فيه الفصائل الفلسطينية فيما بينها، كما حصل في بلدة سلوان بجوار المسجد الأقصى المبارك، أواسط حزيران/ يونيو 1990، إذ خرج العشرات من الشبان الملثمين وهم يعصبون رؤوسهم بعصبات خضراء، يناصرهم المئات من الشبان وروّاد المساجد يحملون بأيديهم العصي والسيوف والخناجر، وطافوا البلدة يهتفون لفلسطين وينذرون أنفسهم فداء الشهداء والمسجد الأقصى، حتى إذا جاء الأسبوع الذي يليه خرجت مجموعة من فصيلٍ آخر، بعصبات حمراء أو سوداء، وحصل الشيء ذاته في بلدات الثوري والعيسوية ومخيم شعفاط[86].

وقد شهدت شوارع مدينة القدس تظاهرات ضخمة في مناسبات عدة، قادها مجموع الطلبة من كليات مختلفة، من جامعة القدس، والكلية الإبراهيمية، ومدارس الرشيدية والمأمونية وغيرها. وقد كان يوم 1987/12/18 يوماً متميزاً، إذ التقت هذه الجموع جنباً إلى جنب مع المصلين الخارجين من المسجد الأقصى المبارك والمساجد الأخرى، حيث وصفت بأنها التظاهرة الأضخم منذ احتلال القدس سنة 1967. وحاولت قوات الاحتلال منع جموع المصلين داخل البلدة القديمة من الخروج عبر بوابات السور تفادياً للالتحام مع الجماهير الغاضبة خارج الأسوار، فوقعت القوات بين الحشود، ممّا دفعها لطلب مزيد من التعزيزات التي أطلقت على المتظاهرين الرصاص المطاطي وقنابل الغاز بكثرة[87].

---

[86] نواف الزرو، **مرجع سابق**، ص 100.

[87] تيسير جبارة، **دور الحركات الإسلامية في الانتفاضة الفلسطينية المباركة** (فلسطين: دار الفرقان، 1992)، ص 52.

واعتاد المتظاهرون في مدينة القدس أن يهتفوا بهتافات وطنية وحماسية، ومنها: انتفاضتنا شعبية، بدها دولة وهوية، أعلنّاها سوية.. جميعنا فلسطينية.. إسلام ومسيحية.. وحدة وحدة وطنية.. فتح وجبهة شعبية. ثورة ثورة على المحتل.. غير الثورة ما في حلّ، ثورة ثورة عالمحتل.. غير المصحف ما في حلّ، ومن الهتافات كذلك: يا شهيد ارتاح ارتاح.. إحنا نواصل الكفاح، بالروح بالدم نفديك يا شهيد، لا إله إلا الله.. والشهيد حبيب الله، يا شباب انضموا انضموا.. والشهيد ضحى بدمو، خيبر خيبر يا يهود.. جيش محمد سوف يعود، كبّر يا مسلم كبّر.. راس الصهيوني فجّر، والله لأكتب عالحيطان.. شعب الأقصى ما بينهان، لا شرقية ولا غربية.. فلسطين إسلامية[88].

2. بيانات أو نداءات الانتفاضة، "المنشور":

كانت البيانات أو النداءات المكتوبة توجه للمقدسيين من أطراف ثلاثة: القيادة الوطنية الموحدة (حركة فتح، والجبهتين الشعبية والديموقراطية، وحزب الشعب)، أو من حركة المقاومة الإسلامية حماس، أو من حركة الجهاد الإسلامي. كل منها منفردة أو بدعوة عامة شاملة متزامنة مع بعضها البعض لاستقطاب جماهير المقدسيين للانتفاضة. وكانت هذه الدعوات تلقى استجابة كاملة أو جزئية أحياناً، إلا أن الإضرابات الشاملة كانت تلقى استجابة تامة بسبب متابعة اللجان المختصة لهذا الأمر[89].

في مدينة القدس، بدأ النشطاء الفلسطينيون بتوزيع بيانات الانتفاضة أواسط شهر كانون الأول/ ديسمبر، واستمروا في التوزيع بمعدل ثلاثة بيانات كل شهرين. وانتهت بيانات القيادة الوطنية الموحدة وكذلك حركة المقاومة الإسلامية حماس وقد اقتربت بياناتهما من الرقم مئة، وذلك في الربع الأول من سنة 1994.

وكانت نداءات البيانات تدعو لأيام تصعيد وأيام للغضب الفلسطيني ضمن برامج التصعيد الفلسطينية ومواجهة الإرهاب والاحتلال الصهيوني. وتشير الوثيقتان رقم (2) و(3) الموجودتان ضمن ملاحق هذا الكتاب إلى نموذج عن بيانات الانتفاضة. وقد حملت النداءات الصادرة عبر السنوات الست عناوين مختلفة، مثل: لا صوت يعلو فوق صوت الانتفاضة، لا صوت يعلو فوق صوت شعب فلسطين، نداء يوم الأرض،

[88] كمال علاونة، **مرجع سابق**.

[89] **المرجع نفسه**.

نداء يوم الأسير، نداء القسطل، نداء العمال، نداء فلسطين، نداء الطفل الفلسطيني، نداء معتقلي الانتفاضة، نداء القدس، نداء الأقصى المبارك، نداء الأضحى المبارك، نداء المبعدين، نداء شهداء الانتفاضة خلف القضبان، نداء شهداء المجازر، نداء المجلس الوطني، نداء الاستقلال، نداء عرس الدولة الفلسطينية المستقلة[90].

ويُبين تحليلٌ لمحتوى البيانات التي وزعت خلال الانتفاضة، أن الغالبية العظمى من أول 39 بياناً حوت على توجيهات لأساليب في المقاومة غير عنيفة، وعدد صغير منها حوت توجيهات لأنشطة عنيفة وغير عنيفة على حدٍ سواء[91].

وقد مثلت المساجد وسيلة عامة مهمة في الدعوة لتنفيذ فعاليات الانتفاضة. فمكبرات الصوت الخاصة بالمساجد المقدسية تحديداً في ضواحي المدينة، كانت بمثابة إذاعات ثورية تبث النداءات السياسية والعسكرية والجماهيرية لأبناء الشعب الفلسطيني، كل في منطقته[92].

3. رفع الأعلام والرايات، وكتابة الشعارات على الجدران:

دخلت الانتفاضة مرحلة جديدة ارتفعت فيها آلاف الأعلام الفلسطينية، وأعلام الفصائل، يعلقها المقدسيون على الجدران والبيوت والعمارات الشاهقة، وعلى مآذن المساجد وأسلاك الكهرباء، يقصدون بذلك إرهاق الجنود وهم يخلعونها من أماكنها، وكان الجنود يفقدون أعصابهم وهم يرون المكان مليء بالأعلام، وبالشعارات المرسومة على الحيطان والجدران[93].

تضمنت شعارات الانتفاضة على الجدران أصنافاً من التوجيهات والشعارات. واتفقت الفصائل على شعارات عامة، منها: لتستمر الانتفاضة، تحية لأطفال الحجارة، فلنقاطع العمل في المستوطنات، العودة للأرض واجب وطني وإسلامي، عيدنا يوم عودتنا، نعم للوحدة الوطنية، فلسطين عروسٌ مهرها دماءُ الشهداء، قاطعوا البضائع الإسرائيلية، يوم "كذا" إضراب شامل، وغير ذلك من الشعارات.

---

[90] **المرجع نفسه**.

[91] مازن قمصية، **مرجع سابق**، ص 218.

[92] كمال علاونة، **مرجع سابق**.

[93] نواف الزرو، **مرجع سابق**، ص 106.

أما حركة فتح وفصائل المنظمة فقد انفردت بشعارات خاصة بها ومن ذلك: ثورة حتى النصر، نموت واقفين ولا نركع، فتح في كل مكان، فتح مرت من هنا، المجد والخلود لشهدائنا الأبرار، الدولة الفلسطينية على مرمى حجر، الانتفاضة ضمير الشعب.. والشعب ضمير الثورة.

كذلك انفردت حركة حماس بعدد من الشعارات، من ذلك: إن تنصروا الله ينصركم، جند حماس للأقصى حراس، حماس هي الأساس، حماس هي الخلاص، حماس للناس نبراس، حماس وفيّه للأرض والقضية، خيْبر خيْبر يا يهود.. جيش محمد سوف يعود.

وانفردت حركة الجهاد الإسلامي بعدد آخر من الشعارات منها: الجهاد الإسلامي هو طريق الكفاح المسلح، الجهاد نورٌ وصقور، اظهر اظهر يا جبان.. الجهاد بطل الميدان، الله غايتنا والجهاد دربنا، لا للانتخابات، لا للحكم الذاتي، لا لأي بديل عن تحرير كامل فلسطين، وغير ذلك[94].

4. الإضرابات العامة والجزئية:

جاء إضراب الانتفاضة الأولى الشامل ليمتد أشهراً طويلة، ثمّ ما لبث المقدسيون، أن انتهجوا برنامجاً خاصّاً، فصاروا يفتحون أبواب المؤسسات والمحال التجارية والمواصلات العامة ثلاث ساعات بين الصباح والظهر، وكانت الخدمات الصحية كالمشافي والعيادات الداخلية والخارجية تستثنى من الإضراب الشامل. وشيئاً فشيئاً صار للحياة المقدسية في ظلّ الانتفاضة الأولى نمطاً خاصاً استدرك السلبيات التي نتجت عن إغلاق هذه المؤسسات، على الصّعد التعليمية والاقتصادية والاجتماعية[95].

مثّل الإضراب في مدينة القدس رسالة قاسية بوجه الاحتلال، فقد بذل الإسرائيليون خلال سنوات ما قبل الانتفاضة جهوداً كبيرة للوصول إلى هدفٍ استراتيجي، يتمثل بجعل مدينة القدس موحّدة بين شقيها، وغالبية سكانها من اليهود، مع نسبة الربع من الأقليات الأخرى، وهذا ما يفسّر قسوة قوات الاحتلال مع أصحاب المحال التجارية المقدسيين، فتجبرهم حيناً على فتح محالهم، وحيناً تقتحمها مستعينة بطواقم الضريبة

[94] كمال علاونة، **مرجع سابق**.

[95] **المرجع نفسه**.

والوحدات الخاصّة التابعة لوزارات الداخلية أو الأشغال أو البلدية، فجاءت الانتفاضة ومعها الإضراب، ليجعلا من الحلم الإسرائيلي وهماً متبدّداً[96].

5. استعمال الحجارة و"الأكواع" والمولوتوف:

ابتدأت الانتفاضة أوّل الأمر بطلبة المدارس والجامعات، الذين أخذوا يطلقون الحجارة تجاه جنود الاحتلال ومركباته ومجنزراته، فيقذفون الحجارة إما بواسطة "مقلاعٍ بشعبتينِ"، أو "مقلاعٍ دوّارٍ"، أو "المنجنيق الحجري"، وكانت المسافة بين المتظاهرين وقوات الاحتلال في الأيام الأولى كبيرة، ثم صار الخوف يزول من صدور الشبان شيئاً فشيئاً. فصار المقدسيون يخترعون أساليب متعدّدة في إلقاء الحجارة لتصيب الجنود بشكلٍ دقيقٍ ومباشر، حتى غدت الانتفاضة تسمّى "ثورة الحجارة"، الأمر الذي أفقد الجنود صوابهم، فصاروا بدورهم يطلقون قنابل الغاز المسيل للدموع، والرصاص الحيّ والمطاطي مستهدفين المتظاهرين مباشرة.

ثم ما لبث نشطاء الانتفاضة أن استخدموا أدوات أخرى إلى جانب الحجارة. فصنعوا عبوات ناسفة محلية أسموها بـ"الأكواع"، وهي أنابيب حديدية منحنية على شكل الزاوية أو الكوع وتباع لدى محلات السّباكة، يضعون فيها مادة قابلة للانفجار كالكبريت أو الرصاص أو البارود، إضافة إلى برادات الحديد والمسامير الملوثة بسمّ الفئران، ويوصلون صاعقاً بين داخل الكوع وخارجه، ويغلقون طرفيه بإحكام، ثم يشعلون الصاعق عند إلقاء الكوع نحو الهدف المراد[97].

واستخدم النشطاء الفلسطينيون الزجاجات الحارقة (المولوتوف Molotov) إلى جانب "الأكواع". وكان لهذه الزجاجات تأثيرٌ كبير ضدّ قوات الجنود والمستوطنين، ممّا دفع وزير الحرب الإسرائيلي إسحق رابين Yitzhak Rabin أن يصدر قراراً عسكرياً في 1988/3/18 بإطلاق الرصاص الحيّ على قاذفي الزجاجات الحارقة، وتضمن القرار الموافقة على قيام المستوطنين بإطلاق الرصاص كذلك إذا تعرضوا لهذه الزجاجات[98].

---

[96] نواف الزرو، **مرجع سابق**، ص 101.

[97] **المرجع نفسه**، ص 108.

[98] سمير أبو خطاب، "أساليب المقاومة الشعبية في الانتفاضة،" مجلة **صامد الاقتصادي**، رام الله، العدد 75، 1998، ص 197.

وقد تعرض المتظاهرون المقدسيون للحافلات الإسرائيلية المنتشرة غرب المدينة وشرقها، التابعة لشركة إيجد Egged الإسرائيلية، حيث زعم الإسرائيليون كما ورد في صحيفة هآرتس Haaretz الإسرائيلية في 1990/9/28، أن المقدسيين استهدفوا هذه الحافلات بـ3,600 عملية، من ضرب بالحجارة، أو الزجاجات الحارقة، أو تمزيق العجلات، أو إتلاف زجاجها وأصباغها، فيما كان نصيب هذه الحافلات من الإحراق 80 عملية، أدت إلى حرقها بالكامل، وذلك في الفترة ما بين 1987 وحتى نهاية أيلول/ سبتمبر 1990، وكانت نتيجة الإصابات البشرية منها 22 قتيلاً إسرائيلياً و490 جريحاً[99].

وقد أوردت صحيفة هآرتس الإسرائيلية في 1989/10/8، تقريراً حول ما سبق من الفعاليات جاء فيه: "لقد وقع عام 1988م، ما مجموعه 1,766 حادث إلقاء حجارة في منطقة القدس، إضافة إلى 1,229 عملية رفع للأعلام الفلسطينية، و708 عملية إغلاق للطرق، و283 عملية إشعال للإطارات"، بينما نشرت صحيفة دافار Davar الإسرائيلية الصادرة في 1991/5/21 أن قوات حرس الحدود عالجت في منطقة القدس خلال سنة 1990، قرابة 3,506 حوادث تتعلق بالنظام والأمن، واعتقلت 5,908 متظاهرٍ فلسطيني، ونحو 3,202 متهماً بالقيام بأعمال مناهضة لـ"إسرائيل"[100].

6. إحراق المركبات والأحراش والممتلكات الإسرائيلية:

لم يكن أسلوب الإحراق الذي اتبعه شبّان الانتفاضة المقدسيون، أقل تدميراً لفكرة "القدس الموحدة" التي يدعو إليها الاحتلال من غيره من الأساليب، وقد حرص المقدسيون على استهداف معالم الاحتلال ومظاهره في المدينة، فابتدعوا فكرة إحراق المركبات التابعة للمستوطنين تحديداً، وغدت عمليات الحرق ميداناً جديداً يتنافس فيه أبناء الفصائل الوطنية، وقد ذكرت الصّحف الإسرائيلية الصادرة في تشرين الأول/ أكتوبر 1991، أن ما بين 250–300 مركبة إسرائيلية قد أحرقت سنوياً منذ بداية الانتفاضة، وكذلك إحراق 45 مسكناً إسرائيلياً في الفترة ذاتها، إضافة إلى عدد من المصانع والمشاغل. كما تمّ تسجيل 23 عملية إحراق لمواقع مختلفة في الغابات والأحراش المحيطة بالمستوطنات، في الشق الغربي من المدينة[101].

---

[99] نواف الزرو، **مرجع سابق**، ص 104. نقلاً عن صحيفة **هآرتس** العبرية.

[100] **المرجع نفسه**، ص 106.

[101] **المرجع نفسه**، ص 103.

7. السلاح الأبيض والعمل المسلح:

دخلت الانتفاضة الأولى مرحلة جديدة، إذ انخفضت في السنة الثانية من الانتفاضة أعداد المتظاهرين الذين يخرجون بالآلاف، ولكن بالمقابل صارت مجموعات منظمة من المقدسيين، تستعمل السلاح الأبيض في مقاومتهم للاحتلال، فيما حرصت مجموعات أخرى على اقتناء سلاحٍ ناري.

وقد كان أبرز تصعيد في عمليات الطعن بالخناجر، في أعقاب المجزرة التي اقترفها الكيان الصهيوني في ساحات المسجد الأقصى المبارك في 1990/10/8، حيث قتلت السلطات 19 مقدسياً بالرصاص الحيّ، ممّا دفع العديد من الفلسطينيين في مدينة القدس والضفة الغربية وقطاع غزة للانتقام لشهداء المسجد الأقصى. أما أشهر عمليات الطعن هذه فقد كانت على يد المقاوم عامر أبو سرحان من بلدة العبيدية جنوب القدس، حيث قتل وجرح في 1990/10/21 عدداً من الإسرائيليين قبل أن يتم إطلاق النار عليه من قبل ضابط إسرائيلي، إلا أن سرحان تقدم إلى الضابط وقتله، وعلى الرغم من أن عملية سرحان كانت عملية فردية، إلا أنها دشنت مرحلة جديدة في الانتفاضة الأولى، ونقلتها من الحجارة إلى السكاكين[102].

لا ينحصر تأثير الخنجر أو السكين كأداة نضالية مهمة في المقاومة الشعبية، في جانبه المادي أو في ما يحققه من خسائر، ولكن التأثير الحقيقي له يكمن في جانبه المعنوي، ذلك أنه يغرس بذور الخوف والذعر في جنود الاحتلال ويجعلهم يتحاشون الدخول منفردين بين الفلسطينيين أو في الأماكن العامة. ويصبح هاجس السكين محفوراً في ذاكرته، فلا يدري من أين تأتيه الطعنة[103].

واستخدمت خلية مقدسية السكاكين في خطف الجندي الإسرائيلي نسيم طوليدانو Nissim Toledano في 1992/12/14، بهدف مبادلته بأسرى فلسطينيين وفي مقدمتهم الأسير الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة حماس، الذي بقي في السجن خلال الفترة 1989–1997، ولمّا لم تستجب قوات الاحتلال لشروط الخلية الخاطفة، قامت الخلية بقتل الجندي، وإلقاء جثته بجانب الطريق المؤدي إلى مدينة أريحا.

---

[102] سمير أبو خطاب، **مرجع سابق**، ص 196.

[103] **المرجع نفسه**.

ويشير الجدول رقم (1) الذي أعده المؤلف والمثبت ضمن ملاحق الكتاب إلى الحقائق التالية:

- نفذت المقاومة في مدينة القدس عشر عمليات عسكرية خلال تسعة أشهر من الانتفاضة الأولى، أولها في 1992/12/13، وآخرها في 1993/9/22.
- أدت العمليات العسكرية في مدينة القدس إلى مقتل 10 عسكريين وامرأة إسرائيلية، إضافة إلى إصابة 19 إسرائيلياً بجروح.
- نفذت المقاومة ستّ عمليات خطف خلال هذه الفترة، أربع عمليات منها لجنود، وقد تمّ قتلهم بسبب صعوبة الاحتفاظ بهم أو لمحاولة الجنود مقاومة خاطفيهم، والعملية الخامسة تمكن فيها الجندي المخطوف من الفرار. أما العملية السادسة فقد اختطف فيها المقاومون حافلة إسرائيلية، وانتهت العملية باستشهاد المنفذين.
- أشرفت إحدى الخلايا المقدسية على تنفيذ أربع عمليات عسكرية، ما بين خطف ودعس وإطلاق نار، وأدت إلى مقتل ثلاثة جنود وإصابة ضابطين بجروح.
- انفردت كتائب القسام بتنفيذ تسع عمليات عسكرية، بينما لم تعلن أيّ جهة فلسطينية عن العملية العاشرة التي حصلت في 1993/8/12.

وقد كشفت صحيفة هآرتس العبرية في 1989/10/8، أن "218 عملية مسلحة وعنيفة" وقعت في مدينة القدس في سنة 1988، وشملت هذه العمليات العبوات الناسفة، والزجاجات الحارقة، والطعن بالخناجر، فيما وقعت 262 عملية مشابهة في سنة 1989، بينما أوردت مجلة بمحانيه العسكرية الإسرائيلية في عددها الصادر في 1991/3/27، أن 17 إسرائيلياً قتلوا، و351 آخر جرحوا جراء تنفيذ 43 عملية طعن بالخناجر خلال سنة واحدة، بين نيسان/ أبريل 1990 وآذار/ مارس 1991[104].

بينما أشارت دراسة إسرائيلية إلى أنه في الأعوام الثلاثة الأخيرة من الانتفاضة الأولى، وحتى نهاية سنة 2000، شهدت وقوع 73 عملية إطلاق نار في القدس، و73 عملية ضرب بالسكين، وإلقاء 30 عبوة ناسفة، وشارك 23 شاباً في عمليات استشهادية، وانفجرت سبع مركبات مفخخة[105].

[104] نواف الزرو، **مرجع سابق**، ص 105.

[105] جادي فارن وآخرون، **مرجع سابق**، ص 38.

ج. سمات وخصائص:

تعدُّ الانتفاضة الأولى طويلة النفس، ويمكن تصنيفها كمقاومة استنزاف طويلة الأمد، وأعادت زمام العمل المقاوم إلى داخل الأراضي المحتلة، بما في ذلك مدينة القدس. وشملت شرائح وقطاعات شعبية كثيرة، وامتازت بعدد من الميزات، أهمها:

- مرت الانتفاضة بعدة مراحل ثورية متشابكة مع بعضها البعض، تسلسلت تدريجياً من مرحلة التمهيد العفوية، ومشاركة شعبية عفوية غير منظمة، ثمّ مرحلة الإعداد والتنظيم العام المؤطر بإشراف القوى السياسية الوطنية والإسلامية. وهذه المرحلة نقلت المقاومة من الارتجال إلى البرامج والخطط، ثمّ تلتها مرحلة المشاركة الشعبية، حيث عمّت الإضرابات العامة والتظاهرات الكبيرة مختلف الأرجاء، ثمّ أعقبها مرحلة بناء الهيئات واللجان الجماهيرية. ويمكن وصف هذه المرحلة —تحديداً في الضفة الغربية— بأنها مرحلة محاولة إنشاء إدارة مدنية وطنية ذاتية، بالرغم من ضعف المحاولة، وكانت المحاولة ضعيفة جداً في ضواحي مدينة القدس، وشبه معدومة في أحياء المدينة[106].
- دخلت الانتفاضة بعد عامين من انطلاقتها مرحلة الانكفاء الجماهيري وعدم المشاركة في الفعاليات العامة لعدد من العوامل والأسباب، أهمها: الإرهاب العسكري الإسرائيلي ضدّ الفلسطينيين، والصراع التنظيمي الميداني بين الفصائل، وطول فترة الانتفاضة، والاختراقات الأمنية الإسرائيلية، وافتعال الفتن الداخلية، وتدهور الوضع الاقتصادي للجمهور، وطرح مبادرات سياسية يائسة من قبل فلسطينيين ينادون بالتخلي عن بعض الثوابت الوطنية؛ ممّا أسهم في بثّ بعض اليأس والإحباط لدى شريحة واسعة من الناس، وتناقص الدعم العربي والإسلامي للشعب الفلسطيني بعد حرب الخليج الثانية سنة 1991، نتيجة الأزمة السياسية بين القيادة الفلسطينية والقيادة العربية الممولة للانتفاضة كالسعودية والكويت والإمارات المتحدة، في أعقاب تأييد القيادة الفلسطينية للعراق في غزوها للكويت، ثم أخيراً الشروع بفعاليات مؤتمر مدريد للسلام، سنة 1991، وتصادم البرامج السياسية بين الحركات والفصائل الفعالة في الانتفاضة[107].

---

[106] كمال علاونة، **مرجع سابق**.

[107] **المرجع نفسه**.

- ارتكزت الانتفاضة على عدة ركائز فلسطينية محضة، سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، تعكس صورة رمزية للسيادة الوطنية الفلسطينية. حيث قرر قادة الانتفاضة متى تفتح المؤسسات والأسواق، ومتى يكون فتح الطرق أو إغلاقها، ومتى يكون دوام الموظفين أو إضرابهم، ودعوا إلى الامتناع عن العمل في مؤسسات الإدارة المدنية المختلفة، وإلى استقالة الفلسطينيين الذين يخدمون في سلك الشرطة[108].
- حظيت مدينة القدس بعد عام من الانتفاضة، باحتضان أبرز قادتها على اختلاف الفصائل والحركات، وكانت التوجيهات المركزية تنطلق منها إلى سائر المحافظات. ورأى قادة الاحتلال دور القدس المركزي يعكس مكانة المدينة في نفوس الفلسطينيين، فقد صرحت صحيفة يديعوت أحرونوت Yedioth Ahronoth الإسرائيلية الصادرة في 1990/11/26، قائلة: "منذ بداية الانتفاضة كانت القدس مركز الانتفاضة السياسية، وكان هناك عنف بمقاييس محتملة، غير أن القدس تحوّلت في أعقاب أحداث الحرم [المسجد الأقصى] 1990، إلى مركز العنف والسياسة معاً، الانتفاضة والنزاع الإسرائيلي الفلسطيني"[109].
- اتسمت الحركات الوطنية المقدسية المنضوية في منظمة التحرير الفلسطينية عشية الانتفاضة بنشاط مضاعف، وتحديداً مؤسسة بيت الشرق (الأوريانت هاوس Orient House)، حيث نحت المؤسسة منحى سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، واستقبل رئيسها فيصل الحسيني المسؤولين والديبلوماسيين.
- برزت قيادة إسلامية تمثلت بحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، حيث أثبتت منافسة قوية لنظيراتها من القوى الوطنية، فخاطبت المقدسيين بشكل مباشر ودعتهم لتنفيذ برنامجٍ شهري في مقاومة الاحتلال، موازٍ لبرنامج منظمة التحرير الفلسطينية المتمثل في "القيادة الوطنية الموحدة"[110].

---

[108] قسم الأرشيف والمعلومات – مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، **المقاومة الشعبية في فلسطين**، سلسلة تقرير معلومات (26)، ص 12.

[109] نواف الزرو، **مرجع سابق**، ص 151.

[110] كمال علاونة، **مرجع سابق**.

د. تضحيات الفلسطينيين وخسائر الإسرائيليين:

1. تضحيات الفلسطينيين:

بقدر ما تعدُّ التضحيات دلالة على الخسائر، فإنها تعدُّ كذلك أحياناً علامة على حجم المقاومة ونوعيتها. وقدم الفلسطينيون التضحيات وسقط منهم الشهداء والجرحى، واعتقل منهم المئات. عدا التضحيات الكبيرة في جوانب التعليم والصحة والاقتصاد وغير ذلك.

الشهداء:

يشير الجدول رقم (2) الذي أعده المؤلف والمثبت ضمن الملاحق إلى أن عدد الشهداء الفلسطينيين في مدينة القدس في الانتفاضة الأولى وحتى تاريخ توقيع اتفاقية أوسلو في 1993/9/13 بلغ 84 شهيداً، وهم موزعون كالتالي:

- 28 شهيداً من الأطفال أو القاصرين، أي ما نسبته 33% من مجموع الشهداء.
- 51 شهيداً ممن أعمارهم بين 18–30 عاماً، ونسبتهم 60% من مجموع الشهداء.
- 18 شهيداً ممن أعمارهم بين 31–59 عاماً، ونسبتهم 21% من مجموع الشهداء.
- منهم 5 شهداء أعمارهم فوق 60 عاماً، ونسبتهم 6% من مجموع الشهداء.
- شهدت سنة 1990 أعلى نسبة من الشهداء، إذ ارتقى فيها 28 شهيداً، وارتقى سنة 1989، 27 شهيداً، وفي سنة 1988، 17 شهيداً، وفي سنة 1992، 8 شهداء، وشهيدان في سنة 1991، وشهيدٌ واحد في كل من سنتي 1987 و1993.

مع الانتباه إلى أن الجدول المذكور يشير إلى (مكان الاستشهاد) وليس (البلد الذي ينتمي إليه الشهيد). وقد أشارت دائرة شؤون الوطن المحتل، التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية، أن 69 مقدسياً قد ارتقوا بين كانون الأول/ ديسمبر 1987، وحتى تشرين الأول/ أكتوبر 1990[111].

الأسرى:

يشير الجدول رقم (3) الذي أعده المؤلف والمثبت ضمن ملاحق الكتاب، إلى أصحاب الأحكام العالية من الأسرى المقدسيين خلال الانتفاضة الأولى. ومن هذا الجدول نستنتج ما يلي:

[111] نواف الزرو، **مرجع سابق**، ص 106.

- هناك 24 أسيراً مقدسياً اعتقلوا خلال الفترة 1987–1993.
- أصدرت محاكم الاحتلال خلال 1987–1993، على 17 مقدسياً بالسجن المؤبد من أصل 24، فيما حكمت على 7 آخرين بالسجن لمدد تزيد عن 20 عاماً.

ويشير الجدول رقم (4) الذي أعده المؤلف والمثبت ضمن ملاحق الكتاب، إلى حالات استشهاد عدد من الأسرى المقدسيين عقب اعتقالهم، نتيجة للتعذيب في أثناء التحقيق، أو بسبب الإهمال الطبي من قبل إدارة السجون الإسرائيلية. ونلاحظ من الجدول أن سببي "الإهمال الطبي والتعذيب في أثناء التحقيق" كانا وراء ارتقاء أربعة أسرى شهداء. بينما بلغ عدد الأسرى الذين استشهدوا عقب أسرهم منذ احتلال المدينة 17 أسيراً، منهم 13 أسيراً ما بعد الانتفاضة الأولى وحتى كتابة هذا الكتاب.

إحصائيات مقارنة:

نجم عن القمع العسكري الإسرائيلي خسائر فادحة خلال فترة الانتفاضة ما بين سنة 1987 وأيار/ مايو 1994، فعلى صعيد الخسائر البشرية، بلغ عدد من قتل من الفلسطينيين على أيدي قوات الاحتلال 1,392 شهيداً، منهم 353 طفلاً. وأما عدد المصابين فبلغ 130,787 من الجرحى، وزجت قوات الاحتلال الإسرائيلي بأكثر من 160 ألف معتقل وأسير في السجون والمعتقلات الإسرائيلية، كما بلغ عدد المعتقلين الإداريين (بلا محاكمة) 18,211 معتقلاً. وتمّ إبعاد 489 فلسطينياً خارج الوطن. معظمهم في كانون الأول/ ديسمبر 1992 عندما أبعدت قوات الاحتلال 416 شخصاً من أنصار وقيادات حركتي حماس والجهاد الإسلامي إلى مرج الزهور في جنوب لبنان.

كذلك صادرت قوات الاحتلال ما مساحته 457,834 دونماً (نحو 457.83 كم^2)، ودمّرت آلاف الدونمات الزراعية، وقطعت من الشجر المثمر ما مجموعه 185,489 شجرة. وبلغ عدد البيوت التي هدمتها 2,401 بيتاً، منها 510 بيوت بذرائع أمنية، و107 بيوت بحجة العمليات العسكرية، وتمّ إغلاق 382 بيتاً، كما هدمت سلطات الاحتلال 1,402 بيتاً بحجة عدم الترخيص من قبل الدوائر الإسرائيلية المختصة[112].

[112] كمال علاونة، **مرجع سابق**.

2. الخسائر الإسرائيلية في الانتفاضة الأولى:

سقط من الإسرائيليين في الانتفاضة الأولى نتيجة المقاومة في مدينة القدس 10 جنود إسرائيليين وأصيب 19 آخرون بجروح مختلفة، إضافة إلى مقتل مستوطنة إسرائيلية واحدة.

وقد أشارت التقديرات إلى أن الأشهر الثلاثة الأولى من الانتفاضة شهدت انخفاضاً في الإيرادات الحكومية بنسبة 30% بالمقارنة مع الفترة المماثلة من سنة 1986، وارتفعت نفقات العمليات العسكرية بشكل كبير، وتراجعت السياحة والصادرات الإسرائيلية[113].

كما كشفت صحيفة عل همشمار Al HaMishmar الإسرائيلية أن الأجهزة الأمنية الإسرائيلية اضطرت إلى إنفاق ملايين الشواكل على إعادة تشكيل طواقمها العاملة في مدينة القدس، كما اضطرت إلى إقامة وحدات شرطية إضافية مختصة بمتابعة حوادث الانتفاضة على مدى 24 ساعة، وخصوصاً في مناطق التماس بين الأحياء العربية واليهودية، كأحياء الثوري ويجاورها الحيّ اليهودي الغربي، وضاحية البريد وتجاورها مستوطنة نيفي يعكوف Neve Yakov جنوباً، وصور باهر وتجاورها مستوطنة آرمون هانتسيف Armon HaNetziv شمالاً. وأشارت المصادر الإسرائيلية أن الخسائر الناتجة عن إحراق المركبات والممتلكات اليهودية وكذلك حرق الأحراش، بلغت ما بين 75–100 مليون شيكل (نحو 35.9–47.8 مليون دولار)[114].

وتحدثت صحف دافار ويديعوت أحرونوت وهآرتس الإسرائيلية، أواخر سنة 1989، عن حالة الفزع السائدة في أوساط الشارع الإسرائيلي، جرّاء تنامي حوادث الطعن والحرق واستهداف الحافلات الإسرائيلية[115].

إضافة إلى تعرّي قوات الاحتلال أمام الرأي العالمي بشكل غير مسبوق، بعدما بثت قنوات الإعلام صور جنود الاحتلال وهم يحطمون أيدي الفتية الفلسطينيين وأرجلهم

---

[113] مازن قمصية، **مرجع سابق**، ص 221.

[114] سمير أبو خطاب، **مرجع سابق**، ص 199.
ملاحظة: تمّ اعتماد سعر صرف الدولار مقابل الشيكل الإسرائيلي وفق معطيات بنك "إسرائيل" المركزي خلال الفترة 1987–1993، حيث بلغ معدل سعر الصرف 2.09.

[115] أحمد فارس عودة، **مرجع سابق**، ص 182.

بالعصيّ وأعقاب البنادق. كذلك ترسخت "عدم شرعية الاحتلال"، مما دفع بالكثير من المسؤولين الإسرائيليين للمطالبة بالانسحاب من الأراضي المحتلة سنة 1967[116].

وعلى صعيد الآثار النفسية السيئة على جنود الاحتلال الذين واجهوا الانتفاضة، أكد خمسمئة عالم وباحث نفسي إسرائيلي أن ممارسة جنود الاحتلال للقمع في الأراضي المحتلة، ستجلب أنماطاً سلوكية ومشاكل أخلاقية مدمرة للمجتمع الإسرائيلي، فيما حذر جنرال متقاعد إسرائيلي قائلاً: "إذا ما استمر جنودنا بهذا العمل، فإن الخطر الحقيقي أن يتحولوا إلى بهائم"[117].

هـ. مقاومة المقدسيين وتضحياتهم في الفترة 1993–2000:

بالرغم من توقف الانتفاضة الأولى سنة 1993، لأسباب موضوعية وأخرى ذاتية، ونتيجة اتفاق أوسلو الموقّع بين قيادة منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية في 1993/9/13، إلا أن المقاومة الفلسطينية استمرت في مدينة القدس بتنفيذ عدد من العمليات الموجهة نحو الجنود والمستوطنين الإسرائيليين.

1. المقاومة في مدينة القدس في الفترة 1993–2000:

يشير الجدول رقم (6) الذي أعده المؤلف والمثبت ضمن ملاحق الكتاب، إلى عمليات المقاومة المقدسية ضدّ قوات الاحتلال في الفترة 1993–2000، ومن هذا الجدول نستنتج الحقائق التالية:

- نفذت المقاومة في الفترة المذكورة، 14 عملية أوقعت 92 قتيلاً إسرائيلياً ما بين جندي ومستوطن، إضافة إلى إصابة 590 آخرين.
- نفذت المقاومة 7 عمليات استشهادية، و5 محاولات خطف للجنود إضافة إلى محاولة خطف حافلة إسرائيلية. ونفذت كذلك عملية إطلاق نار واحدة.
- نفذت المقاومة أول عملية عقب توقيع اتفاقية أوسلو بشهر ونصف، وذلك في 1993/10/30، فيما نفذت آخر عملية في 1998/11/16.
- توزعت أعمال المقاومة على فصيلين اثنين فقط، فصيل كتائب القسام وقد نفذت 11 عملية، وأوقعت 71 قتيلاً و555 مصاباً. وفصيل سرايا الجهاد الإسلامي وقد

[116] المرجع نفسه.

[117] المرجع نفسه.

نفذت عملية واحدة وأوقعت قتيلين إسرائيليين وأصابت 24 آخرين. فيما اشترك الفصيلان بعملية استشهادية واحدة في 1996/3/3 وأوقعت 19 قتيلاً وأصابت 10 آخرين.

وقد ذكرت دراسة إسرائيلية عمليات المقاومة في مدينة القدس في الفترة 1990–2000 وهي: 73 عملية إطلاق نار، و73 عملية ضرب بالسكين، وإلقاء 30 عبوة ناسفة، وشارك 23 شاباً في عمليات استشهادية، وانفجرت سبع مركبات مفخخة[118].

وقد شهدت سنوات ما بين 1994–1998 بروز "المهندس الثاني" في عمليات تصنيع الأحزمة والعبوات الناسفة، وهو المقدسي محيي الدين الشريف، حيث خلف المهندس الأول يحيى عيّاش الذي استشهد سنة 1995، وقد شارك محيي الدين في عدد من العمليات البارزة داخل القدس ومحيطها، وكذلك في العمليات التي نفذت في مدينة تل أبيب، إلى أن استشهد سنة 1998.

2. تضحيات المقدسيين في الفترة 1993–2000:

يشير الجدول رقم (5/أ) الذي أعده المؤلف والمثبت ضمن الملاحق، إلى أعداد الشهداء في مدينة القدس في فترة 1993–2000، وإلى أعمارهم وتواريخ استشهادهم، ومن الجدول نستنتج كذلك:

- أن عدد المقدسيين الذين استشهدوا في فترة 1994–2000، بلغ 13 مقدسياً.
- وأن سنة 1994 وحدها قد شهدت استشهاد 9 مقدسيين، بينما استشهد 3 آخرون سنة 1998، واستشهدت امرأة واحدة سنة 1999.
- كذلك كان من هؤلاء 4 مقدسيين قد استشهدوا في سنتي 1998–1999 طعناً حتى الموت غربي القدس، وكانت أعمارهم فوق الأربعين عاماً.

أما الجدول رقم (5/ب)، فيشير إلى الاعتداءات التي تعرض لها المقدسيون بالطعن في الفترة نفسها 1993–2000، وتفصيل ذلك كما يلي:

- تعرّض 14 مواطناً مقدسياً للاعتداء بالطعن، من قبل مستوطنين إسرائيليين ما بين 1993–2000.

[118] جادي فارن وآخرون، **مرجع سابق**، ص 38.

- نسبة الذين طعنوا حتى الموت 28% من المعتدى عليهم، وتتجاوز أعمارهم الأربعين عاماً. فيما أصيب 3 مقدسيين بجروح خطيرة، و7 منهم أصيبوا بجراح متوسطة.
- حدثت عشرة اعتداءات بالطعن في حيّ ميئه شعاريم الذي يستوطنه يهود متطرفون، أي ما نسبته 71% من مجموع عمليات الطعن.
- شهدت سنة 1998 وحدها، عشرة اعتداءات بالطعن، فيما وقع اعتداءان سنة 1999 ومثلهما سنة 2000.

كما تعرض مئات المقدسيين في الفترة المذكورة إلى الاعتقال، وقد اعتقل بعضهم أكثر من مرة، وفي استعراضنا للمعتقلين ذوي الأحكام العالية، فإن الجدول رقم (3) والمثبت ضمن ملاحق البحث، يشير إلى أصحاب الأحكام العالية من الأسرى المقدسيين في الفترة 1993–2000. ومن هذا الجدول نستنتج أن محاكم الاحتلال أصدرت على 8 مقدسيين من أصل 24 بالسجن المؤبد، وعلى 8 آخرين لمدد تزيد عن 20 عاماً، و8 آخرين كذلك لمدد تزيد عن 10 أعوام.

3. خسائر الإسرائيليين:

تمثلت أبرز خسائر الإسرائيليين خلال 1993–2000 بالقتلى الإسرائيليين من الجنود والمستوطنين الذين بلغ عددهم 92 قتيلاً، إضافة إلى إصابة 590 آخرين.

خلاصة:

على الرغم من استمرار ادعاء "إسرائيل" بأنها دولة ديموقراطية، إلا أنها أدركت أنها لن تتحمل تبعات وتداعيات انتفاضة الحجارة التي عبّرت بعمق عن البعد الشعبي، بعد سنوات من انحسار المقاومة المسلحة التي مارسها الفلسطينيون ضدّ الاحتلال الإسرائيلي من خارج فلسطين.

فقد بدت إرهاصات تعرية "إسرائيل" أمام الرأي العالمي، وعودة القضية الفلسطينية إلى مقدمة الاهتمام العربي والإسلامي، تشيران إلى مرحلة جديدة من التعاطف تجاه الفلسطينيين. وبات المجتمع الدولي أكثر تفهماً ووعياً للقضية الفلسطينية، بسبب الصورة "اللاعنفية" التي أبدعها الفلسطينيون في أثناء الانتفاضة، بالرغم من كافة الأساليب القمعية والإجرامية التي اتبعتها دولة الاحتلال في قمع الفلسطينيين.

ومما أقلق القيادة الإسرائيلية، غلبة التوجه الإسلامي على الكثير من نواحي المقاومة، إضافة إلى أن موقع القدس والمسجد الأقصى ومكانتهما في قلوب العرب والمسلمين، يجعل صدى المقاومة وتداعياتها الإعلامية أضعاف قريناتها في مواقع أخرى من الضفة الغربية أو قطاع غزة أو الداخل الفلسطيني.

2. الانتفاضة الثانية: انتفاضة الأقصى (2000–2004):

أ. أسباب اندلاع الانتفاضة الثانية:

1. الأسباب المباشرة:

تفجرت الانتفاضة الفلسطينية الثانية المسماة "انتفاضة الأقصى" في 2000/9/28، وكان السبب المباشر لاندلاعها قيام وزير الحرب الإسرائيلي السابق أريل شارون باقتحام المسجد الأقصى المبارك بحراسة ثلاثة آلاف جندي إسرائيلي، الأمر الذي أجج غضباً عارماً في أوساط الفلسطينيين في كافة أماكن تواجدهم.

ثم كان لواقعة اعتداء قوات الاحتلال الإسرائيلي، على الطفل محمد الدرة في قطاع غزة، بعد يومين من اقتحام شارون للمسجد الأقصى، وقتله بالرصاص وإصابة والده بجروح، ثم قتل رجل الإسعاف الذي قدم لمساعدتهما، إضافة إلى اعتداءات أخرى، سبباً مباشراً إضافياً في تأجيج مشاعر الغضب، التي انعكست في وجه الاحتلال على صورة مظاهرات عارمة في كافة مواقع التماس مع قوات الاحتلال، بما في ذلك مدينة القدس.

وقد حصدت الانتفاضة الثانية في كافة مواقعها بما فيها مدينة القدس 4,242 شهيداً و46,068 جريحاً، فيما وصل عدد الأسرى مع نهاية سنة 2005 إلى 9,200 أسير[119].

2. الأسباب غير المباشرة:

ازدادت الهجمة الشرسة من قبل سلطات الاحتلال على المقدسيين والمقدسات، نهاية التسعينيات من القرن العشرين، ولم تتوقف عمليات هدم البيوت ومصادرة الأراضي وسحب الهويات وإغلاق المؤسسات، إضافة إلى الانتهاكات المتكررة للمسجد الأقصى المبارك، والاستمرار في عمليات الحفر تحته والكشف عن مزيد من الأنفاق تحت أساسات المسجد وفي محيطه.

---

[119] محسن محمد صالح، "حركة المقاومة الإسلامية (حماس): قراءة في رصيد التجربة 1987–2005،" في **حركة المقاومة الإسلامية (حماس): دراسات في الفكر والتجربة** (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2014)، ص 52.

وقد أشارت الدراسات أن سلطات الاحتلال أنشأت منذ احتلالها للمدينة وحتى سنة 2000، 43 ألف وحدة استيطانية شرقي القدس، وبلغ عدد قاطنيها من المستوطنين 182 ألفاً، وقامت السلطات بسحب ما يزيد عن 7,100 بطاقة شخصية (الهوية الزرقاء) من المقدسيين، وهدمت مئات المنازل والممتلكات، كما قامت بإغلاق أربعمئة محل تجاري وأكثر من ألفي ورشة عمل[120].

كما سبق وكمقدمة للانتفاضة الثانية، أن انتفض الفلسطينيون في وجه قوات الاحتلال ثلاثة أيام متوالية سنة 1996، في أعقاب إعلان سلطات الاحتلال عن فتح نفق بمحاذاة السور الغربي للمسجد الأقصى المبارك في 1996/9/24، وقد أطلق الفلسطينيون على مقاومتهم تلك اسم "انتفاضة النفق".

ومن الطبيعي اعتبار كافة أسباب الاحتقان والضغط الناتجة عن سياسات الاحتلال الهادفة إلى محاصرة الوجود الفلسطيني وسلبه هويته واستقراره، أسباباً غير مباشرة لاشتعال الانتفاضة الثانية سنة 2000.

ب. سمات وخصائص:

راوحت أساليب المقاومة لدى المقدسيين في الانتفاضة الثانية بين الحجارة وأدوات السلاح الأبيض لمدة أربعة أشهر، ثم ما لبثت أن قفزت إلى المرحلة الثانية باستخدام السلاح الناري والأعمال التفجيرية والاستشهادية. وقد اتسمت الانتفاضة الثانية بجملة من الخصائص أهمها:

- تحوّل الانتفاضة السريع إلى النشاطات العسكرية، جعلها تأتمر بأمر قيادات عسكرية ميدانية متنوعة بتنوع القوى والفصائل المشتركة، وذلك بخلاف الانتفاضة الأولى التي اجتمعت فيها فصائل منظمة التحرير تحت قيادة موحدة.
- دخول المزاج الشعبي العام في ضبابية الأهداف، وذلك بسبب التعقيدات السياسية التي لابست السلطة الفلسطينية، فتشتتت القوى والفصائل ومؤسسات المجتمع بين مؤيد لبرامج السلطة أو معارض أو مرتبك بينهما. وكذلك بسبب الضربات القاسية التي شنتها قوات الاحتلال على الفلسطينيين، سلطة وشعباً وقوى وفصائل[121].

---

[120] المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات (ملف)، **انتفاضة الاستقلال: العام 1** (بيروت – دمشق: شركة التقدم العربي للطباعة والنشر، تشرين الأول/أكتوبر 2002)، ص 74.

[121] أحمد فارس عودة، **مرجع سابق**، ص 142.

- استخدام المقاومة لأسلوب العمليات الاستشهادية.
- لم تستطع الفصائل الفلسطينية، بلورة "قيادة وطنية موحدة" لقيادة الانتفاضة، إلا بالحدّ الأدنى من التنسيق المشترك، وذلك لأسباب ذاتية تتعلق بالاختلافات السياسية الكبيرة بينها، بسبب تداعيات ما بعد اتفاقية أوسلو[122].

ج. مقاومة المقدسيين في الانتفاضة الثانية:

خاض المقدسيون غمار الانتفاضة الثانية، وكان لهم أساليبهم الخاصة في مقاومة الاحتلال، وذلك بسبب الخصوصية التي ميزت الطابع الحياتي للمقدسيين، كونهم ما يزالون يخضعون تحت السلطة الإسرائيلية المباشرة، ولأن نسبة التداخل بينهم وبين الإسرائيليين تعدّ كبيرة بالمقارنة مع باقي الفلسطينيين في الأراضي المحتلة. فمنذ أن أجبرت سلطات الاحتلال المقدسيين على حمل الإقامة الإسرائيلية الدائمة، أو ما بات يعرف بـ"الهوية الزرقاء"، ارتفعت بشكل متسارع نسبة العمالة المقدسية في السوق الإسرائيلي، كما تضاعف حجم ارتباط مصالحهم الاقتصادية والصحية والتعليمية وحتى الترفيهية مع المؤسسات الإسرائيلية والوسط اليهودي، ومع تضخم الاستيطان ازدادت مساحة الاحتكاك بين الأحياء المقدسية واليهودية.

وقد مارس المقدسيون في الأشهر الأولى للانتفاضة، أغلب مظاهر المقاومة الشعبية السلمية، ثم ما لبثت الفعاليات أن بدأت بالتحول شيئاً فشيئاً إلى الأعمال العسكرية، كالهجمات بالسكاكين والأسلحة النارية، ومحاولة اختطاف الجنود، إلى السيارات المفخخة والعمليات الاستشهادية[123].

وكما في الانتفاضة الأولى، كذلك في الانتفاضة الثانية، فقد شارك المقدسيون إخوانهم في الضفة الغربية والقطاع انتفاضتهم في وجه الاحتلال الإسرائيلي، وعبّروا عن غضبهم على الهجمة العسكرية الشرسة ضدّهم، وخرجوا في مسيرات ومظاهرات، أيام الجُمع وعند الأحداث الأليمة التي أصابت أهل الضفة والقطاع، ووزعوا البيانات والمنشورات، ورفعوا الأعلام والشعارات، ووضعوا المتاريس، وأشعلوا إطارات السيارات وسدّوا بها الطرق في وجه جنود الاحتلال، ورشقوهم بالحجارة.

---

[122] **المرجع نفسه**.

[123] محسن محمد صالح، "حركة المقاومة الإسلامية (حماس): قراءة في رصيد التجربة 1987–2005،" ص 11.

وقد تركزت احتجاجات المقدسيين ومظاهراتهم في الأشهر الأولى من الانتفاضة الثانية في نقاط بقيت ساخنة على الدوام، وذلك في مخيم شعفاط، والعيسوية، والطور، ورأس العمود، وسلوان، وصور باهر، إضافة إلى البلدة القديمة. كما تركزت المظاهرات والاحتجاجات بشكل مستمر في ساحات المسجد الأقصى المبارك، تحديداً أيام الجمع وفي شهر رمضان المبارك من كل سنة. وكانت سياسة التضييق التي تنتهجها قوات الاحتلال، في منع شريحة واسعة من المصلين من دخول المسجد سبباً في مزيد من التوتر ورفع مستوى الاحتجاج والتظاهر. وقد قاوم المقدسيون ذلك كله بالالتفاف حول بوابات المسجد الأقصى، والتجمع للصلاة في الطرقات وعلى الأرصفة، وخطب الأئمة الخطابات الحماسية تأييداً للانتفاضة في وجه المحتل، ورفضاً للسياسات المنهجة في محاصرة الانتفاضة وقمعها، ورفضاً للاحتلال وسياساته المستمرة في انتهاك حقوق المقدسيين الدينية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية.

وفي تحليل الجدول رقم (7) الذي أعده المؤلف والمثبت ضمن ملاحق الكتاب، نقف عند العمليات العسكرية التي قام بها المقدسيون ضدّ الاحتلال الإسرائيلي في مدينة القدس في الفترة 2000–2004، أو شاركوا غيرهم من أبناء الضفة الغربية، أو قام بها أبناء الضفة في مدينة القدس دون مساعدة من المقدسيين، أو بقي المنفذون لبعض هذه العمليات مجهولون لسبب من الأسباب، ويتبين لنا كذلك من الجدول المذكور ما يلي:

1. العمليات العسكرية:

وقعت في مدينة القدس في الانتفاضة الثانية خلال الفترة 2000–2004 كما يشير الجدول رقم (7)، 69 عملية عسكرية متنوعة. منها 41 عملية استشهادية بواقع 67% من مجموع العمليات، و17 عملية إطلاق نار بواقع 24%، و8 عمليات تفجير أو عبوات ناسفة بواقع 11.5%، و3 عمليات طعن بواقع 4% من مجموع العمليات.

2. المسؤولية التنظيمية والحزبية للعمليات العسكرية:

يشير الجدول رقم (7)، إلى أن كتائب القسام التابعة لحركة حماس كانت قد أعلنت مسؤوليتها عن 18 عملية عسكرية، بواقع 24% من مجموع العمليات البالغة 69 عملية عسكرية، وقد أدت عمليات القسام إلى قتل 157 إسرائيلياً (نسبتهم بين القتلى 65%) إضافة إلى إصابة 957 آخرين. فيما أعلنت كتائب الأقصى التابعة لحركة فتح مسؤوليتها عن 10 عمليات عسكرية بواقع 14% من مجموع العمليات، أدت إلى مقتل

78 إسرائيلياً (نسبتهم بين القتلى 33%)، إضافة إلى إصابة 569 آخرين. وأعلنت سرايا الجهاد الإسلامي عن مسؤوليتها عن 4 عمليات عسكرية بواقع 6%، أدت إلى قتل 4 إسرائيليين وإصابة 87 آخرين. أما الجبهة الشعبية فقد أعلنت عن عمليتين عسكريتين عدَّت إحداهما كإحدى أخطر العمليات العسكرية، حيث أدت إلى مقتل الوزير الإسرائيلي رحبعام زئيفي Rehavam Ze'evi، فيما أدت العملية الأخرى إلى إصابة 5 إسرائيليين.

وبحسب الجدول رقم (7)، فقد شاركت الفصائل السياسية الأربعة في عمليات المقاومة في العام الأول للانتفاضة، وشاركت كذلك في العام الثاني باستثناء الجبهة الشعبية، وانفردت كتائب القسام وحدها بعمليات العام الثالث، حيث أسقطت 71 قتيلاً و330 جريحاً، بينما نفذت كتائب القسام وكتائب الأقصى وحدهما عمليات العام الرابع للانتفاضة.

ويشير الجدول رقم (7) إلى أن 32 عملية عسكرية ما زالت مجهولة من ناحية منفذها أو الجهة المسؤولة عنها وذلك بواقع 46% من مجموع العمليات، وذلك راجع إلى استخدام فصائل المقاومة سياسة الاحتياط الأمني، بسبب قسوة وعنف الاحتلال في مواجهة المقاومين. كذلك يشير الجدول إلى أن هناك 29 عملية عسكرية، بعضها تمّ تنفيذه في مدينة القدس من قبل مقاومين من الضفة الغربية حصراً، والبعض الآخر بالاشتراك مع مقاومين مقدسيين، بينما وقعت 5 عمليات عسكرية من قبل مقاومين مقدسيين حصراً.

3. جغرافية العمليات العسكرية:

يشير الجدول رقم (7) كذلك إلى أن 36 عملية عسكرية وقعت في غرب القدس، بواقع 52% من مجموع العمليات. فيما وقعت 25 عملية عسكرية في شرقي القدس، بواقع 36% من مجموع العمليات. ونفذ المقدسيون 3 عمليات عسكرية في مدينة تل أبيب، إضافة إلى عملية عسكرية واحدة وقعت في مدينة حيفا.

4. هدف وموقع العمليات العسكرية:

يشير الجدول رقم (7)، إلى وقوع 33 عملية عسكرية في شوارع وطرقات مفتوحة بواقع 47% من مجموع العمليات العسكرية. فيما وقعت 15 عملية عسكرية داخل حافلات إسرائيلية أو بجانبها وذلك بواقع 22%. ووقعت 9 عمليات عسكرية داخل مطعم أو مقهى أو مقصف، بواقع 13% من مجموع العمليات. ووقعت 6 عمليات عسكرية على

حواجز عسكرية في شرقي القدس، بواقع 8.5%. إضافة إلى عملية عسكرية واحدة في كل من الجامعة العبرية، ومدرسة تلمودية، وفندق حياة ريجينسي.

د. دراسات واستطلاعات رأي:

أظهر استطلاع للرأي العام الفلسطيني أجراه مركز القدس للإعلام والاتصال في أثناء الانتفاضة الثانية في 2002/10/4، أن 80.6% من الفلسطينيين يدعمون استمرار الانتفاضة، وأن نسبة 69.5% من المستطلعة آراؤهم تؤمن بأن العمليات المسلحة الفلسطينية ضدّ أهداف إسرائيلية هي الرد المناسب "خلال الوضع السياسي الراهن"، فيما رأى 46.1% من المستطلعة آراؤهم أنه لا فرق في العمليات المسلحة بين "داخل إسرائيل" أو في المناطق المحتلة سنة 1967. في حين دعم 20.5% العمليات "داخل إسرائيل فقط"، واعتقد 52% بأن استمرار الانتفاضة والمفاوضات معاً يشكل السبيل الأفضل لتحقيق الأهداف الوطنية الفلسطينية وإنهاء الاحتلال[124].

كذلك أشار تقرير صدر عن الأجهزة الأمنية الإسرائيلية ونشره مركز الفكر العربي الإسلامي في بيروت، إلى مشاركة المقدسيين في الانتفاضة الثانية في أكثر من عشرين عملية فدائية داخل "العمق الإسرائيلي"، قتل خلالها 163 إسرائيلياً وأصيب أكثر من 1,000 آخرين. وذكر التقرير أن دور المقدسيين نشط في جمع المعلومات عن أهداف مرشحة لعمليات فدائية داخل "إسرائيل"، وكذلك استئجار مساكن وتوفير أماكن مبيت لبعض رجال المقاومة، وتوفير سيولة مالية وسيارات ووسائل قتالية، وإعداد ما يلزم من ملابس للتنكر بالزي اليهودي، وإقامة ورش متفجرات، وترشيح استشهاديين، ونقل استشهاديين من الضفة الغربية أو قطاع غزة، ونقل العبوات الناسفة إلى أهدافها. وأشار التقرير إلى خلايا مقدسية عملت سنة 2002 تحت إشراف مقاومين في مدينة رام الله، وخلايا أخرى عملت سنة 2003 تحت إشراف مقاومين من مدينة الخليل[125].

---

[124] نتائج استطلاع الرأي حول آراء الفلسطينيين بالقضايا السياسية بما في ذلك مرور سنتين على الانتفاضة، استطلاع رقم 46، أيلول/ سبتمبر 2002، موقع مركز القدس للإعلام والاتصال، 2002/10/4، انظر: www.jmcc.org/documents/46_sep2002.doc

[125] عدنان إدريس، **انتفاضة الأقصى: تقويم وقراءة سياسية** (بيروت: مركز الفكر العربي الإسلامي، 2008)، ص 136.

وأشارت صحيفة معاريف Maariv العبرية في 2010/3/7 إلى خبر تخطيط خلية مقدسية لاغتيال مسؤول إسرائيلي كبير، وأكد الخبر تقريراً صادراً عن موقع توك العبري في اليوم الذي يليه، وفحوى التقرير أن مقاومين مقدسيين درسوا اغتيال مسؤولين إسرائيليين، وذلك على غرار اغتيال الوزير الإسرائيلي رحبعام زئيفي في مدينة القدس في 2001/10/17، وأن الخلية المقدسية كانت قد قامت بعمليات كبيرة وتسببت بمقتل 36 إسرائيلياً، وأقرّ أعضاء الخلية بأنهم تتبعوا في سنة 2002 تحركات عمري شارون Omri Sharon نجل رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق أريل شارون بهدف اغتياله[126]. وكان تقرير للشرطة الإسرائيلية قد أشار إلى أنه وقعت في مدينة القدس منذ بداية سنة 2002 وحتى تموز/ يوليو، 49 عملية تفجيرية[127]. فيما أشارت دراسة إسرائيلية أن حركة فتح قد قامت خلال الفترة 2000–2002، بـ 65% من عمليات المقاومة في المدينة، تلتها حركة حماس بـ 30%، ثم حركة الجهاد الإسلامي بـ 12%[128].

كذلك صدرت دراسة عن جامعة هارفرد Harvard university الأمريكية في سنة 2007 حول العمليات الاستشهادية الفلسطينية في أثناء الانتفاضة الثانية، بين أيلول/ سبتمبر 2000 وآب/ أغسطس 2005. وأشارت الدراسة إلى أن حركة حماس كانت وراء 39.9% من العمليات ضدّ الاحتلال الإسرائيلي على مستوى فلسطين، تأتي حركة فتح بالدرجة الثانية بنسبة 26.4% من العمليات، ثم حركة الجهاد الإسلامي بنسبة 25.7%، ثم الجبهة الشعبية بنسبة 5.4%، ثم الجبهة الديموقراطية بنسبة 2.7%[129].

---

[126] "القسام" أعد خطة لاغتيال نجل شارون "عمري" بحزام ناسف، وكالة فلسطين اليوم الإخبارية، 2010/3/7، انظر: https://paltoday.ps/ar/post/73269

[127] عدنان إدريس، **مرجع سابق**، ص 100.

[128] جادي فارن وآخرون، **مرجع سابق**، ص 29.

[129] Efraim Benmelech and Claude Berrebi, "Human Capital and the Productivity of Suicide Bombers," *Journal of Economic Perspectives*, American Economic Association (AEA), Washington, vol. 21, no. 3, Summer 2007, pp. 223–238, http://pubs.aeaweb.org/doi/pdfplus/10.1257/jep.21.3.223

هـ. تضحيات الفلسطينيين وخسائر الإسرائيليين:

1. تضحيات الفلسطينيين:

بقدر ما تعدُّ التضحيات دلالة على الخسائر، فإنها تعدُّ كذلك علامة على حجم المقاومة ونوعيتها. وقدم المقدسيون التضحيات في جانب المدنيين، فسقط منهم الشهداء والجرحى. كما سقط من المقاومين شهداء وجرحى واعتقل المئات منهم.

ومن خلال دراسة جداول الشهداء والأسرى في الانتفاضة الثانية والمثبتة ضمن ملاحق الكتاب نستنتج الحقائق التالية:

الشهداء:

في تحليلنا للجدول رقم (8) الذي أعده المؤلف والمرفق ضمن الملاحق، والذي يشير إلى أعداد الشهداء الفلسطينيين في الانتفاضة الثانية، وكذلك أعمارهم ومواطن سكناهم وتواريخ استشهادهم، فإنه يتبين لنا ما يلي:

- بلغ عدد الشهداء الذين سقطوا في مدينة القدس في الانتفاضة الثانية وحتى نهاية سنة 2004، 55 شهيداً. ثم سقط 12 شهيداً آخر حتى منتصف سنة 2007، وبهذا يصير مجموع الشهداء 67 شهيداً.
- بلغ عدد الشهداء من الأطفال ومن هم دون 18 عاماً، في الفترة المذكورة أعلاه 15 طفلاً وقاصراً، وهو ما نسبته 22% من مجموع الشهداء.
- سقط من الشبان 38 شهيداً، ممن أعمارهم بين 18–35 عاماً، أي بنسبة 57% من مجموع الشهداء.
- بلغ عدد الشهداء فوق سنّ 35 ولغاية 60 عاماً 12 شهيداً، فيما سقط عجوزان أحدهما 70 عاماً والآخر 81 عاماً.
- وفي توزيع الشهداء على سنوات الانتفاضة يتبين ما يلي: سقط 20 شهيداً في مدينة القدس في سنة 2000، وفي سنة 2001 سقط 9 شهداء، وفي سنة 2002 سقط 10 شهداء، وفي سنة 2003 سقط 4 شهداء، وفي سنة 2004 سقط 12 شهيداً، وسقط شهيدان في كل من 2005 و2006، وسقط 8 شهداء في سنة 2007.
- توزع الشهداء جغرافياً على معظم أحياء المدينة، من مخيم قلنديا وحاجزها العسكري شمالاً إلى جبل المكبر جنوباً، ومن السواحرة الشرقية وأبو ديس شرقاً إلى

عين كارم غرباً. إلا أن معظم الشهداء ارتقوا في أربع بلدات، هي: أبو ديس، ومخيم قلنديا، وحزما، وجبل المكبر.

أشارت التقارير إلى أن عدد الشهداء الفلسطينيين في الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة إضافة إلى الداخل الفلسطيني، في العام الأول من الانتفاضة بلغ 789 شهيداً، وفي العام الثاني 1,484 شهيداً، وفي العام الثالث 968 شهيداً[130].

الأسرى:

يشير الجدول رقم (3) والمثبت ضمن ملاحق البحث، إلى أصحاب الأحكام العالية من الأسرى المقدسيين في فترة الانتفاضة الثانية. ومن هذا الجدول نستنتج أن محاكم الاحتلال أصدرت حُكماً بالسجن المؤبد على 27 مقدسياً من أصل 67، فيما حكمت على 22 بالسجن لمدد تزيد عن 20 عاماً، وعلى 23 آخرين بالسجن لمدد تزيد عن 10 أعوام. وفي فترة ما بين الانتفاضة الثانية والانتفاضة الثالثة أو انتفاضة القدس (2005–2014)، حكمت المحاكم على 3 مقدسيين بالسجن المؤبد، فيما حكمت على 2 آخرين لمدد تزيد عن 20 عاماً، وعلى 4 مقدسيين لمدد تزيد عن 10 أعوام.

وأشارت دراسة أعدتها لجنة أهالي الأسرى والمحررين المقدسيين في كانون الثاني/ يناير 2015، أن 61 أسيراً مقدسياً ممّن شاركوا في مقاومة الاحتلال في الانتفاضة الثانية (2000–2005) ما زالوا يقبعون في سجون الاحتلال، عدا الذين أفرج عنهم في صفقة وفاء الأحرار سنة 2011 وكذلك الذين أفرج عنهم قبل سنة 2015[131].

الشهداء من الأسرى:

يشير الجدول رقم (4) والمثبت ضمن ملاحق البحث، إلى أن قتل الأسرى عقب اعتقالهم كان السبب الأبرز وراء استشهادهم، ثم يلي ذلك الإهمال الطبي من قبل الإدارة الإسرائيلية. فقد قتلت السلطات ثلاثة أسرى عقب اعتقالهم في فترة الانتفاضة الثانية (2000–2005)، بينما استشهد رابع بسبب الإهمال الطبي.

---

[130] المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات (ملف)، **انتفاضة الاستقلال: العام 2** (بيروت – دمشق: شركة التقدم العربي للطباعة والنشر، تشرين الأول/ أكتوبر 2003)، ص 237.

[131] مقابلة أجراها الباحث مع أمجد أبو عصب، رئيس لجنة أهالي الأسرى والمحررين المقدسيين، القدس، نهاية كانون الأول/ ديسمبر 2015.

إحصائيات مقارنة:

ومع بلوغ الانتفاضة الثانية عامها الرابع، أشارت الإحصائيات المحلية في 2004/9/28، أن عدد الشهداء الفلسطينيين قد بلغ 3,300 شهيدٍ، بينما بلغ عدد القتلى الإسرائيليين 1,017 قتيلاً، وفي حين بلغ عدد العمليات الاستشهادية في الداخل الفلسطيني 138 عملية، فقد بلغ عدد عمليات القصف للتجمعات الفلسطينية من قبل قوات الاحتلال 33,153 عملية[132].

2. خسائر الإسرائيليين:

يشير الجدول رقم (7)، والذي أعده المؤلف والمثبت ضمن ملاحق الكتاب، أن عمليات المقاومة في مدينة القدس تسببت بمقتل 240 إسرائيلياً من الجنود والمستوطنين، خلال سنوات الانتفاضة الأربع (2000–2004)، فيما تسببت بإصابة 1,618 آخرين.

كما يشير الجدول رقم (7)، إلى أن عمليات المقاومة قد أسقطت في السنة الأولى (2001) 22 قتيلاً إسرائيلياً و434 جريحاً، وفي سنة 2002 أسقطت 116 قتيلاً و727 جريحاً، وفي سنة 2003 أسقطت 71 قتيلاً و330 جريحاً، وفي السنة الرابعة والأخيرة أسقطت 31 قتيلاً و118 جريحاً.

وبحسب صحيفة هآرتس الإسرائيلية في 2002/9/15، فقد سقط من الإسرائيليين خلال عامي الانتفاضة الأوليين —في الضفة الغربية والقدس والأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1948— 612 قتيلاً، فيما أصيب 4,497 آخرون، وبالمقارنة مع القتلى الإسرائيليين في الأعوام الستة من الانتفاضة الأولى فقد بلغوا وقتئذ 383 قتيلاً. بينما تكبدت "إسرائيل" في الأعوام السبع التي أعقبت اتفاقية أوسلو 300 قتيل[133].

كما ذكرت صحيفة معاريف الإسرائيلية في 2002/3/6، أن وزارة الداخلية الإسرائيلية، بعثت برسالة للكنيست Knesset تفيد بأن 450 ألفاً من الإسرائيليين باتوا يقيمون في الخارج، وأن 20 ألفاً آخرين متوقع أن يغادروا الكيان سنوياً بسبب الأحداث[134]. بينما أشارت صحيفة معاريف في 2003/6/12، إلى أن أكثر من 18 ألف إسرائيلي يهاجرون

---

[132] عدنان إدريس، **مرجع سابق**، ص 114.

[133] المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات (ملف)، **انتفاضة الاستقلال: العام 2**، ص 84.

[134] **المرجع نفسه**.

سنوياً إلى الخارج، وكان من بينهم حفيد الرئيس الإسرائيلي الأسبق ديفيد بن غوريون David Ben-Gurion[135].

أما على الصعيد العسكري الإسرائيلي، فقد قفزت ميزانية الحرب من 34 مليار شيكل (نحو 9 مليارات دولار) سنة 1999، إلى 41 مليار شيكل (نحو 10.8 مليار دولار) سنة 2002. وقد حذر عوزي ديان Uzi Dayan رئيس مجلس الأمن القومي الإسرائيلي بقوله إن الاقتصاد الإسرائيلي لا يستطيع أن يصمد أمام احتياجاتنا الأمنية[136].

واعترفت دائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية Central Bureau of Statistics (CBS)، أن سنة 2000، كانت الأسوأ من الناحية الاقتصادية؛ حيث بلغت الخسائر الإجمالية لدى الكيان الإسرائيلي 24 مليار شيكل (نحو 6.3 مليار دولار) خلال العام الأول والثاني للانتفاضة، إضافة إلى فقدان 80 ألف فرصة عمل، الأمر الذي أوصل البطالة إلى 11.5%[137].

والشيء ذاته حصل لقطاع السياحة، إذ انخفضت نسبتها في سنة 2001 إلى 50%، وفي سنة 2002 بنسبة 42%، وتمّ تسريح 15 ألف عامل من أصل 36 ألفاً يعملون في القطاع، وذلك نتيجة إغلاق 50 مؤسسة سياحية إضافة إلى 25 فندقاً[138].

3. الانتفاضة الثالثة (2014–2015):

أ. حول التسمية:

الأدبيات السياسية تختلف فيما بينها حول كون أحداث المقاومة التي جرت خلال العام 2015/2014، مجرّد "هبة" أو "موجة" أو "انتفاضة". حيث أن لكل تعبير من هذه التعبيرات مدلولاتها السياسية والأمنية والثورية، إضافة إلى التبعات المتعلقة بهذه التعبيرات، تحديداً لدى الطرف الإسرائيلي، بسبب انعكاسات ذلك على الخطط الأمنية، والموقف القانوني، وحصة الميزانية والنفقات في الأجهزة الرسمية المختلفة.

---

[135] عدنان إدريس، **مرجع سابق**، ص 105.

[136] **المرجع نفسه**، ص 264.

[137] **المرجع نفسه**، ص 261.

[138] **المرجع نفسه**، ص 267.

فقد شهدت الضفة الغربية ومدينة القدس في الفترة ما بين نهاية الانتفاضة الثانية سنة 2005 ومنتصف سنة 2014، هدوءاً نسبياً فيما يتعلق بمقاومة الاحتلال، وغلب على المقاومة أسلوب المقاومة السلمية، وتركزت في بؤر محدودة متعلقة بمقاومة جدار الضم والتوسع العنصري، إضافة إلى مصادرة الأراضي وهدم البيوت.

وفي تطوّر لافت، وفي أعقاب قيام مجموعة من المستوطنين بخطف الفتى المقدسي محمد أبو خضير أوائل تموز/ يوليو من سنة 2014، ومن ثم حرقه حيّاً، اشتعلت أحياء مدينة القدس بالأحداث المناهضة للاحتلال، ثمّ انتشرت الاحتجاجات والمظاهرات إلى باقي الأراضي الفلسطينية. واستمرت المظاهرات بين شدّ وجذب مع ما رافقها من اشتباكات مع قوات الاحتلال قرابة 15 شهراً، حتى اشتعلت مرة أخرى أوائل تشرين الأول/ أكتوبر من سنة 2015، وبصورة نوعية غلب عليها طابع دعس الجنود والمستوطنين وطعنهم بالسكين.

1. أحداث سنة 2014:

ذهب العديد من السّاسة الفلسطينيين والإسرائيليين، إلى تسمية أحداث الاحتجاج والمقاومة في مدينة القدس سنة 2014 بـ"الانتفاضة الثالثة" أو "انتفاضة الأفراد"، وذلك في أعقاب قيام مستوطنين بخطف وحرق الطفل محمد أبو خضير من حيّ شعفاط في 2014/7/2، حيث اجتاحت الأحياء المقدسية سلسلة عنيفة من المظاهرات، قادتها جماهير غاضبة بشكل متتالٍ، كلما هدأت في حيّ اشتعلت في آخر. فقد اشتعلت المدينة بالأحداث الفردية والجماهيرية، واجتاحت الأحياء والبلدات موجات المواجهات الليلية، وكذلك في وضح النهار، وسقط العديد من الشهداء إضافة إلى مئات الجرحى.

في مقابل ذلك شنت قوات الاحتلال حملات متتابعة ومتنوعة، لوضع حدّ لهذه الانتفاضة، فهددت جهات حزبية إسرائيلية بسن قوانين لتجريم المقاومين المقدسيين، وأعلن المسؤولون الإسرائيليون، السياسيون والأمنيون، عن خطط "قيد التنفيذ"، وأخرى "قيد الدراسة" لمواجهة أعمال "الإرهاب والتخريب" التي يقوم بها المقدسيون.

وقد صرّح المعلق العسكري الإسرائيلي رون بن يشاي Ron Ben-Yishai في صحيفة يديعوت أحرونوت أواخر كانون الثاني/ يناير 2015 قائلاً: "ما يجري من مواجهات في القدس والضفة الغربية، إلى جانب حوادث من وقت إلى آخر من نوع هجوم بسلاح ناري، أو تفجير عبوة محلية الصنع أو حادثة دهس، هو انتفاضة ثالثة". وقال:

> هي على عكس سيناريوهات الرعب التي توقعناها استناداً إلى تجربة الماضي، ليست انتفاضة جماهيرية مثل الانتفاضة الأولى، ولا تشمل هجمات (إرهابية) كبيرة وقاتلة مثل الانتفاضة الثانية. هي عملياً مستمرة منذ عشرة أشهر، أي منذ انهيار مبادرة وزير الخارجية الأميركي جون كيري لإجراء مفاوضات مباشرة، لكنها لم تحصل على تسمية انتفاضة مثل سابقاتها لأنها تجري بصورة عامة على نار هادئة[139].

الكاتب والمحلل السياسي البريطاني دافيد هيرست David Hearst، رئيس تحرير موقع ميدل إيست آي Middle East Eye، قال في مقالة بعنوان "المعركة على القدس": "أبرز ما يميز هذه الانتفاضة الفلسطينية، عن الانتفاضتين اللتين سبقتاها، أنها ستكون معركة يخوضها الفلسطينيون الذين يعيشون داخل الجدار الذي أنشأته إسرائيل حول نفسها، أي من قبل فلسطينيي القدس الشرقية وفلسطينيي أراضي 1948 والذين هم مواطنون إسرائيليون"، وأضاف هيرست:

> وبهذا يكون نتنياهو محقاً هذه المرة في إعلانه أن هذه فعلاً هي "المعركة من أجل القدس". وهي إما أن تكون المعركة الأخيرة التي يخوضها الفلسطينيون قبل أن يستولي المستوطنون على القدس الشرقية بأسرها، أو أنها ستكون المعركة الأولى في نضال أكبر وأطول، بحيث تصبح فيه القدس "قطب جذب" للمقاتلين من كل حدب وصوب، سنة وشيعة، علمانيين وإسلاميين، جهاديين أو تكفيريين أو قوى قومية ووطنية. لقد اختار نتنياهو الساحة القادرة على جذب جميع هؤلاء إليها[140].

2. أحداث سنة 2015:

كانت أحداث سنة 2014 بمثابة هبة أو موجة أولى من الانتفاضة الثالثة. وتوالت أحداثها في موجات متتالية، حتى تخللتها حادثة إحراق المستوطنين لمنزل عائلة دوابشة في قرية دوما قضاء نابلس في 2015/7/31، والتي أدت إلى استشهاد طفلها على الفور ثم استشهد على إثره والداه. وهكذا توالت الاعتداءات الإسرائيلية على أيدي قوات

---

[139] أسعد عبد الرحمن، الانتفاضات الثلاث: شهادات إسرائيلية، صحيفة **الاتحاد**، أبو ظبي، 2015/1/30، انظر: http://www.alittihad.ae/wajhatdetails.php?id=83254

[140] **المرجع نفسه**.

الاحتلال تارة، وتارة على أيدي المستوطنين. ثم كانت عملية الشاب مهند حلبي من قرية سردا قضاء رام الله في 2015/10/3، حيث قام حلبي بالثأر للأقصى والحرائر والشهداء، فقتل إسرائيليين اثنين وأصاب آخرين في البلدة القديمة من القدس، فكانت الحادثة إيذاناً بانطلاق الموجة الثانية من الانتفاضة الثالثة.

وصف العديد من الكتاب والمحللين هذه الأحداث بـ"انتفاضة القدس" أو "الانتفاضة الثالثة". وأن "العمود الفقري" للانتفاضة الجديدة يتمثل في الجيل الذي ولد على أعتاب اتفاقات أوسلو وإبّانها، وأنه جيل لم تكبله الاتفاقات ولا الالتزامات الدولية والأمنية. وأن الانتفاضة الثالثة قد انطلقت فعلاً. وأنها تحمل في انطلاقتها ومسارها خصوصياتها التي تميّزها عن الانتفاضتين الأولى والثانية، وأن هذا أمر طبيعي يتعلق بسياق الظروف والمعطيات المتنوعة[141].

ويشترط البعض لتسمية أعمال المقاومة الجارية بالانتفاضة، توفر أهداف واضحة وقيادة موحدة، بينما أطلقت هذه التسمية على انتفاضات سابقة دون توفر هذين الشرطين بالمعنى الفعلي، ويكفي أن تتميّز أيّ انتفاضة بخصائص تنفرد بها، عدى مشاركتها لغيرها من الانتفاضات بخصائص مشتركة. وفي حالة الانتفاضة الثالثة فإن كثافة العمليات الفردية والتعاطف الشعبي الكبير، وتواصل عمليات المقاومة منذ تموز/ يوليو 2014 ودخولها سنة 2016، كذلك ما حققته الانتفاضة من انخفاض نسبي في أعمال الاستيطان التوسعية، وتوقف ملحوظ في مشاريع تهويد المسجد الأقصى، إضافة إلى انتقال بعض مظاهر الانتفاضة إلى الداخل الفلسطيني، يقابل ذلك خسائر سياسية وأمنية واقتصادية للاحتلال، إضافة إلى حالة الرعب المتزايد في أوساط الشارع الإسرائيلي، كل ذلك دفع باتجاه تسمية الهبّة بـ"الانتفاضة الثالثة"، وهكذا تكون هذه الانتفاضة قد انفردت بخصائصها[142].

3. وجهة النظر الإسرائيلية:

في هذا الاتجاه أيضاً ذهب أبرز المحللين الإسرائيليين وعدد من أعضاء الكنيست الإسرائيلي، حيث باتوا يسمّون الأحداث بـ"التصعيد الفلسطيني" أو

[141] منير شفيق، اجعلوها انتفاضة تحرير منتصرة، موقع المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2015/10/12.

[142] ياسين عز الدين، هل نحن أمام انتفاضة ثالثة أم هبة شعبية؟، موقع شبكة فلسطين للحوار، 2016/1/9، انظر: https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=1183031

الانتفاضة الثالثة[143]. بينما رأى آخرون أن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو يسعى إلى دفع الأحداث وتحويلها باتجاه انتفاضة ثالثة، من أجل تخفيف الضغط الدولي الهادف إلى إجبار "إسرائيل" للوصول إلى تسوية مع الفلسطينيين[144].

وبالرغم من امتناع الإعلام الإسرائيلي عن توصيف الاحتجاجات في مدينة القدس والضفة الغربية بالانتفاضة، بتوجيه من الحكومة والأجهزة الأمنية الإسرائيلية، إلا أن سير الأحداث ومفاجآتها فرضت على الإعلام إطلاق هذه التسمية، كعناوين بارزة للصحف ومواقع الأخبار. فموقع والا Walla العبري اعتمد منذ الأحد 2015/10/4 متابعة الأحداث يومياً بعنوان "في الطريق نحو انتفاضة ثالثة". بينما كتب المحلل العسكري والسياسي في الموقع آفي سخاروف Avi Issacharoff مؤكداً على أن الأحداث الراهنة تعبر عن انتفاضة حقيقية، وأن اتساع رقعة المواجهات في الضفة الغربية ودخول فلسطينيي الداخل على خطّ المواجهة، سيحسم الأمر. وقد تطابقت هذه الأقوال مع تحليلات المحلل العسكري رون بن يشاي في موقع صحيفة يديعوت أحرونوت[145].

وجاء في يديعوت أحرونوت، مقال للكاتب الإعلامي ناحوم برنياع Nahum Barnea، جاء فيه أن هذه انتفاضة ثالثة، ومن المهم تسميتها كما هي، كي لا يُتاح للساحة السياسية والعسكرية بالتملص والهروب من المسؤولية. بينما قال الكاتب الإسرائيلي يوسي يهوشيع Yossi Yehoshua، أنه من الناحية العملية الميدانية يجب الاعتراف بالحقيقة بأن الانتفاضة "هنا وموجودة"، وإن كانت لا تدار بشكل مركزي حسب قوله، وأن عاصمة الانتفاضة الآن ليست نابلس أو جنين، بل هي مدينة القدس[146].

وأطلق الكاتب الإسرائيلي عاموس جلبوع Amos Gilboa على الأحداث الجارية، في موقع نيوز1 News1: "الانتفاضة الناعمة"، وذلك في مقال له يحمل ذات الاسم، وأشار

---

[143] رامي منصور، انتفاضة ثالثة؟ من يختار التسميات، موقع عرب 48، 2015/10/4، انظر:
http://bit.ly/2hus5gF

[144] بلال ضاهر، نتنياهو يُغذي الهبة لتتحول لانتفاضة، عرب 48، 2015/10/14، انظر:
http://bit.ly/2hYk9rq

[145] الإعلام الصهيوني: الانتفاضة الثالثة انطلقت، المركز الفلسطيني للإعلام، 2015/10/9.

[146] المرجع نفسه.

إلى أن ما يعيشه الإسرائيليون من أجواء منذ سنين إنما هو انتفاضة. ولفت إلى أنه في الفترة 2012–2014 نُفذت نحو أربعة آلاف عملية إلقاء حجارة وزجاجات حارقة وكذلك طعن ودعس[147].

4. المعارضون لتسمية الأحداث بـ"الانتفاضة":

اكتفى بعض المحللين من جهة أخرى بوصف الأحداث بـ"المواجهة الشعبية"، وأنها مرشحة للارتقاء إلى مستوى هبة شعبية في الأراضي الفلسطينية[148]. فيما رأى آخرون أنها "موجة انتفاضية" تفتقد إلى اكتمال العناصر الرئيسية المساندة لتشكل انتفاضة شاملة[149]. ووصفها البعض بـ"الشرارة" التي تحتاج لمقومات وروافع لتصل إلى مستوى الانتفاضة[150].

وعلّل آخرون بأن "المسرح ليس جاهزاً لاستقبال انتفاضة جماهيرية"، وأن ذلك يعود لغياب أغلب التجمعات السكانية عن المشاركة في الهبة الراهنة، كذلك غياب المشاركة النقابية والمهنية والأجيال المتنوعة، وانحصار الهبة بجيل الشباب والفتيات، كما أنه لا بدّ من توفر عنصر القيادة الجماهيرية وما ينبثق عنها من لجان تعنى ببرامج التوعية والإرشاد. ورأى هؤلاء أن "تقلص الثقافة الوطنية" واستبدالها بـ"الثقافة الاستهلاكية" سبب آخر لعدم جهوزية المسرح لانتفاضة جماهيرية[151].

أما المحلل في الشؤون العسكرية الإسرائيلية كوبي ميخائيل Kobi Michael، فقد وصف الأحداث بـ"التصعيد التدريجي المترافق مع أحداث عنف واضطرابات أمنية"، حيث لفت في دراسة له بعنوان "التصعيد مع الفلسطينيين: ملاحظات وتوصيات"، ذكر

---

147 المرجع نفسه.

148 عزمي بشارة، "آفاق تصعيد المواجهة الشعبية الفلسطينية مع الاحتلال الإسرائيلي،" تقدير موقف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015/10/8، انظر:
http://www.dohainstitute.org/release/79478c4c-f20b-4934-8ffb-364c694e6743

149 خليل شاهين، سياق الموجة الانتفاضية وآفاقها، تحليل وضع، موقع المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية – مسارات، 2015/11/3، انظر: http://bit.ly/2iizn6S

150 أحمد الحيلة، الانتفاضة الفلسطينية الثالثة.. خيار أم ضرورة؟، موقع الرسالة.نت، 2015/10/9، انظر:
http://bit.ly/2hfNaz6

151 عبد الستار قاسم، انتفاضة القدس، الجزيرة.نت، 2015/10/19، انظر:
http://bit.ly/1QVsdCj

فيها ما عدّه أهم نتائج التصعيد الميداني الحاصل بين الفلسطينيين والإسرائيليين، حيث قال إن الأحداث الجارية لم تصل بعد مرحلة الانتفاضة الشعبية الحقيقية[152].

وقد رجح الباحث تسمية الانتفاضة الثالثة أو انتفاضة القدس، فيما اعتمد إطلاق تسمية "الهبة الأولى" على الأحداث الأولى التي انطلقت في تموز/ يوليو من سنة 2014، وتسمية "الهبة الثانية" على أحداث تشرين الأول/ أكتوبر من سنة 2015.

ب. أسباب الانتفاضة الثالثة:

دلّ حجم الاعتقالات والإصابات في المقدسيين ما بين النصف الثاني من سنة 2014 وأواخر سنة 2015، على سعة وانتشار المقاومة في الأوساط الشبابية والجماهيرية عامة. واستخدم المقدسيون في مواجهة قوات وشرطة الاحتلال العديد من أشكال المقاومة الشعبية، وتصدّوا للمركبات العسكرية وعرقلوا تقدّمها أغلب الأحيان، ومنعوها أحياناً من اقتحام الأحياء المقدسية.

وقد تراكمت لدى المقدسيين وخصوصاً فئة الشباب، جملة من أسباب المقاومة خلال السنوات الماضية ضدّ محاولات إقصائهم عن أرضهم، وبيوتهم، ومساجدهم، وأعمالهم، وضدّ سياسات هدم البيوت، وعزل وحصار الأحياء، واعتقال وتعذيب الأطفال، وضدّ تزييف الحقائق الدينية والأثرية، وتشويه الثقافة العربية، وتدنيس مقدساته الإسلامية وإغلاق مؤسساته الوطنية، وأخيراً محاولات الاحتلال الحثيثة لتقسيم المسجد الأقصى المبارك زمانياً ومكانياً[153].

1. أسباب الهبّة الأولى سنة 2014:

تشير التقارير إلى أن الهجمة الإسرائيلية المسعورة في شتى المناحي والمجالات، كانت السبب وراء انتفاضة المقدسيين الثالثة، وقد أجملت عدة تقارير سنوية مقدسية الانتهاكات والاعتداءات الإسرائيلية في مدينة القدس المحتلة لسنة 2014. منها ما

---

[152] كيف تعاملت مراكز البحوث الإسرائيلية مع الانتفاضة؟، الجزيرة.نت، 2015/10/25، انظر:
http://bit.ly/2i4DBjb

[153] مهدي عبد الهادي، حراك الشباب 2015، موقع الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية (مؤسسة باسيا)، القدس، تشرين الثاني/ نوفمبر 2015، انظر:
http://www.passia.org/images/meetings/2015/nov/Youth2015.pdf

صدر عن المركز الفلسطيني للإعلام، وعن الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات، وعن مركز معلومات وادي حلوة – سلوان، حيث وصفت التقارير الاعتداءات الإسرائيلية بـ"الأحداث الكبيرة وغير المسبوقة"، خصوصاً ما وقع منها في النصف الثاني من سنة 2014. ممّا نسميه في كتابنا هذا "الهبّة الأولى"، ونعرض هنا لأهم هذه الانتهاكات:

انتهاكات المسجد الأقصى والمقدسات:

كشف تقرير مركز معلومات وادي حلوة – سلوان عن التصعيد الإسرائيلي الرسمي ضدّ المسجد الأقصى المبارك، إضافة إلى نشاطات الجمعيات الاستيطانية، حيث بلغ مجموع المستوطنين الذين اقتحموا المسجد الأقصى 12 ألف متطرفٍ إسرائيلي، حتى نهاية حزيران/ يونيو من سنة 2014.

وقد بلغت الاقتحامات ذروتها تزامناً مع أعياد اليهود، حيث دأبت الجمعيات المتطرفة وبالأخص منظمة "أمناء جبل الهيكل Temple Mount and Land of Israel Faithful Movement"، و"منظمة هليبا HaLiba"، و"نساء من أجل الهيكل"، و"طلاب لأجل الهيكل"، و"معهد المعبد الثالث"، إلى دعوة كافة الحاخامات والمستوطنين لاقتحام المسجد الأقصى وأداء صلوات توراتية داخل باحاته، وكانت هذه الاقتحامات بمعدل مرتين يومياً[154]. فيما أغلقت السلطات الإسرائيلية المسجد الأقصى 41 مرة، (لا تشمل أيام الجمع)، وأغلقت معظم أبوابه باستثناء أبواب حطة والسلسلة والمجلس، وحرمت المواطنين من الدخول والخروج إلى الأقصى بحرية كاملة، ومنعت فيه صلاة الجماعة 17 مرة، كما اقتحمته قوات الاحتلال بعشرات الجنود المدججين بأنواع السلاح ووحدات خاصة من المخابرات 17 مرة. وتعمدت السلطات الإسرائيلية إبعاد 300 فلسطيني عن المسجد الأقصى، لفترات تتراوح بين 3 أيام و90 يوماً (قابلة للتجديد)، وعادة ما تقوم السلطات بإبعاد العشرات من المقدسيين عن المسجد الأقصى قبيل الأعياد اليهودية، وقد شملت حملات الإبعاد الأطفال والشبان والنساء وكبار السن.

[154] حصاد 2014: آلاف المستوطنين يقتحمون الأقصى.. منع صلاة الجمعة "17" مرة في المسجد.. وارتقاء 10 شهداء.. واعتقال 2250 مقدسياً، مركز معلومات وادي حلوة – سلوان، 2015/1/5، انظر:
http://www.silwanic.net/index.php/article/news/55868/ar

كذلك منعت سلطات الاحتلال المسيحيين الفلسطينيين من استقبال بابا الفاتيكان في القدس، خلال زيارته المدينة في أيار/ مايو من سنة 2014، وقامت السلطات بتحديد تنقلاتهم والاعتداء عليهم، واعتقال بعضهم (احترازياً) عشية الزيارة[155].

اعتداءات المستوطنين:

عمّقت اعتداءات المستوطنين المتكررة عشية الهبّة الأولى من احتقان المقدسيين وشعورهم بالإحباط، وأسهم بالتالي في ازدياد شعلة المواجهات مع قوات الاحتلال، حيث أشارت الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات إلى قيام المستوطنين — وبتغطية من قبل الأجهزة الإسرائيلية المختلفة— بثمانين اعتداء على مواطنين في مدينة القدس بشقيها الشرقي والغربي، وقد شملت الاعتداءات المقدسات الإسلامية والمسيحية، إضافة إلى الاعتداء على الأحياء السكنية المقدسية التي غرست فيها البؤر الاستيطانية. كما رصد التقرير قيام المستوطنين بتخريب إطارات 103 مركبات فلسطينية تعود لتلك الأحياء. وقد بلغت اعتداءات المستوطنين ذروتها بجريمة اختطاف الفتى المقدسي محمد أبو خضير (17عاماً) في تموز/ يوليو 2014، ومن ثم قتله وحرقه، وهي الجريمة التي هزت الرأي العام المحلي والدولي، وتبعتها جريمة قتل السائق المقدسي يوسف الرّمّوني (شنقاً)، في أثناء عمله غرب القدس في تشرين الثاني/ نوفمبر[156].

الاستيطان وهدم البيوت:

صادقت حكومة الاحتلال في الأشهر التي سبقت الهبّة الأولى على بناء الآلاف من الوحدات الاستيطانية في غلاف مدينة القدس، وكذلك بناء تسعة طوابق تابعة لـ"مدرسة خاصة ودينية"، ضمن مشروع استيطاني في حيّ الشيخ جراح، وتحويل منطقة وادي الربابة إلى حديقة ومسار توراتيين، وإقامة حديقة وطنية على أراضي قريتي الطور والعيسوية. وخلال السنة ذاتها، ارتفع عدد المستوطنين الذين يعيشون بالبؤر الاستيطانية في أحياء القدس من 2,500 مستوطنٍ إلى 2,750 مستوطناً، فيما استولت جمعيتا إلعاد Elad وعطيرت كوهانيم Ateret Cohanim الاستيطانيتين خلال سنة 2014 على 36 شقة سكنية. فيما هدمت بلدية الاحتلال خلال سنة 2014،

[155] الهيئة الإسلامية المسيحية ترصد 1345 انتهاكاً ضد المقدسات العام المنصرم، موقع وكالة معا الإخبارية، 2015/1/5، انظر: https://www.maannews.net/

[156] المرجع نفسه.

214 منشأة فلسطينية، ما بين منازل ومحالٍ تجارية وبركسات للمواشي. كذلك استمرت سلطات الاحتلال بمشروعها التهويدي لمقبرة مأمن الله الإسلامية، حيث شرعت مؤسسة استيطانية ببناء كافتيريا، ومحال لبيع الخمور، ووحدة حمامات، وحديقة للكلاب، كما هدمت طواقم "سلطة الطبيعة" الإسرائيلية عشرين قبراً من مقبرة الشهداء في باب الأسباط، بدعوى أن ملكية الأرض تعود للسلطة المذكورة[157].

انتهاك الطفولة:

بلغ عدد المعتقلين من الأطفال في سنة 2014 من قبل سلطات الاحتلال 700 طفلٍ مقدسي. ورافق ذلك حالة شعبية من التعاطف والغضب. حيث غالباً ما تنتهك الحقوق الأساسية للأطفال المعتقلين، فيقتادون من منازلهم في ساعات متأخرة من الليل. ويحرم أغلبهم من مرافقة أولياء أمورهم في أثناء التحقيق، كما يتعرض معظمهم للاعتداء الجسدي والضغط النفسي. وفي الوقت الذي تفرج فيه سلطات الاحتلال عن معظم هؤلاء الأطفال، إلا أن محنتهم وعذابات أهاليهم تبدأ في اللحظة التي تفرج فيه السلطات عنهم حتى انتهاء الإجراءات القضائية، بشروط بالغة القسوة، حيث تفرض عليهم المحاكم "الحبس المنزلي" لأشهر عديد قد تتجاوز العام. وبدل أن تجعل السلطات الإسرائيلية من الحبس المنزلي إجراء إيجابياً ينعكس على حاضر الطفل ومستقبله، فإنها تبالغ بالتقييدات والشروط الأمنية والمالية، إلى حالة تجعل فيها المنزل وساكنيه في ضيق وعذاب شديدين. الأمر الذي يتسبب بأمراض نفسية للطفل، وتعطيل لمجرى الحياة والعمل لأولياء الأمور. ثم تبدأ عقب انتهاء مدة الحبس المنزلي مرحلة إعادة تأهيل الطفل للعودة إلى الحياة العامة، وإلى استئناف دراسته وتعليمه[158].

اعتداءات الأجهزة الإسرائيلية الرسمية:

أكد تقرير مركز معلومات وادي حلوة – سلوان الصادر أوائل كانون الثاني/ يناير من سنة 2015، على مواصلة السلطات الإسرائيلية خلال سنة 2014 لقمع حرية الرأي والتعبير في القدس، فمنعت كافة الفعاليات والنشاطات الثقافية والرياضية والوطنية، بدعوى تنظيمها من قبل السلطة الفلسطينية. وفي هذا السياق اقتحمت القوات الإسرائيلية

---

[157] صحيفة **العاصمة**، رام الله، العدد 6، 2015/1/5، ص 15.

[158] فيديو "طفولة ضائعة وقانون غائب"، مؤسسة الميثاق لحقوق الإنسان، 2015/1/25.

العديد من المراكز والنوادي والمؤسسات قبيل تنظيم الفعاليات أو النشاطات، وتعمّدت القوات قمع فعاليات المناصرة للأسرى المقدسيين في سجون الاحتلال، وفعاليات المناصرة للمسجد الأقصى، أو التضامن مع غزة، أو يوم المرأة، وكذلك يوم الأرض. إضافة إلى قمع "زفة العرسان" التي كانت تنطلق من المسجد الأقصى باتجاه منازل العرسان في البلدة القديمة، وهي فعالية أبدعها المقدسيون ضمن نشاطات الرباط في المسجد الأقصى. وقمعت السلطات كذلك مظاهرات مقدسية في ذكرى النكبة والنكسة، وفعاليات للأطفال في شوارع القدس، وفعالية الماراثون الرياضي المقدسي، ومسيرات خرجت لمناهضة "مسيرة الأعلام الإسرائيلية"، وغيرها[159].

وأغلقت السلطات الإسرائيلية ثلاث مؤسسات في مدينة القدس، وهي جمعية نماء في قرية بيت صفافا، وجمعية الزكاة والصدقات في بلدة صور باهر، ومؤسسة القدس للتنمية في شارع صلاح الدين. وعلى صعيد المسيرة التعليمية فقد بقيت المشاكل التعليمية في القدس خلال سنة 2014 دون حلّ، وقامت السلطات الإسرائيلية باقتحام المدارس واعتقال طلبتها في أثناء توجههم إليها، إضافة إلى رشّ المياه العادمة ذات الروائح الكريهة عليها بصورة متعمدة، علماً أن هذه الروائح تلتصق بالشخص لعدة أيام، وتتسبب بحالة من عدم التركيز والاختناق له[160].

وأشارت بعض التقارير أن رئيس بلدية القدس الإسرائيلية نير بركات، كان قد أوعز نهاية تشرين الأول/ أكتوبر 2014 إلى مدير البلدية ورؤساء الأقسام بتكثيف حملات "تطبيق القانون في القدس الشرقية"، وشمل التوجيه مداهمة المحلات غير المرخصة، وتسليمها إنذارات بضرورة الترخيص خلال أسبوع وإلا فإنها ستغلق نهائياً، وكذلك تقييد مخالفات شاملة للسيارات، وتفعيل أوامر هدم البيوت العالقة والمؤجلة، بل وحتى مصادرة الحيوانات المملوكة في فناء البيوت. إضافة إلى مضاعفة نشاط سلطة الضرائب في مداهمة المحلات، وتغريم أصحابها، ومصادرة معداتهم. كما أنشأت البلدية ما أسمته "وحدة مراقبة جويّة" لغرض "فرض القانون" في المدينة، وتحديد مواقع ما يسمى بـ"الإخلال بالنظام"، ومواقع التجمعات الجماهيرية الكبيرة، وكذلك حوادث إلقاء

[159] حصاد 2014: آلاف المستوطنين يقتحمون الأقصى.. منع صلاة الجمعة "17" مرة في المسجد.. وارتقاء 10 شهداء.. واعتقال 2250 مقدسياً، مركز معلومات وادي حلوة – سلوان، 2015/1/5.

[160] المرجع نفسه.

الحجارة والزجاجات الحارقة أو إطلاق المفرقعات، كما تشكل هذه الوحدة ذراعاً جوياً للبلدية لتحديد مواقع البناء "غير المرخص"[161].

2. أسباب الهبّة الثانية (تشرين الأول / أكتوبر 2015):

انطلقت الهبة الثانية من الانتفاضة الثالثة في أعقاب قيام الشاب الفلسطيني مهند حلبي (19 عاماً) من بلدة سردا في رام الله، بالهجوم على مجموعة مستوطنين في البلدة القديمة من مدينة القدس في 2015/10/3، ثأراً للمسجد الأقصى المبارك من اعتداءات الإسرائيليين المتكررة. حيث قتل حلبي مستوطنين بينهم حاخام في الجيش الإسرائيلي، فيما أصاب مستوطنين آخرين. وقد توقع الشاب حلبي انطلاق انتفاضة ثالثة في القدس قبل يوم واحد من استشهاده، حيث كتب على صفحته في شبكة التواصل الاجتماعي: "حسب ما أرى فإن الانتفاضة الثالثة قد انطلقت، ما يجري للأقصى هو ما يجري لمقدساتنا ومسرى نبينا، وما يجري لنساء الأقصى هو ما يجري لأمهاتنا وأخواتنا، فلا أظن أن شعباً يرضى بالذل، الشعب سينتفض، بل ينتفض". فيما أشارت معلومات صادرة عن عائلة الشهيد حلبي، أنه قام بالعملية ثأراً لعائلة دوابشة الفلسطينية التي استشهد بعض أفرادها حرقاً على أيدي مستوطنين يهود قبل شهرين، وتحديداً في 2015/7/31.

وقد استندت الهبة الثانية في زخمها إلى تراكم الغضب في صدور الفلسطينيين نتيجة عاملين أساسيين، أوّلهما توالي الاقتحامات والانتهاكات للقدس والمسجد الأقصى، طيلة الفترة ما بين كانون الثاني/ يناير وأيلول/ سبتمبر من سنة 2015. ثانيهما عدم الاقتصاص من المستوطنين الذين قاموا بحرق وقتل عائلة دوابشة، واستمروا في اعتداءاتهم على ممتلكات وأراضي الفلسطينيين، حتى بلغ الأمر بوزير الدفاع الإسرائيلي موشيه يعلون أن صرح "أن الأجهزة الأمنية الإسرائيلية تعرف المعتدين على عائلة دوابشة، إلا أنها لم تعتقلهم حفاظاً على مصادرها الاستخبارية". فيما صرح وزير المخابرات السابق يوفال ديسكن Yuval Diskin أن خشية المستوى السياسي الإسرائيلي من الحاخامية اليهودية كان وراء عدم اعتقال القتلة. وذلك حسب الكاتب الإسرائيلي كلمان لبسكند في مقالته "مسؤولية اليسار عن قتل المستوطنين"[162].

---

[161] عام 2014 بالقدس: 15 شهيداً واعتقال حوالي 2250 فلسطينياً بينهم 700 قاصر، عرب 48، 2015/1/5، انظر: http://bit.ly/2hKjXeE

[162] صحيفة **الأيام**، رام الله، 2015/8/4.

ولم تتوقف المظاهرات والاشتباكات في الضفة الغربية، طيلة شهرين كاملين ما بين الاعتداء على عائلة دوابشة وحادثة حلبي، حيث قام أربعة شبان فلسطينيين خلال تموز/ يوليو بعمليات طعن ضدّ مستوطنين وجنود إسرائيليين، فاستشهد الشبان الأربعة إضافة إلى أربعة آخرين في عمليات طعن مشابهة في أيلول/ سبتمبر من السنة ذاتها.

وخلال الشهرين اللذين سبقا اندلاع الهبة الثانية من الانتفاضة استمرت الاحتجاجات والاشتباكات في مدينة القدس مع عناصر الأمن والمستوطنين الإسرائيليين، رفضاً لاقتحاماتهم المتكررة للمسجد الأقصى، والمصحوبة بمحاولات تقسيم زماني بين المسلمين واليهود. فشهدت المدينة وأحياؤها وكذلك البلدة القديمة مواجهات يومية، نتج عنها قيام قوات الاحتلال باعتقال المئات من المقدسيين ومن أهالي الأراضي المحتلة سنة 1948، وإبعاد العشرات منهم عن القدس أو عن المسجد الأقصى تحديداً[163].

ج. مقاومة الفلسطينيين في الانتفاضة الثالثة (2014–2015):

شهدت الانتفاضة الثالثة في مدينة القدس في الفترة ما بين انطلاقتها في 2014/7/2 وحتى نهاية سنة 2015، هبتين كبيرتين تركزتا في أسلوبي الدعس والطعن بالسكاكين، فيما بات يعرف بثورة السكاكين، وكانت الهبتان بمثابة موجتين تخللهما مدّ وجزر، وقدم المقدسيون خلال هذه الانتفاضة 51 شهيداً، ونفذوا 14 عملية دعس للجنود والمستوطنين، و48 عملية طعن بالسكاكين، إضافة إلى 10 عمليات إطلاق نار على أهداف إسرائيلية.

1. المقاومة في أثناء الهبة الأولى من الانتفاضة الثالثة:

كان استشهاد الفتى المقدسي محمد أبو خضير (17 عاماً)، من حيّ شعفاط في مدينة القدس، حرقاً على يد المستوطنين بعد اختطافه فجر 2014/7/2، وكذلك محاولة خطف الطفل موسى زلوم (10 أعوام)، في اليوم الذي سبق ذلك، نقطة تحوّل في مقاومة المقدسيين للاحتلال. إذ حملت هذه المرحلة من المقاومة بذور الانتفاضة الثالثة وتجلّت في تنامي المشاعر الوطنية في أوساط الشباب والفتيان، الذين بادروا بالدعوة إلى مقاطعة البضائع الإسرائيلية، واستبدال الأغاني الوطنية بدل الاستماع إلى الأغاني العبرية التي راجت بعض الوقت.

[163] دائرة سليمان الحلبي للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي، "الهبة الفلسطينية... تحديات وفرص".

مظاهر اشتعال الهبة الأولى:

انطلقت الهبة الأولى ثأراً للفتى أبو خضير، من خلال منشور عبر شبكات التواصل الاجتماعي يشير إلى "اختطاف شاب في شعفاط من قبل المستوطنين وقتله". ومع تأكد استشهاد الفتى تحوّل التوتر في الحيّ إلى موجات من الغضب في كافة أحياء المدينة، وصبّ الشبان جام غضبهم على "القطار الإسرائيلي الخفيف" ومحطاته الثلاث، الذي يوصل بين المستوطنات القابعة على أراضي المواطنين مخترقاً حيّ شعفاط، كما انتشرت موجات الغضب في أحياء البلدة القديمة، وسلوان، ورأس العمود، وجبل المكبر، وصور باهر، وكذلك في حيّ الطور، والعيسوية، ووادي الجوز، ومخيم شعفاط. إذ قام الشبان المقدسيون بإلقاء الحجارة تجاه قوات الاحتلال وأغلقوا الطرقات بحاويات القمامة، ورشقوا مركبات الاحتلال بالزجاجات الحارقة وأحرقوا عدداً منها، ورفعوا الأعلام الفلسطينية على أعمدة الكهرباء والإشارات الضوئية، وأدخل الشبان أسلوباً جديداً في المقاومة تمثل في إطلاق المفرقعات النارية باتجاه الجنود ومركباتهم. وكانت معظم عمليات المقاومة تحدث ليلاً، إذ صادف حلول شهر رمضان، فكان الشبان يفطرون وقت المغرب ويسارعون لمواجهة قوات الاحتلال، ويبقون في مقاومتهم حتى بزوغ الفجر[164].

تطوّر أساليب المقاومة:

أشغلت مقاومة المقدسيين أجهزة الاحتلال ما يزيد عن شهرين، بالنسق ذاته من الوسائل والأساليب، إلا أن عنف الاحتلال وقسوته في التعامل مع المقدسيين، دفع المقدسيين لانتهاج أسلوب أكثر جرأة وشجاعة، فبادر عدد من الشبان بدعس الجنود والمستوطنين بسياراتهم الخاصة. وكان أول هذه العمليات قيام شاب مقدسي في 2014/10/22 بدعس امرأتين إسرائيليتين في محطة القطار الخفيف في حيّ الشيخ جراح ممّا أدى إلى مقتلهما. ثم توالت عمليات الدعس والطعن بشكل متسارع، وشاع تأييد ظاهرة الدعس بين المقدسيين وأطلقوا عليها لقب "داعِس" في إشارة لعملية الدعس، وخصّص لها الناشطون صفحة خاصّة على شبكة التواصل الاجتماعي الفيسبوك Facebook، وتجاوز عدد المشتركين فيها 20 ألفاً خلال 36 ساعة فقط[165].

---

[164] عبد الرؤوف الأرناؤوط، "القدس: هبة شعبية بلا قيادة،" **مجلة الدراسات الفلسطينية**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، المجلد 26، العدد 101، شتاء 2015، ص 132.

[165] **المرجع نفسه**.

يشير الجدول رقم (11) الذي أعده الباحث لغرض الدراسة والمثبت ضمن ملاحق الكتاب، أن مدينة القدس شهدت في فترة الهبة الأولى من الانتفاضة الثالثة، أي بين 2014/7/1 و2015/10/1، 7 عمليات دعس واشتباه بالدعس لجنود ومستوطنين إسرائيليين، إحداها بواسطة جرافة. كما شهدت المدينة 14عملية طعن واشتباه بالطعن، و4 عمليات إطلاق نار، و5 عمليات زرع عبوات ناسفة، وقدّرت جهات إسرائيلية رسمية متوسط عدد الزجاجات الحارقة الملقاة تجاه أهداف إسرائيلية، خلال الأشهر الأربعة الأولى من حادثة خطف الطفل أبو خضير بـ 70 زجاجة شهرياً، إضافة إلى 5,000 حادثة إلقاء حجارة شهرياً.

وكانت معطيات جهاز الأمن العام (الشاباك) Israel Security Agency—ISA (*Shabak*) الإسرائيلي قد أشارت في نهاية أيلول/ سبتمبر من سنة 2014، إلى أن ارتفاعاً كبيراً حصل في عمليات المقاومة في مدينة القدس، في النصف الثاني من سنة 2014، ففي مقابل 11 هجوماً وقعت في حزيران/ يونيو 2014، ارتفعت لتصل إلى 83 هجوماً في تموز/ يوليو من السنة نفسها، منها 77 عملية إلقاء زجاجات حارقة، و5 عبوات ناسفة وعملية إطلاق نار واحدة. بينما انخفضت العمليات في آب/ أغسطس إلى 69 عملية. ويقدر المسؤولون الإسرائيليون عدد عمليات الرشق بالحجارة بـ 5,000 عملية شهرياً[166].

2. الهبة الثانية من الانتفاضة الثالثة (2015/10/1–2015/12/31):

مظاهر اشتعال الهبة الثانية:

بالرغم من أن الهبة الثانية للانتفاضة بدأت غرة تشرين الأول/ أكتوبر من سنة 2015، إلا أن تقريراً أعدته صحيفة يديعوت أحرونوت العبرية أرجع بواكير المقاومة إلى شهرين قبل ذلك، وأشار التقرير إلى أن حزيران/ يونيو وتموز/ يوليو من سنة 2015 شهدا 580 عملاً مقاوماً ضدّ المستوطنين وقوات الاحتلال، وأن هذه الأعمال تشمل الرشق بالحجارة، وإلقاء الزجاجات الحارقة والمفرقعات، وتخريب الممتلكات العامة الإسرائيلية، ولفت التقرير إلى تصريح مسؤول قسم الأمن والطوارئ في بلدية الاحتلال قائلاً "إرهاب المقاومة" يتفشى في مدينة القدس[167].

---

[166] **المرجع نفسه.**

[167] يديعوت أحرونوت: القدس تشهد انتفاضة، الرسالة.نت، 2015/8/27.

تطوّر أساليب المقاومة:

توضح الجداول الملحقة بالكتاب، أنه وعقب عملية الطعن الأولى على يد الشاب مهند حلبي في 2015/10/3، والتي أسقطت مستوطنين اثنين وأصابت آخرين، نفذ الفلسطينيون 6 عمليات خلال أسبوع واحد فقط، أدت إلى مقتل إسرائيلي واحد وإصابة 8 آخرين. فيما استشهد 3 من المقاومين بينما اعتقل 3 آخرون. وشهد الأسبوع الثاني ما بين 11–2015/10/18، عدداً مضاعفاً من العمليات ، إذ وقعت 13 عملية مقاومة، منها 10 عمليات طعن ودعس، أدت إلى مقتل 3 إسرائيليين وإصابة 23 آخرين، فيما استشهد 9 مقاومين وأصيب واعتقل 4 آخرون. أما شهر تشرين الثاني/ نوفمبر فقد انخفضت فيه عمليات المقاومة، فشهد 6 عمليات طعن و3 عمليات دعس، أدت بالمجمل إلى قتل إسرائيلي واحد وإصابة 10 آخرين، فيما استشهد 7 مقاومين واعتقل 5 آخرون. وفي الشهر الأخير من موضوع الدراسة التي نحن بصددها، أي شهر كانون الأول/ ديسمبر من سنة 2015، وقعت 11 عملية، 7 منها طعناً بالسكين، و3 عمليات دعس، إضافة إلى عملية إطلاق نار واحدة، وأدت جميعها إلى مقتل إسرائيليَيْن وإصابة 26 آخرين. فيما استشهد 10 مقاومين وأصيب واعتقل 3 آخرون.

ويوضح الجدول رقم (11) المثبت في ملاحق الكتاب، إجماليّ ما شهدته مدينة القدس في الفترة 2015/10/1–2015/12/31 من الانتفاضة الثالثة، وهو: 7 عمليات دعس واشتباه بالدعس لجنود ومستوطنين إسرائيليين، كما شهدت المدينة 34 عملية طعن واشتباه بالطعن، و6 عمليات إطلاق نار، وزرع عبوة ناسفة واحدة.

إحصائيات مقارنة:

وفقاً للدراسات فإن شهري تشرين الأول/ أكتوبر وتشرين الثاني/ نوفمبر من سنة 2015، شهدا على صعيد فلسطين عامة 175 عملية، تنوعت بين الطعن والدعس وإطلاق النار، وأدت لمصرع 20 مستوطناً وجندياً وإصابة 300 آخرين، وذلك حسب اعترافات الاحتلال. وأن 60 عملية كانت بواسطة الطعن، يلي ذلك عمليات إطلاق النار التي بلغت 56 عملية، ثم عمليات الدعس والتي بلغت 13 عملية. وحازت مدينة الخليل على أعلى معدل لعمليات الطعن إذ شهدت 30 عملية، ثم مدينة القدس 21 عملية، فيما شهدت الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1948 ثلاث عمليات[168].

[168] دراسة تفصيلية حول انتفاضة القدس، مركز القدس لدراسات الشأن الإسرائيلي والفلسطيني، رام الله، 2016/2/3.

وفي دراسة مجملة لأحداث السنتين 2014 و2015، كشفت شبكة فلسطين للحوار في تقريرها السنوي لسنة 2015 أن فلسطين شهدت خلال سنة 2015؛ 5,383 عملية مقاومة، من بينها 156 عملية طعن أو محاولة طعن، و42 عملية دعس، و123 عملية إطلاق نار، و193 عملية إلقاء عبوات ناسفة محلية الصنع، و1,043 عملية إلقاء زجاجات حارقة. ويشير التقرير إلى أن عمليات الطعن في سنة 2015 ارتفعت عن سنة 2014 بعشرة أضعاف (16:156 عملية)، بينما ارتفعت عمليات إطلاق النار قريباً من الضعفين (79:123 عملية)، وكذلك ارتفعت عمليات الدعس بخمسة أضعاف (8:42 عملية)، وعمليات إلقاء العبوات الناسفة محلية الصنع بضعفين ونصف (75:193 عملية)[169].

وكان تقرير قد صدر عن جهاز الشاباك في 2015/12/17، قارن بين عمليات مدينة القدس خلال الفترة 2015/12/15–10/1، إلى مجموع العمليات في الضفة الغربية البالغة 109 عمليات، أي بنسبة 73% من عمليات الانتفاضة، وكشف عن أن 26 عملية فدائية وقعت في مدينة القدس وحدها، أي بنسبة 18% من عمليات الانتفاضة في الضفة الغربية والقدس والأراضي المحتلة سنة 1948، و14 عملية فدائية وقعت داخل الأراضي المحتلة سنة 1948، أي بنسبة 9% من عمليات الانتفاضة. وأشار التقرير أن 39% من أعمال المقاومة في مدينة القدس نفذها شبان أعمارهم بين 21–25 عاماً، وأن ما نسبته 37% من أعمال المقاومة نفذها شبان أعمارهم بين 16–20 عاماً، بينما نفذ أطفال دون 16 عاماً ما نسبته 8%[170]. كما صدر عن جهاز الشاباك في 2016/2/23، إحصائية تتعلق بالضفة الغربية عموماً، وأشارت إلى أن عدد العمليات التي تمّ التخطيط لها ولم تنفذ بين الأول من تشرين الأول/ أكتوبر 2015 ومنتصف شباط/ فبراير لسنة 2016، هي: 19 محاولة خطف، و12 عملية استشهادية، و120 عملية إطلاق نار، و41 عملية وضع عبوات ناسفة، و37 عملية طعن، و10 عمليات دعس[171].

الخلفية الاجتماعية والتعليمية للمقاومين:

وفي دراسة حول الحالة الاجتماعية والتعليمية وكذلك الماضي الأمني للمقاومين، أشارت إحدى الدراسات العبرية في 2015/12/21، إلى أن 115 شهيداً من أصل

---

[169] التقرير السنوي 2015، شبكة فلسطين للحوار، 2016/4/7.

[170] "الشاباك": الشبان والضفة يتصدرون عمليات الانتفاضة، موقع شبكة قدس الإخبارية، 2015/12/17، انظر: http://www.qudsn.ps/article/80658

[171] المرجع نفسه.

128 كانوا عزاباً، وأن 13 فقط كانوا متزوجين. بينما ادعى التقرير أن 14% من مجموع الشهداء حازوا تعليماً جامعياً، في حين اكتفى 86% منهم بالثانوية أو ما دونها. وفيما يتعلق بـ"الماضي الأمني"، فإن غالبية الشهداء خلوا من تجربة الاعتقال، بينما خاض 3 منهم فترات مختلفة في السجون[172].

بينما أشار محللون إلى أن التأهيل العلمي للمقاومين يدلل على أن خلفية العمليات الفدائية كانت التطلع للحرية والاستقلال، وليس الإحباط والفقر وتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية[173].

مقاومة احتجاز جثامين الشهداء وهدم بيوتهم:

كشفت وسائل الإعلام عن تباين في وجهات النظر بين المسؤولين الإسرائيليين، حول الموقف من الاحتفاظ بجثامين الشهداء، ويبدو أن المقاومة التي أبداها الشارع المقدسي والمسيرات الجماهيرية المطالبة بالإفراج عن الجثامين وما صاحبها من توتر واحتكاك مع قوات الاحتلال، دفعت العسكريين الإسرائيليين باتجاه تأييد الإفراج عن الجثامين، وبدأت سلطات الاحتلال فعلياً بالإفراج عنهم تدريجياً.

وكان ذوو الشهداء وكذلك محاموا مؤسسة الضمير لحقوق الإنسان، قد عدّوا هذه الشروط عقاباً جماعياً للعائلات الفلسطينية، وأن فيها إهانة للمعتقدات الدينية للمجتمع الفلسطيني، وأن دفن الجثامين بعيداً عن أماكن الدفن المعتادة انتهاك وتعذيب نفسي لذوي الشهداء، وأن ذلك يأتي ضمن حملة وسياسة التطهير العرقي والمكاني التي يتعرض لها المواطنون الفلسطينيون في القدس. وعدّ ذوو الشهداء وكذلك ممثلوا مؤسسة الضمير، أن الاحتفاظ بجثامين الشهداء ورفض فتح تحقيق في أسباب الوفاة يهدف إلى حجب الحقيقة وتزويرها، ويؤكد على استمرار الاحتلال في سياسة إعدام الفلسطينيين خارج نطاق القانون، وبغطاء كامل من الجهات السياسية والقضائية والأمنية في دولة الاحتلال[174].

---

[172] نداف شرغاي، مائة يوم من العمليات.. فوبيا صهيونية من القادم، المركز الفلسطيني للإعلام، 2015/12/22، انظر: http://bit.ly/2iGOVFE، نقلاً عن هآرتس.

[173] صحيفة **الخليج**، الشارقة، 2015/12/13.

[174] أهالي شهداء القدس يرفضون استلام جثامين أبنائهم بشروط، كيوبرس، 2016/1/3، انظر: http://bit.ly/2i10vqM

ورأى أكاديميون ومحامون مقدسيون تأخير سلطات الاحتلال تسليم الجثامين، سلوكاً مناقضاً لما نصت عليه العهود والمواثيق الدولية، ومنافياً لتوجيهات الشرائع السماوية، ويخرج من إطار القانون إلى إطار الانتقام والإذلال. وأكدوا على أن السلطات تبغي من سلوكها تعذيب أهالي الشهداء وتلقينهم درساً يردعهم عن القيام بما قام به صاحب الجثمان، فلا يكملوا مسيرة المقاومة التي سار بها أبناؤهم. كما يهدف الإسرائيليون إلى ابتزاز عائلات الشهداء قبل تسليمهم الجثامين، من حيث الزمن والعدد والشكل والمراسم والمال. فهم يريدون أقل عدد ممكن من الأفراد لحضور مواراة الجثمان الثرى، لئلا ينقلب هذا الشهيد إلى قديس يؤرق حياة الإسرائيليين فيما بعد، وحتى يدلل الإسرائيليون على أن فعلته لم تلقَ إلا تأييد القليل من أبناء شعبه، وأن فعلته قادت إلى وضع مرير. ويشترط الإسرائيليون مواراة الجثمان ليلاً، كناية عن قلة الاحترام للجثمان وخصوصاً الاحترام الديني. حيث إنه من المألوف شرعاً واجتماعياً وأخلاقياً تشييع الجثمان ودفنه في وضح النهار وليس في عتمة الليل وظلمته. بالإضافة إلى أن عناصر الأمن الإسرائيلي لا يريدون تشريحاً لجثث الجثامين، فهم يخشون أن تكتشف أعضاء مسروقة بدون موافقة أهلها، كما ثبت في كثير من الحوادث[175]. وسببٌ آخر لأجله ما تزال سلطات الاحتلال تحتجز الجثامين، وهو كي لا تبدو مدينة القدس فلسطينية كمدن الضفة الغربية[176].

د. تضحيات الفلسطينيين وخسائر الإسرائيليين في الانتفاضة الثالثة:

• تضحيات الفلسطينيين:

قدّم المقدسيون خلال هبتيّ الانتفاضة الثالثة، منذ 2014/7/1 وحتى 2015/12/31، 54 شهيداً، واحتجزت سلطات الاحتلال جثامين 17 شهيداً مقدسياً، قبل أن تطلق 7 منها خلال 3–4 أشهر على احتجازها. كذلك أصيب الآلاف بإصابات مختلفة، إما اختناقاً بالغاز المسيل للدموع، أو التعرض للضرب المبرح، أو الإصابة بالرصاص الحي والرصاص المطاطي. كما قامت سلطات الاحتلال باعتقال الآلاف وحكمت على المئات منهم أحكاماً مشدّدة، واعتقلت العشرات اعتقالاً إدارياً أو فرضت عليهم الحبس المنزلي لمدد مختلفة.

---

[175] إبراهيم شعبان، متى تسلم إسرائيل جثامين الشهداء، **القدس**، 2015/12/25.

[176] **المرجع نفسه**.

1. التضحيات خلال الهبة الأولى (2014/7/2–2015/10/1):

يشير الجدول رقم (12) الذي أعده المؤلف والمثبت ضمن ملاحق الكتاب، إلى أن المقدسيين قدموا منذ انطلاق الهبة الأولى في 2014/7/2 وحتى نهاية السنة 14 شهيداً، وقد توزعوا على 11 حيّاً من أحياء المدينة، وانفرد مخيم قلنديا وجبل المكبر بشهيدين لكل منهما.

كما بيّن الجدول أن أعمار أربعة من الشهداء هي 17 عاماً فما دون، بينما أعمار ستة منهم ما بين 20–30، وارتقى شيخ في الـ 70 من عمره ورضيعة ابنة أسبوعين.

وبينما ارتقى ثلاثة شهداء في تموز/ يوليو، فقد ارتقى أربعة شهداء في تشرين الثاني/ نوفمبر.

وقد سجلت سنة 2014 ارتفاعاً ملحوظاً بعمليات الاعتقال العشوائي التي طالت مئات المقدسيين، حيث كانت السلطات الإسرائيلية قد شكلت في تموز/ يوليو 2014 "وحدة خاصة" لتنفيذ الاعتقالات للحد من ظاهرة "الاحتجاجات والمواجهات في القدس"، وقامت هذه الوحدة باعتقال معظم المقدسيين الذين سبق اعتقالهم في أحداث سابقة، بالتزامن مع اقتحام منازلهم وتفتيشها بعنف وتخريب[177].

وبلغت حالات الاعتقال في مدينة القدس 2,250 حالة، بينها 700 طفل وقاصر، و69 سيدة، و15 مواطناً تتراوح أعمارهم بين 45–73 عاماً. وكان أكثر الأشهر التي شهدت اعتقالات هي: تموز/ يوليو من سنة 2014، (وهو الشهر الذي خطف فيه وأحرق الطفل محمد أبو خضير)، حيث اعتقلت السلطات 390 مواطناً، ثم تشرين الأول/ أكتوبر اعتقل 320 مواطناً، ثم آب/ أغسطس وكان فيه 300 معتقل، حيث وخلال يومين (13–14 آب/ أغسطس) اعتقلت السلطات أكثر من 130 مقدسياً، بعد اقتحام منازلهم في أحياء مختلفة من المدينة[178].

2. التضحيات خلال الهبة الثانية (2015/10/1–2015/12/31):

الشهداء:

أما الهبة الثانية، وخلال ثلاثة أشهر (2015/10/1–2015/12/31) فقد بلغ عدد من ارتقى من المقدسيين 37 شهيداً، فيما أصيب 1,569 منهم إصابات مختلفة.

---

[177] حصاد 2014: آلاف المستوطنين يقتحمون الأقصى.. منع صلاة الجمعة "17" مرة في المسجد.. وارتقاء 10 شهداء.. واعتقال 2250 مقدسياً، مركز معلومات وادي حلوة – سلوان، 2015/1/5.

[178] المرجع نفسه.

يشير الجدول رقم (12) في الجزء الخاص بالهبة الثانية والمثبت ضمن ملاحق الكتاب، إلى أن المقدسيين قدموا منذ انطلاق الهبة الثانية في 2015/10/1، وحتى نهاية السنة 37 شهيداً، وقد توزعوا على 13 حيّاً من أحياء المدينة، وقد امتاز مخيم قلنديا بالعدد الأكبر من الشهداء، إذ قدم 8 شهداء، تلاه حيّ جبل المكبر بـ 5 شهداء، ثم بلدة قطنة بـ 4 شهداء.

كما بيّن الجدول أن أعمار 6 من الشهداء 17 عاماً فما دون، وأعمار 23 منهم ما بين 20–30 عاماً، كما ارتقى رجلان أعمارهما فوق الـ 50 عاماً. وبينما ارتقى 18 شهيداً في تشرين الأول/ أكتوبر، وقد انخفض العدد إلى النصف في تشرين الثاني/ نوفمبر وكانون الأول/ ديسمبر.

ومن خلال استقراء التقارير يتبين لنا ارتقاء 7 أطفال مقدسيين شكلوا نسبة 26% من الأطفال الشهداء في الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة، الذين كانت نسبتهم كذلك 26% من عموم الشهداء الـ 129[179]. وأن سنة 2015 هي سنة الرعب والتعذيب الوحشي تجاه القاصرين، وأن نسبة التعذيب والمعاملة السيئة بحق الأطفال هي 100%[180].

مقارنة أعداد الشهداء بين الهبتين:

وفي دراسة مقارنة بين بدايات الهبة الأولى، 2/7–2014/10/2، وبدايات الهبة الثانية، 2015/10/2–2015/12/31، نجد من خلال الجدول رقم (12) المثبت ضمن ملاحق الدراسة أن 14 مقدسياً ارتقوا شهداء في الهبة الأولى، مقابل 125 شهيداً في الأشهر الثلاثة الأولى من الهبة الثانية.

وفي مقارنة مع أعداد الشهداء في الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة، إضافة إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1948، فقد شهدت سنة 2014 ارتقاء 2,240 شهيداً فلسطينياً من الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة، وذلك جراء اعتداء الجيش الإسرائيلي على قطاع غزة في معركة العصف المأكول، منهم 49 شهيداً من الضفة الغربية و17 شهيداً من مدينة القدس وشهيداً واحداً من الداخل الفلسطيني المحتل[181].

---

[179] حصاد 83 يوماً من انتفاضة القدس: 129 شهيداً و22 قتيلاً صهيونياً وإصابة 338 في 70 عملية إطلاق نار و69 عملية طعن و19 عملية دهس، مركز القدس لدراسات الشأن الإسرائيلي، رام الله، 2015/12/22.

[180] 6830 حالة اعتقال خلال عام 2015 والغالبية من الأطفال، موقع مفوضية الأسرى والمحررين – المحافظات الجنوبية، 2015/12/28، انظر: http://bit.ly/2iOsKe8

[181] حصاد 2014: آلاف المستوطنين يقتحمون الأقصى.. منع صلاة الجمعة "17" مرة في المسجد.. وارتقاء 10 شهداء.. واعتقال 2250 مقدسياً، مركز معلومات وادي حلوة – سلوان، 2015/1/5.

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

كذلك كشفت دراسة مقارنة عن عدد الشهداء خلال الهبة الثانية ونوعية الإصابات منذ 2015/10/2 وحتى 2015/12/17، حيث أكدت أن 23 شهيداً مقدسياً ارتقوا من أصل 125 شهيداً في فلسطين المحتلة، أي ما نسبته 18%. فيما أصيب 30 مقدسياً بالرصاص الحيّ من أصل 1,380، أي ما نسبته 2%. وأصيب 492 مقدسياً برصاص المطاط من أصل 3,022، أي ما نسبته 16%. وتضرر بالغاز المسيّل للدموع 1,017 مقدسياً من أصل 9,811، أي ما نسبته 10%. وتعرض للضرب المبرح 30 مقدسياً من أصل 454، أي ما نسبته 6% من مجموع المعتدى عليهم. وقد تعمدت سلطات الاحتلال إصابة العديد من الفلسطينيين بأعينهم، حيث فقد 7 من المواطنين أعينهم نتيجة هذه الإصابات، 4 من هؤلاء من مخيم شعفاط، بينهم رجل عمره 55 عاماً، و2 من العيسوية، وآخر من حيّ الثوري[182].

المعتقلون خلال الهبة الثانية (2015):

أشارت الدراسة الشهرية الصادرة عن "لجنة أهالي الأسرى المقدسيين" بأن سلطات الاحتلال أقدمت خلال كانون الأول/ ديسمبر، نهاية 2015، على اعتقال 152 مقدسياً، من بينهم 68 شخصاً اعتقلوا بعد اقتحام منازلهم، بينما اعتقل 84 آخرون ميدانياً من الشارع، أو من أماكن عملهم أو مدارسهم، من ضمنهم: 57 شاباً و9 سيدات و86 قاصراً، 10 منهم دون 12 عاماً. إضافة إلى طفلتين قاصرتين. كما واعتقلت شرطة الاحتلال 25 مقدسياً وهم مصابون بجروح خطيرة. وقد تنوع الاعتقال إلى أشكال عدة، كالاعتقال التقليدي أو الإداري، أو الحبس المنزلي أو الإقامة الجبرية، أو الإبعاد عن المسجد الأقصى أو البلدة القديمة، أو الإبعاد عن عموم مدينة القدس[183].

كما أشارت الدراسة إلى أن المعتقلين المقدسيين موزعون من حيث سكناهم على 16 حيّاً مقدسياً، وكانت البلدة القديمة صاحبة العدد الأكبر من الاعتقالات، حيث اعتقل منها 446 مقدسياً، ثم تلاها حيّ العيسوية 315، ثم سلوان 248، فالطور 201، فرأس العمود 182، ثم الثوري 112، ثم جبل المكبر 111، وتوزع باقي المعتقلين على ما تبقى من الأحياء الـ 16. وبالرغم من أن مخيم قلنديا يقع خلف الجدار، إلا أن قوات الاحتلال اعتقلت منه 30 شخصاً[184].

---

[182] تقرير جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، رام الله، 2015/12/17.

[183] الإحصائية السنوية للاعتقالات في القدس المحتلة للعام 2015، كيوبرس، 2016/1/1.

[184] المرجع نفسه.

وأكدت إحدى الدراسات أن حالات الاعتقال للأطفال المقدسيين خلال سنة 2015 بلغت أكثر من 500 حالة، من ضمنها 4 حالات لأطفال دون 14 عاماً اتهموا بمحاولات طعن، وتمّ حجزهم في مؤسسات مغلقة. وتسمي سلطات الاحتلال هذه الحالات بـ"الرعاية في مؤسسة داخلية"، وتهدف من خلالها عمل غسيل دماغ للأطفال، إلى حين بلوغ الأطفال السن الذي يسمح للسلطات تقديم لوائح اتهام ضدهم[185].

وأفاد تقرير صادر عن هيئة شؤون الأسرى والمحررين أنه مع نهاية شهر تشرين الأول/أكتوبر 2015، بلغت حالات الاعتقال 1,520 حالة اعتقال في الضفة الغربية ومدينة القدس، وأن 60% منهم من الأطفال، والأغلبية من محافظة القدس. كما وصل عدد الإداريين إلى 500 معتقل إداري[186].

بينما أحصت وحدة الدراسات والتوثيق في هيئة الأسرى والمحررين الفلسطينية، في تقريرها لنهاية سنة 2015، أن السلطات الإسرائيلية نفذت خلال سنة 2015 في محافظة القدس 2,353 حالة اعتقال، وأن هذا الرقم يشكل ما نسبته 34.5% من إجمالي الاعتقالات في الضفة الغربية والقدس المحتلة وقطاع غزة. كما وسجلت الهيئة قرابة 170 حالة اعتقال من المناطق المحتلة سنة 1948، وغالبيتها كانت خلال الهبة الثانية من الانتفاضة. وذكر التقرير أن سلطات الاحتلال اعتقلت 6,830 فلسطينياً في الضفة الغربية والقدس المحتلة وقطاع غزة خلال سنة 2015، وأن جميع من مرّوا بتجربة الاعتقال وبنسبة 100% كانوا قد تعرضوا لشكل أو أكثر من أشكال التعذيب الجسدي أو النفسي. كما اعتقلت سلطات الاحتلال 2,179 طفلاً (ذكوراً وإناثاً)، تتراوح أعمارهم بين 11–18 عاماً، في زيادة مقدارها 72.1% عن سنة 2014. وفيما يتعلق بالاعتقالات الإدارية، فقد أظهر تقرير هيئة الأسرى والمحررين أن سلطات الاحتلال أصدرت خلال سنة 2015 قرابة 650 قراراً بالاعتقال الإداري، ما بين اعتقال جديد أو تجديد الاعتقال، وأن أكثر من نصف هذا العدد من القرارات، قد صدرت خلال الثلاثة شهور الأخيرة من سنة 2015، أي منذ اندلاع الهبة الثانية[187].

---

[185] المرجع نفسه.

[186] تقرير صادر عن هيئة شؤون الأسرى والمحررين: 1520 حالة اعتقال، 60% من الأطفال، تصعيد في الاعتقال الإداري، وكالة فلسطين اليوم الإخبارية، 2015/10/31، انظر: http://bit.ly/2jm6LhY

[187] 6830 حالة اعتقال خلال عام 2015 والغالبية من الأطفال، موقع مفوضية الأسرى والمحررين – المحافظات الجنوبية، 2015/12/28.

احتجاز جثامين شهداء الانتفاضة الثالثة:

لم تكتفِ سلطات الاحتلال بقتل المقدسيين، بل قامت باحتجاز جثامين الشهداء في ثلاجات ذات درجة حرارة خمسين تحت الصفر، ممّا ترك أثراً بالغ القسوة والتغيير في ملامح الجثامين.

ويشير الجدول رقم (13) الذي أعده الباحث لغرض الدراسة والمثبت ضمن ملاحق الكتاب، إلى قائمة الجثامين التي احتجزتها سلطات الاحتلال، وتاريخ الإفراج عنها. ويتضح منها أن الاحتلال احتجز كافة جثامين الشهداء فور قتلهم. ثم أفرج عن بعضها خلال عدة أيام من احتجازها. وأبقى الاحتلال ما يقرب من عشرين جثماناً لشهداء مقدسيين قريباً من ثمانين يوماً.

هدم بيوت المقاومين:

قامت سلطات الاحتلال بهدم العديد من بيوت المقاومين الفلسطينيين، أو "صبّ الإسمنت المسلح" عبر نوافذ البيت، أو هدم جدران البيت في حالة كون البيت شقة في إحدى العمارات. وذلك في مخالفة صريحة لنصوص القوانين الدولية التي تحظر سياسة العقاب الجماعي، تحديداً مادتي 33 و53 من اتفاقية جنيف الرابعة، عدى عن كون هذه القوانين قد أقرت بحق مقاومة المقدسيين للاحتلال بكافة الوسائل الشرعية المتاحة.

وتستعين سلطات الاحتلال في أثناء هدم البيوت بمئات أو آلاف الجنود إلى جانب آلات الهدم، كما في حالة هدم بيت الشهيد إبراهيم العكاري في مخيم شعفاط، بعد إغلاق المخيم ومنع تجول سكانه[188]. وبلغ عدد ما هدمته السلطات أو أغلقته إلى حين هدمه 11 بيتاً في مدينة القدس[189].

فيما لم تهدم سلطات الاحتلال أي من بيوت المستوطنين اليهود الذين قاموا بعمليات إرهابية ضدّ الفلسطينيين، خصوصاً أولئك الذين أقدموا على خطف وحرق وقتل الطفل محمد أبو خضير، بالرغم من أن المحكمة الإسرائيلية قد دانتهم.

---

[188] تفجير منزل الشهيد العكاري بعد اقتحام قوات كبيرة من قوات الجيش، **القدس**، 2015/12/2.

[189] معطيات حول هدم البيوت كوسيلة عقاب، بتسيلم – مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة، 2011/1/1.

• **خسائر الاحتلال في الانتفاضة الثالثة (2014–2015):**

1. القتلى والمصابين من الإسرائيليين:

بلغ عدد القتلى الإسرائيليين خلال الأشهر الثلاثة الأولى من الانتفاضة الثالثة (2/7–2014/10/7)، 10 من الجنود والمستوطنين إضافة إلى إصابة 65 إسرائيلياً بإصابات مختلفة. واستناداً إلى معطيات شرطة الاحتلال الإسرائيلية حول إحصائية إجمالية نهاية الأسبوع الأخير من سنة 2015، فقد قتل في الأشهر الثلاثة الأخيرة من سنة 2015 في مدينة القدس وحدها، 8 إسرائيليين فيما أصيب 60 آخرون. وذكرت إحصائية الشرطة الإسرائيلية أن 25 إسرائيلياً قتلوا في الفترة نفسها في الضفة الغربية ومدينة القدس المحتلة، وأصيب 280 آخرون، نتيجة 120 عملية طعن، و46 عملية إطلاق نار، و30 عملية دعْسٍ[190].

2. أجواء من الرعب:

أشار تقرير إلى حالة من الرعب يعيشها الإسرائيليون في كافة مناحي الحياة. ووصف التقرير حال المستوطنين اليهود بأنهم صاروا يشكون بكل فلسطيني، ويرون فيه خطراً عليهم. وقد وصل عدد التبليغات الصادرة عن المستوطنين لمؤسسات الأمن الإسرائيلية 25 ألفاً في يوم واحد، هو يوم الجمعة الموافق 2015/10/9[191]. وقد لخصت صحيفة هآرتس العبرية في تقرير لها مطلع كانون الأول/ ديسمبر 2014 الحالة الإسرائيلية بعد سلسلة العمليات في القدس بالقول: "إن كل إسرائيلي [عندما] يُصبِح يلتفُّ حول نفسه عشرات المرات في اليوم الواحد، وذلك بسبب تزايد حالة البغض والكراهية، نتيجة تزايد التوتر في مدينة القدس في الآونة الأخيرة"[192]. بينما أفاد استطلاع للرأي العام اليهودي أجراه معهد فانليس بولوتيكس في 2015/11/24، وكتبت عنه صحيفة القدس في 2015/12/7، بأن 46% من المشاركين في الاستطلاع أفصحوا أنهم "سيفكرون مرتين" قبل المشاركة في احتفالات عامة، كما صرح 77% من المستطلعة آراؤهم بأنهم يشعرون

---

[190] الهبة الفلسطينية تصيب آلاف الإسرائيليين بصدمة نفسية، الجزيرة.نت، 2015/12/18.

[191] السكاكين: أيقونة انتفاضة القدس، المركز الفلسطيني للإعلام، 2015/10/13، انظر: https://palinfo.com/1538

[192] 2014.... مقاومة الضفة تستعيد عافيتها والعمليات الفردية العنوان، المركز الفلسطيني للإعلام، 2014/12/29، انظر: https://palinfo.com/8212

بـ"انعدام الأمن"، بينهم 52% أجابوا أنهم "لا يشعرون بأمن كبير" و25% أجابوا أنهم "يشعرون بانعدام الأمن"[193].

ومن صور الرعب التي عاشها الإسرائيليون في مدينة القدس، توجه طائفة يهودية للجمهور المقدسي تستغيث بالمقاومة بعدم التعرض لها بالقتل، حيث تبرأت إحدى طوائف الحريديم Haredim اليهودية، من الانتهاكات الصهيونية والاقتحامات المتكررة للمسجد الأقصى المبارك، داعية المقاومة ومنفذي عمليات الطعن والدعس، بعدم التعرض لهم وقتلهم. وقالت الطائفة في كتاب مناشدة باللغة العربية نشرته صحيفة العائلة العبرية، إن تعليمات الطائفة لديهم تحظر دخولهم باحات الأقصى، وبالتالي لا يوجد سبب لاستهدافهم بالقتل في هذه الموجة من العمليات[194]. بالمقابل وكنتيجة لأجواء الرعب المهيمنة على الشارع الإسرائيلي، أفتى عدد من الحاخامات اليهود بوجوب القتل الميداني للفلسطينيين المنفذين لعمليات المقاومة، حتى ولو زال خطرهم أو كانت هناك حاجة للإبقاء على حياتهم بدعوى التحقيق معهم. وكان الحاخام شموئيل إلياهو Shmuel Eliyahu عضو مجلس الحاخامية الكبرى، وصاحب آخر فتوى بهذا الخصوص، قد علل فتواه بأنه "يخشى من عودة الفلسطيني بعد تحرره من السجن للقيام بعمليات أخرى ضدّ الاحتلال"، وأضاف أنه "يجوز الإبقاء على حياته إذا كانت هناك حاجة ماسة ولفترة وجيزة، ومن ثم الإجهاز عليه وإرساله إلى جهنم"، وأكد الحاخام على أنه "ينبغي تقديم الشرطة والجنود الإسرائيليين الذين يترددون في إعدام الفلسطينيين ميدانياً للمحاكمة"[195].

وتسببت موجة الرعب بحالات نفسية مرضية وسط العديد من اليهود، حيث قام بعضهم وللمرة الرابعة، بالاعتداء على يهود مثلهم، وهم يحسبونهم عرباً[196]. وأصدرت الرابطة الإسرائيلية لعلاج الصدمات النفسية، بحسب صحيفة معاريف العبرية في 2015/12/28، تقريراً أشار إلى أن 1,500 إسرائيلي في مدينة القدس، يعالجون

---

[193] استطلاع: الغالبية العظمى من "الإسرائيليين" لا تشعر بالأمن، وكالة القدس للأنباء، 2015/12/6، انظر: http://bit.ly/2n8FLTw

[194] طائفة يهودية تستغيث بالمقاومة: توقفوا عن قتلنا، موقع مرآة العرب، 2015/10/29، انظر: http://bit.ly/2mvEXtr

[195] صالح النعامي، "عنصرية على مواقع التواصل العبرية"، **العربي الجديد**، 2015/10/15.

[196] للمرة الثالثة خلال 4 أيام، ظنوه عربياً فقتلوه، عرب 48، 2015/10/22، انظر: http://bit.ly/2iiE29c

من الصدمة النفسية نتيجة "العنف" الدائر في الأشهر الثلاثة الأخيرة، من أصل 8,000 إسرائيلي يتعالجون على مستوى الكيان الإسرائيلي، أي ما نسبته 19% من مجموع المصابين. وقالت الرابطة أنه مقابل كل قتيل إسرائيلي هناك بالمتوسط 27 مصاباً بالصدمة النفسية[197].

3. إجراءات أمنية تطلبت موازنة مالية كبيرة:

وفيما يتصل بخسائر الإسرائيليين، فقد شرعت بلدية الاحتلال في مدينة القدس بالعمل على تحصين ثلاثمئة محطة حافلات، بأمر من رئيس البلدية الإسرائيلي نير بركات، في محاولة لمنع تنفيذ عمليات الدعس، وتبلغ تكلفة المشروع نحو مليوني شيكل (نحو 513 ألف دولار)[198]. فيما أعلنت شرطة الاحتلال عمّا كانت قد أعدته في كانون الثاني/ يناير 2015 وأسمته بـ"الخطة الشاملة من أجل مواجهة التصعيد الأمني" في مدينة القدس. حيث تتضمن الخطة عدة نشاطات، منها: نشر 1,156 شرطياً إسرائيلياً إضافياً في المدينة، وتحسين الوسائل الاستخبارية والتكنولوجية الموجودة بأيدي الشرطة، وتهيئة مركزين إضافيين للشرطة في بلدتي سلوان والعيسوية، ونشر وحدات أمنية مشتركة من قوات التدخل السريع للشرطة والشرطة السّرية. إضافة إلى تعزيز الأجهزة الشرطية المقامة في باحات المسجد الأقصى عن طريق نصب بوابات ممغنطة على مداخله. وحسب التقديرات فإن هذه الخطة ستكلف ما بين 600–700 مليون شيكل إسرائيلي (نحو 153–179 مليار دولار)[199].

ووفق صحيفة مكور ريشون Makor Rishon العبرية في 2015/10/22، فقد تمّ تحويل أربعة مليارات شيكل (نحو 1.05 مليار دولار) حتى هذا التاريخ لنفقات الجيش والشرطة، في وقت انخفض دخل الحكومة من الضرائب بنحو ستة مليارات شيكل (نحو 1.58 مليار دولار)[200].

---

[197] إصابة 8100 صهيوني بالصدمة النفسية، شبكة فلسطين للحوار، 2015/12/29.

[198] القدس: بدء بتحصين 300 محطة حافلات، عرب 48، 2015/12/21.
ملاحظة: تمّ اعتماد سعر صرف الدولار مقابل الشيكل الإسرائيلي وفق معطيات بنك "إسرائيل" المركزي في 2015/12/21، الذي حدد سعر الصرف بـ 3.9.

[199] الاحتلال يبلور خطة لإطباق سيطرته على القدس والأقصى، المركز الفلسطيني للإعلام، 2015/1/1.
ملاحظة: تمّ اعتماد سعر صرف الدولار مقابل الشيكل الإسرائيلي وفق معطيات بنك "إسرائيل" المركزي في 2015/1/2، الذي حدد سعر الصرف بـ 3.918.

[200] انظر: حرب السكاكين ترعب الإسرائيليين وتنهك اقتصادهم، الجزيرة.نت، 2015/10/25، انظر:
http://bit.ly/2mTfGoo

4. الخسائر اقتصادية:

أشارت مجلة غلوبس Globes الاقتصادية العبرية في تقرير لها حول تأثير المقاومة على الاقتصاد الإسرائيلي، إلى أن رجال أعمال إسرائيليين أغلقوا محالهم التجارية بمدينة القدس. وأوعزت المجلة السبب إلى تزايد الديون على أصحابها بسبب تراجع العائدات، نتيجة ما أسماه الموقع بالوضع الأمني المتوتر. وكشفت صحيفة هآرتس العبرية عن أن ثلاثين محلاً تجارياً إسرائيلياً أغلق بسبب الانتفاضة، وأن نسبة التراجع في الحركة الاقتصادية في الوسط اليهودي من المدينة تقترب من نسبة 60%[201].

في حين أكدت دائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية تضرر الفنادق الإسرائيلية بنسبة 30%، وشمل ذلك إلغاء الحجوزات لأعياد الميلاد على الرغم من استضافة سلطات الاحتلال مئتين من وكلاء السفر حول العالم لتشجيع السياحة إلى المدينة[202]. وكانت صحيفة مكور ريشون العبرية قدرت خلال منتصف تشرين الأول/ أكتوبر 2015 كلفة شهر واحد من الانتفاضة بنحو خمسة مليارات شيكل (نحو 1.3 مليار دولار) من الدخل القومي العام، مشيرة إلى أنه حصل انخفاض في الحجوزات الفندقية بنسبة 50% منذ بداية تشرين الأول/ أكتوبر 2015[203].

وأجملت إحدى الدراسات نتائج مختصرة لعدد من الاستطلاعات والتقارير، خلال الأسابيع الثلاثة الأولى فقط من تشرين الأول/أكتوبر 2015، حيث أكدت الدراسة أن 70% من الإسرائيليين، (حسب صحيفة معاريف، 2015/10/14) باتوا يؤيدون الانسحاب من الأحياء الفلسطينية في مدينة القدس، وأن 25 مقالاً في الصحف العبرية دعت إلى "التخلص" من القدس الشرقية، كما أن هناك زيادة بنسبة 100% في أعداد الإسرائيليين الذين يتوجهون للمصحات النفسية (حسب موقع والا، 2015/10/16)، وأن الخسائر الاقتصادية تقدر بـ 2.5 مليار دولار (حسب صحيفة معاريف، 2015/10/18)[204].

---

[201] انظر: انتفاضة القدس تطيح باقتصاد الخدمات بالكيان الصهيوني، وكالة القدس للأنباء، 2015/12/26، في: http://bit.ly/2nuqT0u

[202] المرجع نفسه.

[203] حرب السكاكين ترعب الإسرائيليين وتنهك اقتصادهم، الجزيرة نت، 2015/10/25.

[204] حاخامات يهود يحرمون زيارة المسجد الأقصى، الجزيرة.نت، 2015/10/23.

هـ. سمات وخصائص الانتفاضة الثالثة:

امتازت الانتفاضة الثالثة عن الانتفاضتين الأولى والثانية بعدة سمات، فبينما غلب على الانتفاضة الأولى (1987–1994) الحراك الشعبي الشامل، والتزام الجماهير بتوجيهات القيادة المركزية للانتفاضة، فقد غلب على الانتفاضة الثانية (2000–2004)، تحولها السريع نحو العمل العسكري الصّرف، إضافة إلى الانخراط النسبي في الانتفاضة من قبل الأجهزة الأمنية الفلسطينية، أما الانتفاضة الثالثة (2014–2016)، فقد امتازت بغياب القيادة المركزية الموجهة للانتفاضة، الأمر الذي أدى إلى شيوع أسلوب العمليات الفردية في مقاومة الاحتلال، وباختيار أسلوبي الدعس والطعن بشكل أساسي، وبمشاركة القاصرين والأطفال، إضافة إلى امتياز الانتفاضة الثالثة بظاهرة "الاقتداء"، وظاهرة "الثأر" من جنود الاحتلال والمستوطنين.

1. عمليات فردية:

تميزت الانتفاضة الثالثة بالعمليات الفردية غير التنظيمية، انطبق هذا الوصف على الأغلبية الساحقة لعمليات الدعس والطعن، إضافة إلى العمليات المسلحة والتي وصفت بالعسكرية، ويظهر لنا من خلال الجدول رقم (11) الذي يحصي عمليات المقاومة في سنتي 2014–2015، بأن 76 نشاطاً مقاوماً، نفذه أشخاصٌ بشكل فردي. يضاف إليها النشاط اليومي من إلقاء الزجاجات الحارقة والقذف بالحجارة. إلا في حالة واحدة خطط خلالها مجموعة من طلاب جامعة القدس، لتأسيس مختبر لإعداد العبوات والأحزمة الناسفة، وقد تمّ اعتقالهم قبل التنفيذ أوائل تشرين الثاني/ نوفمبر من سنة 2015[205].

2. ظاهرة الدعس:

كانت أول عملية دعس بعد شهر من اندلاع الانتفاضة الثالثة في 2014/8/4، حيث أقدم الشاب المقدسي غسان أبو طير الذي يقود جرافة، على الاصطدام بحافلة إسرائيلية في شرقي القدس، ممّا أدى إلى مقتل إسرائيلي وجرح أربعة آخرين. ثم اقتدى به الشاب عبد الرحمن الشلودي، حين قام بدعس عدد من المستوطنين بالقرب من محطة القطار الخفيف بمدينة القدس المحتلة في 2014/10/23، مما أدى إلى مقتل إسرائيليين وإصابة 8 آخرين. تلا ذلك قتل إسرائيليين وإصابة 14 بجراح مختلفة في عملية دعس نفذها

[205] ياسين عز الدين، مرجع سابق.

الشاب المقدسي إبراهيم العكاري من سكان مخيم شعفاط، في 2014/11/5. وهكذا استمر مسلسل الدعس حتى بلغ مجموع عمليات الدعس في الانتفاضة الثالثة 14 عملية[206].

3. ظاهرة الطعن:

جدّد المقدسيون في الهبة الثانية من سنة 2015 استخدام أسلوب الطعن بالسكاكين ضدّ قوات الاحتلال والمستوطنين. وأحدث استخدام السكين في مقاومة الاحتلال رعباً كبيراً في أوساط الجنود والمستوطنين الإسرائيليين، ويشير الجدول رقم (11) إلى أن المقدسيين قد نفذوا 48 عملية طعن خلال الانتفاضة الثالثة. مما جعل الإسرائيليين يشكون بكل فلسطيني كبيراً كان أو صغيراً، ذكراً أو أنثى، ويرون فيه خطراً حقيقياً، حتى كان متوسط عدد التبليغات الصادرة عن المستوطنين للجهات الأمنية المختصة، يزيد عن عشرة آلاف تبليغ في أراضي الضفة الغربية ومدينة القدس، وقد وصلت هذه التبليغات ذروتها في يوم الجمعة الموافق 2015/10/9، إذ بلغت 25 ألف تبليغ[207].

ويفسّر المقدسيون سبب استخدامهم للسكين في الانتفاضة الثالثة بقولهم: "إن سلاح السكين خفيف الحمل وقليل الكلفة، يرهب العدو بشكل كبير جدّاً، ويوجعه ويربكه"[208]. وكان الأسير المقدسي المحرر عامر سرحان، قد فجر ثورة السكاكين في سنة 1990 من الانتفاضة الأولى، عندما قام في 1990/10/21 بقتل وجرح عددٍ من الإسرائيليين غرب مدينة القدس، ثأراً لشهداء المسجد الأقصى الذين سقطوا قبل أسبوعين من ذلك التاريخ بأيدي قوات الاحتلال، فيما بات يعرف بمجزرة الأقصى.

4. مشاركة القاصرين والأطفال:

وهي من أبرز سمات الانتفاضة الثالثة، حيث يصعب على قوات الاحتلال التنبؤ بالأحداث التي يشارك فيها أطفال وفتيان صغار، بسبب غياب الخلفية التنظيمية الحزبية لهؤلاء الأطفال، وهي ظاهرة غير مدروسة من قبل الاحتلال كونها غير مسبوقة. وفي هذا السياق يقول مسؤول أمني إسرائيلي كبير "إن زرع مخبرين وسط "منظمة إرهابية" أمرٌ سهل، ويمكن للأجهزة الأمنية الإسرائيلية اكتشاف بعض العمليات قبل

---

[206] 2014.... مقاومة الضفة تستعيد عافيتها والعمليات الفردية العنوان، المركز الفلسطيني للإعلام، 2014/12/29.

[207] السكاكين: أيقونة انتفاضة القدس، المركز الفلسطيني للإعلام، 2015/10/13.

[208] الإعلام الصهيوني: الانتفاضة الثالثة انطلقت، المركز الفلسطيني للإعلام، 2015/10/9.

حصولها، ولكن من المستحيل زرع مخبر في رأس مواطن أوى إلى فراشه وقام صباحاً وقرّر أن يقوم بعملية طعن أو دهس"[209].

وكان دور الأطفال يقتصر فيما مضى من الانتفاضات برمي الحجارة، أو مساعدة المطلوبين للاحتلال بالتخفي أو كشف الطريق لهم وخلوّها من جنود الاحتلال. وقد طالبت جهات رسمية فلسطينية تحييد الأطفال عن الانخراط بعمليات الطعن، وتحديداً قرب حواجز الاحتلال، بحجة انتهاء المحاولات غالباً باستشهادهم، دون أن يوقعوا إصابات في صفوف الاحتلال.

5. شبكات التواصل الاجتماعي:

منذ اندلاع الهبّة الثانية من الانتفاضة الفلسطينية في 2015/10/1، اندلعت انتفاضة أخرى في العالم الافتراضي على شبكات التواصل الاجتماعي. وذلك بتداول النشطاء الفلسطينيين للتغريدات والتدوينات الخاصة بالانتفاضة، وتمجيد عمليات الطعن والدعس وإطلاق النار تجاه الإسرائيليين، وكذلك بثّ صور عمليات المقاومة وصور منفذيها. وبات الفلسطينيون بغالبيتهم يملكون حسابات شخصية على الفيسبوك وتويتر Twitter، وذلك بحسب سوشيال ستوديو Social Studio غير الحكومية.

وقد لجأ الفلسطينيون إلى إعلام شبكات التواصل في الانتفاضة الثالثة، نظراً لدوره المهم في نشر فعالياتها وأحداثها، وقدرته على تحشيد الجمهور الفلسطيني. وفي الوقت الذي تشهد فيه عمليات الانتفاضة بعض الهدوء أحياناً، فإن شبكات التواصل الاجتماعي تواصل عملها المقاوم، عبر المنشورات والتغريدات والتعليقات المختلفة.

وقد عاملت حكومة الاحتلال نشطاء شبكات التّواصل بقسوة شديدة، وحكمت عليهم بأشهر طويلة من الاعتقال والغرامات، وتسببت بإغلاق عشرات الصفحات للنشطاء الفلسطينيين. وذلك في أعقاب اتفاق حصل في 2015/11/24، بين وزارة الخارجية الإسرائيلية وإدارة شركات غوغل ويوتيوب والفيسبوك، يقضي بمحاربة "التحريض" من قبل الفلسطينيين عبر صفحاتها. وقد اتخذت الحكومة الإسرائيلية جملة من الإجراءات، أهمها تجنيد ما يقرب من خمسة آلاف حساب وهمي على شبكات التواصل، يديرها إسرائيليون يتقنون اللغتين الإنجليزية والعربية، وذلك لمحاربة

[209] عبد الرؤوف الأرناؤوط، **مرجع سابق**.

الصفحات الفلسطينية على شبكات التواصل وتدميرها، وكذلك تقديم بلاغات إلى إدارة الفيسبوك ضدّ المئات منها[210].

6. خلفيات عمليات المقاومة:

تعدّدت الدوافع وراء قيام الشبان المقدسيين بتنفيذ عمليات المقاومة المختلفة ضدّ الاحتلال، وقد أجمع المحللون على أن شراسة الاحتلال في التعامل مع الفلسطينيين ومقدساتهم وممتلكاتهم، تؤسس في العادة الاحتقان الذي يولد أشكال المقاومة. وقد أقرت دراسة أجراها جيش الاحتلال الإسرائيلي بعد شهرين من اندلاع الانتفاضة الثالثة ووصفها بالمكثفة، وأنها اعتمدت على طابع الاستقصاء، أن الدوافع الحقيقية وراء عمليات المقاومة الفلسطينية الفردية تكمن بـ"الاقتداء والانتقام". حيث شكل "دافع الانتقام" سبباً أولاً للمقاومة. خصوصاً لما يتعرض له المسجد الأقصى من انتهاك وتدنيس. وجاءت هذه الدراسة لتعارض التصريحات الإسرائيلية الرسمية التي حاولت طيلة الوقت الادعاء بأن "دافع التحريض" هو السبب الرئيسي وراء تنفيذ الفلسطينيين لعمليات المقاومة الفردية.

ويدلل على دافع الانتقام أيضاً، ما كتبه الشهيد مهند حلبي على حسابه في شبكة التواصل ليلة إقدامه على طعن إسرائيليين في البلدة القديمة حيث قال: "ما يجري للأقصى هو ما يجري لمقدساتنا ومسرى نبينا، وما يجري لنساء الأقصى هو ما يجري لأمهاتنا وأخواتنا". وتابع: "فلا أظن أن شعبنا يرضى بالذل، الشعب سينتفض، بل ينتفض"[211]. كذلك تمثل حالة المقاوم المقدسي معتز حجازي نموذجاً واضحاً لدافع الانتقام، حيث قام حجازي في 2014/10/29، بإطلاق النار على الحاخام اليهودي المتطرف يهودا جليك Yehuda Glick من "مسافة صفر" حيث أصابه إصابة خطيرة، بسبب حملاته المتكررة على اقتحام المسجد الأقصى بصحبة عشرات المستوطنين.

---

[210] عدنان أبو عامر، شبكات التواصل الاجتماعي... جبهة قتالية جديدة بين الفلسطينيين والإسرائيليين، موقع المونيتور، 2016/2/8، انظر: http://www.al-monitor.com/pulse/ar/originals/2016/02/palestinian-intifada-social-media-israel-facebook.html

[211] في انتفاضة الأقصى شهيد يضع صورة شهيد، موقع الجزيرة مباشر، 2015/10/4، انظر: http://mubasher.aljazeera.net/

أما "دافع الاقتداء" فينطبق على قائمة المنفذين للعمليات التي تلت عمليتي حلبي وحجازي، حيث أقدم شابان مقدسيان من جبل المكبر، هما غسان وعدي أبو جمل، بتنفيذ عملية فدائية مشتركة بعد ثلاثة أسابيع فقط من عملية معتز حجازي، فاقتحما معهداً لتخريج المستوطنين المتدينين في 2014/11/18، فقتلوا أربعة من الحاخامات اليهود إضافة إلى شرطي إسرائيلي، وجرحا العشرات من طلبة المعهد[212].

و. مواقف الأطراف الفلسطينية من الانتفاضة الثالثة:

1. موقف السلطة الفلسطينية:

أعلنت السلطة الفلسطينية مراراً عن استنكارها وتنديدها بالاعتداءات الإسرائيلية المستمرة في حقّ الفلسطينيين العزل، وطالبت السلطة الحكومة الإسرائيلية بالتوقف عن هذه الاعتداءات ورأتها تقف حائلاً دون التقدم باتجاه تحقيق السلام، وباتجاه استقرار المنطقة واسترجاع الحقوق، كما أعلنت السلطة الفلسطينية عن رفع كافة الاعتداءات والانتهاكات إلى الجهات الدولية المختصة، بما في ذلك محكمة الجنايات الدولية.

إلا أن السلطة الفلسطينية كانت قد حددت موقفاً مسبقاً من قيام انتفاضة ثالثة، ورأتها أقرب إلى العنف والإرهاب، ففي مقابلة مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس بثتها القناة الثانية العبرية مساء 2012/11/2، صرح خلال لقائه بالصحفي الإسرائيلي أودي سيغال Udi Segal: "أنا مستعد للعودة إلى المفاوضات، وطالما أنا أعمل هنا كحاكم ورئيس، لن أقبل باندلاع انتفاضة ثالثة، فنحن لا نريد أن نستخدم "الإرهاب"، بل نريد استخدام السياسة والدبلوماسية والمفاوضات في النضال من أجل حقوقنا"[213].

وقد شهد موقف السلطة الفلسطينية من الهبة الثانية تطوراً تكتيكياً، إذ تمثل في "منح فسحة زمنية" تسمح بتفريغ طاقات الشباب، في مواجهات محدّدة ومعروفة السقف، تندرج في إطار سياسة الاحتواء التي اتبعتها منذ نهاية الانتفاضة الثانية، وتوجهها نحو تطبيق شروط الرباعية Quartet وبناء المؤسسات والتعاون الأمني[214].

---

[212] 2014.... مقاومة الضفة تستعيد عافيتها والعمليات الفردية العنوان، المركز الفلسطيني للإعلام، 2014/12/29.

[213] أنا لاجئ فلسطيني من صفد، موقع وكالة سما الإخبارية، 2012/11/1، انظر: http://samanews.ps/ar/

[214] دائرة سليمان الحلبي للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي، "الهبة الفلسطينية... تحديات وفرص".

وبالرغم من حديث الإسرائيليين المتكرر عن دور التنسيق الأمني في لجم العمل المقاوم، إلا أن مسؤولي السلطة الفلسطينية نفوا أنهم يسعون لوقف الانتفاضة، لكنهم في الوقت ذاته أدلوا بتصريحات متناقضة حول وجود التنسيق الأمني من عدمه، فبينما أكد البعض حتمية التنسيق وقدسيته، نفى البعض الآخر أن يكون التنسيق قد استؤنف منذ قُطع سنة 2002. إلا أن تصريحات مدير المخابرات الفلسطينية اللواء ماجد فرج أكدت لصحيفة ديفينس نيوز Defense News في 2016/1/18 فعالية التنسيق الأمني، إذ أقرّ اللواء فرج إحباط السلطة ما يقرب من مئتي عملية فدائية خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة من سنة 2015، إضافة إلى أنها اعتقلت مئة ناشط فلسطيني[215].

2. مواقف الفصائل الفلسطينية:

اختلف موقف حركة فتح ميدانياً عن موقف السلطة الفلسطينية. وشاركت القطاعات الشبابية في فعاليات الانتفاضة تأييداً ومباركة، خصوصاً بعدما لاقت الانتفاضة تأييداً شعبياً لافتاً، وأكدت قادة الحركة في تصريحاتهم على "ضرورة حماية الانتفاضة من أيّ تراجع عن أهدافها"[216].

كذلك كان موقف الجبهة الشعبية وحركتا حماس والجهاد الإسلامي، حيث طالبوا بحماية انتفاضة الشعب الفلسطيني في وجه المستوطنين وقوات الاحتلال[217].

إلا أن الفصائل الفلسطينية أكدت على موقف رافض لتوجه السلطة الفلسطينية، وعدَّته توجهاً سلبياً مقارنة بالموقف الشعبي المتقدم، وأصدرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بياناً وصفت فيه موقف السلطة وأجهزتها الأمنية بـ"المحايد والمتفرج"، ودعتها إلى المشاركة جنباً إلى جنب مع أبناء الشعب الفلسطيني، في التصدي للاعتداءات الإسرائيلية ولعنف وإرهاب المستوطنين[218]. وقال عضو المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، الدكتور محمود الزهار، إن فرصة حدوث انتفاضة ثالثة متوفرة وبصورة أشد من انتفاضة الأقصى، مشدداً على أن الحل الوحيد للدفاع

[215] ماجد فرج: السلطة أحبطت 200 عملية ضد إسرائيل، المركز الفلسطيني للإعلام، 2016/1/20.

[216] ياسين عز الدين، مرجع سابق.

[217] فلسطين اليوم، نشرة يومية، مركز الزيتونة، بيروت، 2014/7/3.

[218] المرجع نفسه.

عن الأقصى هو أن يحمل أهل الضفة والقدس السلاح[219]. فيما رأى الشيخ رائد صلاح، رئيس الحركة الإسلامية في الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1948 أن "الاحتلال وبعد كل ما ارتكبه في حقّ المقدسيين والمسجد الأقصى، فتح على نفسه انتفاضة شعبية عفوية فردية، وأظن أنها ممتدة، ولا يمكن للاحتلال أن يحاصرها أو يوقفها"[220].

وفي استطلاع رأي عبر الإنترنت بين الشباب الفلسطيني (16–35 عاماً) أجراه مركز العالم العربي للبحوث والتنمية (أوراد) في الضفة الغربية وقطاع غزة، في 2015/12/10، كشف الاستطلاع أن 97% من المستطلعة آراؤهم يرون أن التهديدات الإسرائيلية لوضع الأماكن المقدسة في مدينة القدس والتوسع الاستيطاني والإغلاق تشكل السبب الرئيسي لاندلاع الانتفاضة الثالثة، فيما قال 86% من الشباب بأن الأحداث الحالية عفوية، و9% فقط يرون بأنها منظمة من قبل أحزاب سياسية. وأعرب 81% عن تأييدهم الهجمات المسلحة ضدّ جنود الاحتلال الإسرائيلي، مقابل 10% يعارضون ذلك. كما أعرب 77% من الشباب عن تأييدهم الهجمات المسلحة ضدّ المستوطنين في الضفة الغربية والقدس، بينما تنخفض نسبة التأييد لمهاجمة الإسرائيليين (المدنيين) داخل الخط الأخضر إلى 49%، فيما أكد 53% بأن الكفاح المسلح هو الطريقة الأفضل لإنهاء الاحتلال، و8% فقط يرون أن المفاوضات هي الطريقة الأفضل[221].

ز. موقف الاحتلال من مشاركة المقدسيين في الانتفاضة الثالثة:

أشارت مختلف المصادر العبرية إلى ما وصفته بشدة المقاومة المقدسية في وجه الانتهاكات والاعتداءات الإسرائيلية. وأشار موقع والا العبري، أن مدينة القدس المحتلة كانت بؤرة ساخنة لنشاطات الانتفاضة، والتي أسفرت عن مقتل عدد من الجنود ورجال الشرطة الإسرائيلية، إلى جانب إصابة العشرات من الجنود والمستوطنين بجراح مختلفة[222].

---

[219] الزهار، فرصة انتفاضة ثالثة متوفرة بصورة أشد من انتفاضة الأقصى، صحيفة **السبيل**، عمّان، 2015/10/4.

[220] رائد صلاح: الانتفاضة قادمة وعلى السلطة الفلسطينية تحديد موقفها، برنامج بلا حدود، الجزيرة.نت، 2014/11/19، انظر: http://bit.ly/2iOow5M

[221] 10 كانون أول 2015: استطلاع رأي عبر الإنترنت بين الشباب الفلسطيني (الفئة العمرية 16–35 سنة)، مركز العالم العربي للبحوث والتنمية (أوْراد)، رام الله، 2016/1/1، انظر:
http://www.awrad.org/ar_page.php?id=wZzpRb9lpta9688788ABQ1ST9YoUL

[222] اشتعال انتفاضة ثالثة في القدس، مقاومة الضفة تستعيد عافيتها، المركز الفلسطيني للإعلام، 2014/12/29.

ونقلت صحيفة يديعوت أحرونوت العبرية في 2015/4/27، اعتراف وزير الأمن الداخلي الصهيوني يتسحاق أهرونوفيتش Yitzhak Aharonovitch، حول صعوبة وقف عمليات المقاومة الفردية التي نفذها الفلسطينيون بحق الاحتلال ومستوطنيه في الفترة 2014–2015، وقال أهرونوفيتش: "إنه ورغم كل التعزيزات والإجراءات الأمنية التي تم اتخاذها في مدينة القدس، إلا أنه يصعب وقف المخرب المنفرد"، حسب وصفه[223].

وكشفت صحيفة هآرتس العبرية الموقف الرسمي للحكومة الإسرائيلية في عددها الصادر يوم 2015/1/1، إذ أشارت الصحيفة إلى إعلان شرطة الاحتلال بخصوص ما أسمته بـ"الخطة الشاملة"، من أجل مواجهة "التصعيد الأمني" في مدينة القدس. وأكد رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو موافقته على خطة الشرطة الإسرائيلية، ثمّ كشف عن نيته مضاعفة الخطوات الأمنية وتشديدها ضدّ المقدسيين، ومنها: إقامة حواجز على مداخل الأحياء الفلسطينية في المدينة المحتلة، ومضاعفة إصدار رخص الأسلحة لليهود المدنيين، وهدم منازل منفذي العمليات الاستشهادية، وطرح قانون "سحب حقّ المواطنة" من منفذي العمليات وعائلاتهم، وطرح مشروع قانون ينص على أن "الرباط في المسجد الأقصى" بمثابة تنظيم محظور[224]. ولم يتأخر وعيد حكومة "إسرائيل" للمقدسيين، حيث شرعت في محاولة سنّ قوانين تقضي بمحاكمة المقدسيين الذين يشاركون بإلقاء الحجارة وحبسهم ما بين 10–20 عاماً، إضافة إلى سحب إقاماتهم المقدسية. وهدد وزير الجيش الإسرائيلي موشيه يعلون بتنفيذ عمليات اعتقال واسعة ضدّ الفلسطينيين، و"قتل كل من يحاول قتل اليهود" بحسب تعبيره[225].

وفي هذا السياق كشف رئيس لجنة الكنيست ياريف ليفين Yariv Levin من حزب الليكود Likud، عن إعداد الحزب قانوناً لا يحتاج لمصادقة الكنيست حسب قوله، ومن ضمن بنوده طرد كل من يقوم بأعمال مقاومة لسيادة "دولة إسرائيل"، ومنع تشييع الشهداء ووضعهم في مقابر الأرقام، وإغلاق أيّ مؤسسات للطباعة والإعلانات تقوم بطباعة صور الشهداء. وحرمان "المحرضين" وملقي الحجارة والألعاب النارية

---

[223] وزير الأمن الصهيوني يعترف بصعوبة وقف العمليات الفردية، المركز الفلسطيني للإعلام، 2015/4/27، انظر: https://palinfo.com/12769

[224] **العاصمة**، 2015/1/5، ص 15.

[225] اشتعال انتفاضة ثالثة في القدس، مقاومة الضفة تستعيد عافيتها، المركز الفلسطيني للإعلام، 2014/12/29.

والحارقات ومن يرفع علم فلسطين من الحقوق الاجتماعية، وكذلك سحب رخصة السياقة لمدة عشرة أعوام من الأسرى المحررين وملاحقتهم[226].

4. الانتفاضات الفلسطينية الثلاث من منظور إسرائيلي:

وإتماماً لفصل الانتفاضات، نذكر هنا تقييماً للانتفاضات الثلاث من وجهة نظر الإسرائيليين من حيث: توقيتها وأسبابها وطبيعة قياداتها والوضع السياسي المحيط لها، وكذلك جمهورها ومسارها. وقد وصفت صحيفة يديعوت أحرونوت في 2016/3/15 الانتفاضات الثلاث في جملة واحدة فقالت: "ثلاث مواجهات دامية خلال ثلاثة عقود، بدأت برشق حجارة وامتدت إلى تنفيذ عمليات استشهادية في حافلات، ووصلت إلى عمليات ينفذها أفراد". واستعرضت الصحيفة وجهات النظرة الإسرائيلية للانتفاضات الفلسطينية الثلاث على النحو التالي:

أ. الانتفاضة الأولى:

- التوقيت: بدأت مع نهاية سنة 1987، وتوقفت مع التوقيع على اتفاق أوسلو سنة 1993.
- محفز الاضطرابات: حادث سير قتل فيه أربعة عمال فلسطينيين من قطاع غزة.
- قيادة الانتفاضة: "القيادة الوطنية الموحدة" وحماس.
- الوضع السياسي: ساد جمود تام السّاحة السياسية.
- تجنيد الحشود: تمّ تجنيد جمهور حاشد لدعم الانتفاضة ضمّ جميع الفئات السكانية الفلسطينية.
- طابع رجال المنظمات: من الطبقات المختلفة في المجتمع الفلسطيني، وجرى تجنيد منظم كما وقعت عمليات قام بها أفراد.
- طابع اندلاع الانتفاضة: رشق حجارة، وإلقاء زجاجات حارقة، ومظاهرات، ومواجهات، مع القوات الإسرائيلية وعمليات خصوصاً في الضفة الغربية.

ب. الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى):

- التوقيت: أيلول/ سبتمبر 2000 وحتى 2005، حيث عقد مؤتمر شرم الشيخ.
- محفز الاضطرابات: اقتحام أريل شارون رئيس المعارضة الإسرائيلية في حينه للمسجد الأقصى المبارك.

[226] القدس: قوانين وسياسات إسرائيلية تعسفية بحق الفلسطينيين، فلسطين أون لاين، 2014/11/27.

- قيادة الانتفاضة: بدأت بها السلطة الفلسطينية وسادت بعد ذلك فوضى، إذ عمل كل تنظيم بالصورة التي رآها مناسبة.
- الأوضاع السياسية: انهارت مباحثات كامب ديفيد Camp David، وأدى ذلك إلى أزمة كبيرة وإلى تأجيج العداء بين شارون والرئيس الفلسطيني ياسر عرفات.
- تجنيد الحشود: كانت المشاركة الشعبية محدودة واتخذت الانتفاضة طابعاً عسكرياً.
- طابع رجال المنظمات: تجنيد رجال منظمات استشهاديين.
- طابع اندلاع الانتفاضة: عمليات عنف قاسية ومعقدة تضمنت استشهاديين، خصوصاً داخل الخط الأخضر، إضافة إلى إطلاق نار في الضفة الغربية[227].

ج. الانتفاضة الثالثة (انتفاضة القدس):

- التوقيت: انطلقت أعمال العنف من "جبل الهيكل"، أي المسجد الأقصى، جراء الاستفزازات اليهودية في رأس السنة العبرية في تشرين الأول/ أكتوبر 2015.
- محفز اندلاع الاضطرابات: أكدت القيادة الفلسطينية وحماس بأن "إسرائيل" تنتهك الوضع القائم في "جبل الهيكل".
- قيادة الانتفاضة: لا يوجد إطار منظم للقيادة، وتشجعها حماس في الوقت الذي تحاول فيه أجهزة الأمن التابعة للسلطة الفلسطينية منع تنفيذ عمليات.
- الأوضاع السياسية: لا توجد أيّ آفاق سياسية، ويَئِسَ الفلسطينيون من مسيرة السلام، وتنعدم الثقة بصورة تامة بين بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي، وبين الرئيس الفلسطيني محمود عباس.
- تجنيد الحشود: يتركز النشاط في صفوف الشبان والطلاب.
- طابع المنفذين: شبان.
- طابع اندلاع الانتفاضة: بدأت بمواجهات في الضفة الغربية خفتت مع الزمن، واندلعت موجة عمليات أفراد تركزت بالدعس والطعن، وامتدت إلى إطلاق نار ودخول مستوطنات، كما ذكرت الصحيفة الإسرائيلية[228].

وفي مقارنة بين الانتفاضات الثلاث (1987، و2000، و2015/2014)، أشار تقرير لصحيفة "إسرائيل اليوم" Israel Hayom الإسرائيلية أنه وكنتيجة للانتفاضات

---

[227] كامل إبراهيم، الانتفاضات الفلسطينية من منظور إسرائيلي، صحيفة **الرأي**، عمّان، 2016/3/16.

[228] **المرجع نفسه**.

الفلسطينية الثلاث، فقد قتل 1,623 إسرائيلياً، منهم 179 قتلوا خلال الانتفاضة الأولى، و1,084 في الانتفاضة الثانية، و33 قتلوا خلال خمسة أشهر بين تشرين الأول/ أكتوبر 2015 وشباط/ فبراير 2016، بالإضافة لمئات المصابين[229].

وقال التقرير إنه "بمقارنة سريعة بين الانتفاضات الثلاثة يمكن الاستنتاج أن الانتفاضة الجارية هي أشد ضراوة من الانتفاضة الأولى التي تربطها بها أوجه شبه عديدة من حيث وسائل التنفيذ وزخم العمليات وكثافتها"[230].

كذلك أشارت دراسة إسرائيلية إلى أن حركة فتح قامت بما نسبته 85% من عمليات المقاومة في مدينة القدس خلال الفترة 1977–1987، وأن حركة حماس نفذت ما نسبته 60% من عمليات المقاومة خلال الفترة 1987–2000، تلتها الجبهة الشعبية بنسبة 20%، ثم حركة فتح بنسبة 15%. وقامت حركة فتح خلال الفترة 2000–2002، بـ 65% من عمليات المقاومة في المدينة، تلتها حركة حماس بـ 30%، ثم حركة الجهاد الإسلامي بـ 12%[231].

خلاصة:

أثبت المقدسيون أنهم بالرغم من شعورهم بالضغط والكبت والوحدة، فإنهم قادرون على حماية هويتهم الوطنية. حيث أكدت الدراسات، أن ابتكار المقدسيين لوسائل المقاومة المختلفة، وآخرها اتساع ظاهرة الدعس للجنود والمستوطنين الإسرائيليين وطعنهم، دليل وعي وحنكة وشجاعة.

أما على المستوى الفلسطيني، فإن الانقسام في الموقف من الانتفاضة كفيل بخفض وتيرتها وتعويقها. كما أن الانتفاضة شكلت ميدان تنافس بين جيل التسوية السلمية مدعوماً بالأجهزة الفلسطينية الرسمية، وبين جيل المقاومة الفردية غير الموجهة من أيّ فصيل أو اتجاه.

---

[229] الانتفاضات الثلاث تخلف 1623 قتيلاً إسرائيلياً، شبكة قدس الإخبارية، 2016/2/28، انظر:
http://www.qudsn.ps/article/86315

[230] المرجع نفسه.

[231] جادي فارن وآخرون، **مرجع سابق**، ص 29.

وعلى المستوى الإسرائيلي، فإن الضغط على الانتفاضة واحتواءها هو الخيار المتبنى في التعامل مع المقاومة، وكذلك التهيؤ لاستئناف المفاوضات مع السلطة الفلسطينية إذا لزم الأمر.

كما أن عجز الأجهزة الأمنية الإسرائيلية عن التنبؤ بالعمليات الفدائية، والفشل في منعها بالسرعة اللازمة، دليل تراجع في الأجهزة الأمنية وتفوّق في طرف المقاومة. كذلك فإن الحكومة الإسرائيلية قد أُجبرت على تأخير تنفيذ مشروعها القاضي بتقسيم المسجد الأقصى زمانياً ومكانياً.

ثالثاً: المقاومة السلمية في الفترة 2007–2014:

على الرغم من اتخاذ انتفاضة الأقصى خلال 2000–2004 الطابع العسكري بعد أشهر من انطلاقها، كردّ على القوة العسكرية المفرطة التي استخدمها الجيش الإسرائيلي في مواجهتها، إلا أن حملة السور الواقي Defensive Shield التي أعلن عنها الجيش الإسرائيلي، وأعاد من خلالها احتلال معظم الضفة الغربية، ما بين 3/29–2002/4/21، تسببت في توقف أعمال المقاومة المسلحة إلى حدّ كبير، ممّا أحيا خيار المقاومة السلمية، والتي بدأت بشكل تظاهرات في قرية بُدرُس غرب مدينة رام الله، ثم انتشرت شيئاً فشيئاً إلى غيرها من القرى[232].

لم يكن طرح خيار المقاومة السلمية مستجداً أو وليد اللحظة، فقد كان مطروحاً طيلة المرحلة الماضية، إلا أن الزخم الذي حظيت به المقاومة المسلحة إبان انتفاضة الأقصى أبقى هذا الخيار في زاوية هامشية، وأضعف فاعلية الدعوة إليه، في ظلّ أشكال العدوان الإسرائيلي المدمّر للمنشآت والأحياء الفلسطينية. ثم بات خيار المقاومة الشعبية الأكثر صدى في السنوات التالية، في الفترة 2007–2014. في ظلّ تعطل المقاومة المسلحة في الضفة الغربية وشرقي القدس، وانتهاج السلطة الفلسطينية سياسة حازمة في منع العمل المسلح.

[232] قسم الأرشيف والمعلومات – مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، **المقاومة الشعبية في فلسطين**، سلسلة تقرير معلومات (26)، ص 16.

1. أسباب المقاومة السلمية في الفترة 2007–2014:

لم تنتفِ أو تتراجع الأسباب العامة وغير المباشرة، التي أدت إلى اندلاع الانتفاضات السابقة. وبقيت هذه الأسباب حاضرة وبقوة بالتوازي مع اشتعال بؤر المقاومة الشعبية، في بعض القرى والأحياء المواجهة للجدار العازل، في ضواحي مدينة القدس والضفة الغربية.

وقد سارع في اندلاع المقاومة السلمية الانتهاك المستمر لحرمة المسجد الأقصى واستهدافه بالتقسيم الزماني والمكاني، وتسارع وتيرة الاستيطان، ودوام حالة التوتر والاعتداءات على المقدسيين. وكذلك المواجهات اليومية بين المقدسيين وسلطات الاحتلال في أحياء باب حطة، وسلوان، ورأس العمود، وشعفاط ومخيم شعفاط، وحاجز قلنديا، والعيسوية[233].

وتبدو مبررات المقاومة السلمية، تحديداً في ضواحي مدينة القدس، وجيهة إلى حدّ ما، في ضوء الاعتبارات التالية:

أ. انسداد آفاق المقاومة المسلحة على المستوى العملي والميداني في الضفة الغربية والقطاع بحكم الانقسام، الأمر الذي يدعو للبحث عن آليات كفاحية بديلة متوافق عليها وطنياً.

ب. ضرورة مسايرة روح وواقع الثورات الشعبية العربية، التي قدمت نماذج عملية في كيفية تغيير الواقع عبر استنهاض البعد الجماهيري، بعيداً عن اللجوء إلى المقاومة المسلحة وأدواتها.

ج. انشغال الشعوب العربية في ترتيب بيتها الداخلي، ما يجعل التعويل على دور عربي شعبي لإسناد القضية الفلسطينية ومواجهة الاحتلال خارج السياق.

د. محاولة قطع الطريق أمام مخططات الاحتلال، الذي يحاول تصدير أزماته ومشكلاته الداخلية إلى الضفة الغربية.

هـ. ضرورة إبقاء روح المقاومة حية ومتقدة في نفوس الفلسطينيين، واستنهاض هممهم التي تراخت بفعل الانقسام ومخلفاته وموروثاته، بما يضمن مشاركة مختلف القطاعات الشعبية في المعركة مع الاحتلال.

---

[233] مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، آفاق المقاومة الشعبية في الضفة الغربية، سلسلة تقدير استراتيجي (73)، تشرين الثاني/ نوفمبر 2014.

و. اقتناص فرصة إحراج الاحتلال دولياً، والعمل على تشويش وإرباك مخططات التهويد والاستيطان.

ز. ضرورة الخروج من مأزق تناقض البرامج والأجندات الفصائلية، عبر التوافق على برنامج عملي لمواجهة الاحتلال يلقى تأييداً وتجاوباً من الجميع، ويضمن قبول ومشاركة الفصائل الفلسطينية دون استثناء[234].

2. موقف الأطراف الفلسطينية من المقاومة السلمية:

اتفقت الفصائل الفلسطينية، وتحديداً فصيلا فتح وحماس على تفعيل المقاومة الشعبية كإحدى أدوات المقاومة في الضفة الغربية، عدا كون هذا النوع من المقاومة خياراً تنتهجه فصائل اليسار الفلسطيني، ما قد يشكل غطاء لمشروعية المقاومة، بالرغم من أن الاتفاق على خيار المقاومة الشعبية كان حلاً وسطاً للإبقاء على معضلة "المقاومة، المفاوضات"، أكثر مما كانت أداة استراتيجية قصدت مختلف الأطراف انتهاجها فعلياً[235].

وبالرغم من تأييد قيادة السلطة الفلسطينية لنهج المقاومة السلمية، إلا أنها لم تبادر إلى تنظيمها ومتابعة تطويرها حتى تحقق أهدافها. ولو فعلت لوجدت تأييداً أكبر لها بين الفلسطينيين، ولتحققت كثير من الأهداف المرحلية. وهناك الكثير من الوسائل السلمية التي يستطيع الفلسطينيون القيام بها برعاية وتأييد السلطة، ومن ذلك تنظيم المظاهرات الألفية، بحيث تتوجه للمستوطنات وبؤر المستوطنين داخل القدس وفي محيطها، ويكون على رأسها قادة الفصائل والسلطة والمنظمة. إضافة إلى حملات المقاطعة لـ"إسرائيل" بكافة أشكالها.

أ. موقف حركة فتح:

اختارت حركة فتح تفعيل المقاومة الشعبية السلمية ضدّ الاحتلال، إثر تعنت الطرف الإسرائيلي في سياسة استمرار الاستيطان وانعدام فرص التسوية، بالتوازي مع الهجمة الشرسة التي يقوم بها المستوطنون ضدّ الفلسطينيين ومساجدهم ومزارعهم، بحماية ورعاية من جنود الاحتلال.

---

[234] المرجع نفسه.

[235] المرجع نفسه.

وفيما انتهج الرئيس السابق ياسر عرفات سلوك الانتفاضة شبه الشاملة والمسلحة في وجه الاحتلال، فقد شجع الرئيس محمود عباس خيار المقاومة السلمية وتفعيل العنصر الشعبي، ومحاولة التعويض عن فشل مسيرة المفاوضات، وكذلك محاولة مخاطبة الأطراف الدولية، بهدف إعادة الاهتمام بالمسار الفلسطيني الإسرائيلي.

ب. موقف حركة حماس:

لم تعارض حركة حماس خيار المقاومة السلمية في أثناء توقيع اتفاق المصالحة الفلسطينية في القاهرة أيار/ مايو 2011، وذلك بهدف إعادة الروح لنشاطات الحركة ومؤسساتها في الضفة الغربية، حيث عانت من إقصاء وتعطيل كبيرين من قبل السلطة الفلسطينية، وبهدف الوصول إلى صياغة أرضية توافقية جديدة بين الفصائل، تحديداً بين فتح وحماس، تقوم على مواجهة المحتل ببرامج مشتركة. إضافة إلى محاولة حركة حماس فكّ الحصار الدولي الذي فرض عليها عقب الانقسام.

ج. موقف الفصائل الفلسطينية:

يغلب على الفصائل الفلسطينية المنضوية تحت مظلة منظمة التحرير، تبني خيار المقاومة السلمية، كونها ملتزمة بتوجهات المنظمة السياسية، ولا تملك عملياً الاستقلال الكافي مالياً وسياسياً للانفراد بقرارات مستقلة. وتتفق حركة الجهاد الإسلامي مع حركة حماس فكرياً، في أن المقاومة المسلحة هي الأساس في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، إضافة إلى كافة أنواع وأشكال المقاومة. إلا أن حركة الجهاد لم تبدِ حماسة لانتهاج المقاومة السلمية، بالصورة التي أقدمت عليها حركة حماس.

3. أساليب وأشكال المقاومة السلمية في الفترة 2007–2014:

أ. مسيرات الاحتجاج الأسبوعية: طبيعتها وميزاتها:

توسعت دائرة المسيرات السلمية في وجه الاحتلال، فصارت تخرج أسبوعياً، وتحديداً أعقاب صلوات الجمعة، وذلك لمقاومة بناء الجدار العازل ووحدات الاستيطان. ثم ما لبثت أن هدأت وتيرة المسيرات فصارت تخرج بشكل موسمي، وذلك في قرى أبو ديس، والعيزرية، والسواحرة، وجبل المكبر، وحزما، والرام، وقلنديا، وبعض قرى شمال غرب القدس، مثل بيت إكسا وبدّو، وذلك على غرار المظاهرات السلمية التي تخرج أسبوعياً في قرى الضفة الغربية في بُدرُس، وبلعين، ونعلين، والمعصرة، وبيت أمّر، وكذلك قرى النبي صالح، وكفر قدوم وغيرها.

وقد بادر أهالي القرى والأحياء المقدسية التي تعاني ظلم الجدار والاستيطان، إلى تشكيل اللجان الشعبية، بهدف توحيد الجهد وتركيز المواجهة مع المحتل، إضافة إلى القيام بالمهمات المتنوعة ذات العلاقة بالاحتجاجات، كمهمة العلاقات والتواصل مع الجهات المختلفة، ومهمة الدفاع القانوني عن المعتقلين، ومهمة متابعة الجرحى والمصابين. وكانت طبيعة المسيرات على الأغلب مسيرات حزبية يدعمها عدد من المتضامنين الأجانب، بينما كانت مسيرات أخرى يغلب عليها الطابع العائلي، بسبب تضرر حيّ أو مجموعة من العائلات والمنازل بشكل خاص[236].

وامتازت هذه المسيرات بسلميتها، فقيّد بعض المشاركين فيها أيديهم بالقيود وأحاطوها بالأسلاك الشائكة. بينما قام آخرون بمحاولة تقطيع الأسياج الشائكة، التي زرعتها قوات الاحتلال في أراضي الفلسطينيين في أثناء بنائها الجدار العازل والوحدات الاستطانية. ورفع المشاركون فيها الأعلام الفلسطينية والأعلام الأممية والدولية، تزامناً مع إغلاق أفواههم باللاصق تعبيراً عن الصمت الذي تلوذ به هذه الدول إزاء ما يحصل للفلسطينيين تحت الاحتلال[237].

وتقوم قوات الاحتلال في العادة ودون تردّد بصد المتجمعين والمشاركين في المسيرات، وتلقي تجاههم قنابل الصوت والغاز المسيل للدموع، ويقوم الفلسطينيون والمتضامنون بإعادة هذه القنابل باتجاه قوات الاحتلال، ويقوم آخرون بقذف جنود الاحتلال بالحجارة.

وفي تطور استثنائي وغير مسبوق، انضمّ المقدسيون في 2011/5/15، وفي الذكرى الـ 63 لاحتلال فلسطين سنة 1948، إلى مسيرات فلسطينية شارك فيها الآلاف، نحو ثلاث جهات حدودية للكيان الإسرائيلي، كانت إحداها باتجاه المعبر الاحتلالي المسمى معبر قلنديا شمال مدينة القدس، حيث رفعوا اللافتات التي تدعو إلى العودة إلى فلسطين وإلى القدس، وهتفوا بالهتافات الوطنية، وطالبوا القيادة الفلسطينية بعدم التنازل عن الثوابت[238].

---

[236] قسم الأرشيف والمعلومات – مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، **المقاومة الشعبية في فلسطين**، سلسلة تقرير معلومات (26).

[237] **المرجع نفسه**.

[238] **المرجع نفسه**.

وقد قامت سلطات الاحتلال بمحاصرة المسيرة ومنعها من الوصول إلى المعبر، وأطلقت على المتظاهرين الرصاص الحيّ والمطاطي وقنابل الغاز، وأصابت المئات من المشاركين بجراح وإغماءات، وهاجمت المشاركين بمجموعات من الجنود "المستعربين" واعتقلت عشرات الفلسطينيين[239].

ب. بناء قرى الاحتجاج:

قرية باب الشمس:

وهي مجموعة من الخيام، نصبها جمهور غفير من الفلسطينيين وأنصارهم من المتضامنين الأجانب، على الحدود الشرقية لمدينة القدس، في الموقع الذي تخطط سلطات الاحتلال للاستيطان فيه تحت مسمى إي واحد E1، بهدف فصل القدس عن الضفة الغربية، وفصل جنوب الضفة عن شمالها، حيث أقدم الفلسطينيون في 2013/1/11، على نصب هذه الخيام وأسموها قرية باب الشمس، وذكروا في بيانهم "نعلن نحن أبناء فلسطين، من كافة أرجائها، عن إقامة قرية باب الشمس بقرار من الشعب الفلسطيني، بلا تصاريح من الاحتلال ولا إذن من أحد، لأنها أرضنا ومن حقنا إعمارها". وقد قاوم المحتجون في الخيمة جنود الاحتلال في 2013/1/14، الذين هدموا القرية ودمروا ممتلكاتها بقرار حكومي وغطاء قضائي[240].

قرية باب الكرامة:

وهي خمسة خيام إضافة إلى مسجد من الطوب، نصبها أهالي قرية بيت إكسا الواقعة شمال غرب القدس، على أراضيهم المصادرة منذ سنة 1967، والمسماة خربة العلاونة، والتي يحظر عليهم الاحتلال الانتفاع بها. وقد رفع المحتجون من الفلسطينيين والمتضامنين معهم الأعلام الفلسطينية وعدداً من اللافتات الوطنية المنددة بالاحتلال وإرهابه. وعن سبب بناء هذه القرية قال المتظاهرون: "بنينا قرية باب الكرامة رداً على مصادرة ما تبقى من أراضي القرية [بيت إكسا]، ورداً على هدم قرية باب الشمس"[241].

---

[239] **المرجع نفسه**، ص 25.

[240] **المرجع نفسه**، ص 26.

[241] **المرجع نفسه**.

قرية أحفاد يونس:

أقام الفلسطينيون والمتضامنون الأجانب في 2013/3/21، عدداً من الخيام على أراضٍ تابعة لبلدة العيزرية، كانت سلطات الاحتلال قد صادرتها سابقاً، وأعلنت عن نيتها إقامة مشروع استيطاني عليها، ورابط المحتجون في هذه الخيام عدة أيام في ظروف جوية قاسية، إلى أن أقدمت قوات الاحتلال على هدم القرية في 2013/3/25، واعتدت على المتظاهرين واعتقلت أربعة منهم[242].

ج. إقامة الأعراس الرمزية:

عرس قرية باب الشمس:

حيث قرّر الفلسطينيون العودة إلى قرية باب الشمس بعد هدمها، كرسالة إصرارٍ وتحدٍّ، فأقاموا عرساً فلسطينياً وهمياً، فكان العريس ناشطاً فلسطينياً، بينما كانت العروس متضامنة أجنبية، ووُصفت إجراءات العرس بأنها "فلسطينية بامتياز"، وتمّ تجهيز سيارة وموكب للعرس، ويسميه بعض الفلسطينيين بـ"الفارْدَة"، ونجح الموكب بالوصول إلى قرية باب الشمس من خلال بلدة الزْعَيّم[243].

عرس قرية أحفاد يونس:

عقد فلسطينيان قرانهما على أرض القرية في اليوم الرابع من تشييدها، تأكيداً على عروبة القرية، ورفضاً لسياسة الاستيطان والتهجير[244].

وتنظر سلطات الاحتلال إلى التظاهرات السلمية المحاذية للجدار العازل، وكذلك إلى ظاهرة بناء القرى على غرار قرية باب الشمس بعين الخطورة، كون أن هذه الأعمال "غير عنيفة"، ولا تجلب أيّ تحفظ دولي ضدّ الفلسطينيين، بحسب الكاتب الإسرائيلي عاموس هارئيل Amos Harel في صحيفة هآرتس[245].

---

[242] **المرجع نفسه**، ص 27.

[243] **المرجع نفسه**، ص 28.

[244] **المرجع نفسه**، ص 29.

[245] **المرجع نفسه**، ص 58.

د. استعمال المفرقعات والألعاب النارية:

كثر استعمال هذه الوسيلة في مقاومة قوات الاحتلال خلال السنوات القليلة الماضية التي سبقت إعداد هذه الدراسة، وبالرغم من أن أضرارها في وسط قوات الاحتلال قليلة، ويمكن للقوات أن تحترز منها، إلا أنها إضافة للحرائق البسيطة التي تسببها، فإنها تؤدي إلى إرباك وتشويش وسط قوات الاحتلال وعرقلة في التقدم، عدى أن استخدام المفرقعات والألعاب النارية تسدّ حاجة كبيرة على المستوى المعنوي لدى شبان المقاومة، وذلك بسبب التشابه ما بين هذه المفرقعات وبين الأسلحة النارية ذات الخطر الكبير.

وفي أعقاب استخدام المقاومة السلمية للمفرقعات والألعاب النارية ضدّ قوات الاحتلال أوائل سنة 2013، أصدرت قيادة الاحتلال قراراً عدَّت فيه الألعاب النارية كحكم الزجاجات الحارقة أو المولوتوف، وأن التعامل معها يكون بإطلاق النار على الجزء الأسفل من جسد الذي يلقيها، كما أفادت بذلك صحيفة معاريف العبرية[246].

هـ. المقاومة الإلكترونية (الهاكرز):

برزت ظاهرة مقاومة الاحتلال من خلال اختراق المواقع الإلكترونية الإسرائيلية الخاصة والعامة، بواسطة ما يسمى بـ"الهاكرز Hackers"، وهم القراصنة الإلكترونيين، وحصل ذلك من خارج فلسطين في 2013/4/7، من قبل فلسطينيين وعرب ذوي جنسيات مختلفة، وكذلك من قبل كتيبة القسام الإلكترونية، ومن قبل مجموعات أخرى لم تحدد جنسياتها[247]، إلا أنه لم يسجل لدى المقدسيين أيّ مقاومة من هذا النوع خلال الفترة السابقة.

و. أشكال متفرقة من المقاومة السلمية:

- يرى البعض من نشطاء المقاومة أن بقاء المقدسيين في أرضهم ومعيشتهم نوعاً من المقاومة، فـ:

  الفلسطينيون يقومون بمقاومة الاحتلال عندما يأخذون أغنامهم إلى المراعي، حيث يقوم المستوطنون في أغلب الأحيان بالاعتداء والتحرش بالفلسطينيين الرعاة، كذلك يقاوم المقدسيون إذا ما عاشوا حياتهم الطبيعية، إذا ما أحيوا

[246] **المرجع نفسه**، ص 57.

[247] **المرجع نفسه**.

أعيادهم فغنوا ورقصوا، أو فرحوا بالأعراس وإنجاب الأطفال، أو عاشوا مناسبات الأحزان والمصائب بصبر وثبات. إن المقدسيين يقاومون بمجرد إصرارهم على انتساب أولادهم للمدارس والنوادي والأعمال التطوعية[248].

- ومن صور المقاومة، في رأي البعض من النشطاء، "التبرع بالأعضاء" لإظهار الصورة الحضارية الإنسانية للفلسطيني المقاوم، حيث اعتاد بعض المقدسيين، وأكثرهم يتعالج في المستشفيات والمراكز الطبية الإسرائيلية بحكم الواقع المفروض على المقدسيين، بالتبرع بأعضاء ذويهم وأفراد عائلاتهم لمن يحتاجها من الناس، بغض النظر عن قوميته وعرقه. وفي العادة تكون هذه المنفعة متبادلة في المستشفيات المذكورة[249].

وكان لإحدى هذه الوقائع تأثير خاص كونه جاء في سياق النضال ضدّ الاحتلال. وذلك عندما أصيب صيدليّ فلسطيني من بلدة شعفاط، ويدعى مازن الجولاني 33 عاماً، بعيار ناري في رأسه أدى إلى استشهاده بينما كان جالساً في أحد المقاهي في شرقي القدس. ووفقاً لوكالة أخبار أسوشيتد برس (Associated Press (AP، يشتبه بأن من قام بإطلاق النار مستوطن إسرائيلي كان يمرّ بالسيارة مسرعاً. وقد أرادت عائلة الشاب الجولاني من منطلق "إيمانها بعملية السلام الذي ينهي الاحتلال"، التبرع بأعضاء ابنها الشهيد من أجل عمليات زرع الأعضاء. وفعلاً تمّ التبرع بخمسة أعضاء بما في ذلك قلبه، لإنقاذ حياة الآخرين بغض النظر عن جنسياتهم. واتضح فيما بعد أن أربعة أعضاء ذهبت إلى إسرائيليين، وعضواً واحداً إلى فلسطيني. وقال والد الشاب الإسرائيلي الذي زرع له قلب الشهيد الجولاني: "إن هذا التصرف النبيل أثر فينا كثيراً، لقد دهشنا جداً عند معرفتنا هوية المتبرع"[250].

4. تحديات المقاومة السلمية في الفترة 2007–2014:

تواجه الفلسطينيين في مدينة القدس وضواحيها تحديات كثيرة، تقف عائقاً في طريق نجاح المقاومة السلمية واستثمارها بشكل إيجابي. وتتلخص هذه التحديات في جملة من الأمور أهمها:

---

[248] مازن قمصية، **مرجع سابق**، ص 313.

[249] **المرجع نفسه**، ص 244.

[250] **المرجع نفسه**.

أ. عدم ثقة الناس والجماهير في جدّية السلطة والفصائل بما يخصّ هذا النوع من المقاومة، ممّا أنتج حالة لا مبالاة على فكر المواطن الفلسطيني وسلوكه.

ب. انخفاض مستوى تفاعل السلطة الفلسطينية النابع من خشيتها من الانتقام الإسرائيلي، في حال انتهجت السلطة أيّ نوع من المقاومة، الأمر الذي يستتبع فرض عقوبات سياسية واقتصادية وميدانية على المؤسسات والشخصيات والمجتمع الفلسطيني.

ج. موقف سلطات الاحتلال من المقاومة السلمية، حيث توظف السلطات الوسائل القانونية والقضائية الإسرائيلية في مواجهة المقاومة السلمية، وغالباً ما تدين المحاكم العسكرية الإسرائيلية عناصر اللجان الشعبية العاملة في ضواحي مدينة القدس، بـ"المشاركة" في مظاهرات تصفها بـ"غير قانونية وغير مرخصة"، إلى جانب تهمتي "التحريض" و"تنظيم التظاهر غير القانوني"، وكذلك "التحريض" والمشاركة في ضرب الحجارة. وتحاكم السلطات عناصر المقاومة في ضواحي القدس أمام محاكم عسكرية وليست مدنية، بدعوى أن الضواحي تتبع لمناطق ج، حسب تصنيف اتفاقية أوسلو وما لحق بها[251].

د. خشية السلطة الفلسطينية من استغلال حركة حماس أجواء العمل السلمي، كغطاء لإعادة بناء أجهزتها وبنيتها التحتية، التي توقفت عقب الانقسام منتصف صيف سنة 2007.

هـ. تخوّف السلطة من خروج المقاومة السلمية عن السيطرة، وتحول مسارها السلمي تدريجياً إلى العمل المسلح.

و. عدم قناعة شريحة مهمة داخل قيادة حركة حماس بالجدوى العملية المترتبة على تبني خيار المقاومة السلمية[252].

ولا تخفي دوائر الاحتلال خشيتها من اعتماد الفلسطينيين لخيار المقاومة السلمية، إذ إن قدرتها على إسباغ الشرعية على قمع المقاومة السلمية أضعف من قدرتها على مواجهة المقاومة المسلحة، وهو ما يعني فقدان الأساس الأخلاقي والإنساني في

[251] قسم الأرشيف والمعلومات – مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، **المقاومة الشعبية في فلسطين**، سلسلة تقرير معلومات (26)، ص 57.

[252] مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، آفاق المقاومة الشعبية في الضفة الغربية، سلسلة تقدير استراتيجي (73)، تشرين الثاني/ نوفمبر 2014.

سياق المواجهة غير المتكافئة، التي يستخدم فيها الاحتلال أدوات القمع ضدّ الصدور الفلسطينية العارية والحجر الفلسطيني المجرد[253].

استبيان آراء مجموعة "النخبة المقدسية":

قام الباحث بتوجيه أسئلة سياسية وعامة، لمجموعة من القادة السياسيين الفلسطينيين في مدينة القدس، مكوّنة من 14 قيادياً، وموزعين على التيارات الثلاثة: حركة فتح، وحركة حماس، واليسار الفلسطيني. حيث هدف الباحث من الاستبيان معرفة التوجه الغالب في آراء مجموعة "النخبة المقدسية"، التي تمثل عادة الموقف الوطني المقدسي من الأحداث والمسائل الطارئة.

وقد كانت نتائج الاستبيان المثبت ضمن ملاحق الكتاب على النحو التالي:

- وصف ستة من "النخبة المقدسية" موقف القيادة الفلسطينية من وجود مرجعية وطنية مقدسية لرعاية شؤون المدينة بالسلبي، بينما رآه أربعة منهم موقفاً متذبذباً.
- رأى ستة من النخبة أن أسلوب المقاومة اللاعنفية لم يأخذ فرصته في مدينة القدس، بينما رأى أربعة منهم أن الأسلوب لا يصلح أساساً.
- رأى ثمانية من النخبة أن مردود انخراط بعض المقدسيين في العمل المسلح في مواجهة الاحتلال مردود إيجابي، بينما رأى ثلاثة منهم أن الإيجابيات تعادلت مع السلبيات.
- رأى سبعة من النخبة أن ظاهرة نصب الخيام بهدف الصمود والاحتجاج، في مواجهة سياسات الاحتلال ظاهرة إيجابية، بينما قدم ثلاثة منهم تحليلات موضوعية متنوعة.
- رأى سبعة من النخبة أن مكاسب المقدسيين نتيجة الانخراط في المقاومة السلمية للاحتلال أكثر من الخسائر، بينما تنوعت باقي الآراء.
- رأى سبعة من النخبة أنه كان بالإمكان صدّ سياسة الأمر الواقع، التي تستخدمها الحكومات الإسرائيلية لترسيخ نظرية اللاعودة إلى ما قبل الاحتلال، بينما رأى ثلاثة منهم أن المقدسيين لم يكونوا واعين لهذه السياسة، وذهب اثنان منهم إلى أنه لم يكن بالإمكان صدها.

وحول دور المؤسسات والهيئات:

- رأى ستة من النخبة أن دور بيت الشرق (الأوريانت هاوس) كان إيجابياً في مقاومة الاحتلال، بينما رأى خمسة منهم بأن الدور كان متوسط الإيجابية.

[253] المرجع نفسه.

- رأى عشرة من النخبة أن دور الاتحادات والنقابات المهنية كان متوسطاً.
- رأى تسعة من النخبة أن دور "نخبة النساء المقدسيات" كان متوسطاً.
- رأى ثمانية من النخبة أن مقاطعة انتخابات بلدية القدس لتحصيل حقوقهم المدنية واجباً وطنياً.
- رأى ستة من النخبة أن دور مؤسسات المجتمع المدني وتحديداً المنظمات غير الحكومية NGOs، في خدمة المقدسيين سلبياً، بينما رأى أربعة منهم أن دورها كان متوسطاً.
- رأى سبعة من النخبة أن دور المنظمات الإسرائيلية المتضامنة مع الفلسطينيين دور شكلي، بينما رأى ثلاثة منهم أن دورها جمع بين الشكلية والسلبية.
- رأى خمسة من النخبة أن جدوى مقاومة المقدسيين للاحتلال الإسرائيلي من خلال الالتماسات القانونية لدى المحاكم الإسرائيلية غير مجدٍ، بينما رأى أربعة منهم أن ذلك كان مجدياً أحياناً.

5. مقاومة المقدسيين العسكرية في الفترة 2007–2014:

شهدت سنة 2004 توقفاً نهائياً للانتفاضة الثانية التي استمرت أربع سنين، ثم تلا ذلك انسحاب إسرائيلي أحادي الجانب من قطاع غزة، وقابل هذا الانسحاب استفراد إسرائيلي غير مسبوق بمدينة القدس. ثم شارك المقدسيون في ضواحي المدينة بالانتخابات المحلية نهاية سنة 2005، كما شاركوا بمجملهم في انتخابات الرئاسة الفلسطينية، وكذلك في انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني أوائل سنة 2006، حيث فازت حركة حماس بتشكيل الحكومة الفلسطينية، ونتج عن ذلك أزمة فلسطينية محلية، أدت إلى انقسام سياسي فلسطيني بين الضفة الغربية وقطاع غزة، وانفردت حركة حماس بالسيطرة على قطاع غزة، فيما سيطرت حركة فتح على الضفة الغربية.

أ. مقاومة المقدسيين في الفترة 2007–2014:

لم تتوقف المقاومة في مدينة القدس عن القيام بأعمال فدائية بالرغم من توقف الانتفاضة الثانية، وبالرغم من تبني القيادة الفلسطينية لنهج المقاومة السلمية، كما أسلفنا، فقد تمكن المقدسيون من الاستمرار ببعض العمليات الفدائية، حيث ما يزالون يخضعون تحت السلطة الإسرائيلية المباشرة.

ويشير الجدول رقم (9) الذي أعده المؤلف والمثبت ضمن ملاحق الكتاب، إلى أعمال المقاومة في الفترة 2005–2014. ومنه نستنتج الحقائق التالية:

- نفذت المقاومة في مدينة القدس في الفترة 2005–2010، 11 عملية عسكرية، أولها في 2005/9/21، وآخرها في 2010/10/11.
- أدت العمليات العسكرية في مدينة القدس إلى مقتل 12 مستوطناً أحدهما ضابط استخبارات، إضافة إلى إصابة 127 إسرائيلياً بجروح.
- نفذت المقاومة خلال هذه الفترة عملية خطف واحدة أدت إلى قتل المخطوف، وخمس عمليات دعس بمركبة عادية، وأربع عمليات دعس بواسطة جرافة، إضافة إلى عملية طعن واحدة رافقها إطلاق نار.
- أشرفت إحدى الخلايا على خطف ضابط استخبارات وقتله.
- أدت هذه العمليات إلى استشهاد ستة من منفذيها. بينما اعتقل ستة آخرون، ولاذ ثلاثة بالفرار.
- أعلنت كتائب عز الدين القسام عن تبنيها لثلاث عمليات عسكرية، بينما أعلنت مجموعة تدعى "مجموعة عماد مغنية" عن تبنيها لإحدى العمليات، فيما بقيت سبع عمليات دون تبني من أيّ جهة. ويعود ارتفاع نسبة العمليات غير المعلن عن الجهة التي تبنتها، إلى الملاحقة الشديدة للعمل العسكري في فترة الحكومة الفلسطينية برئاسة سلام فياض في الفترة 2007–2013، ثم إلى تقصير حركات المقاومة في تجديد المعلومات الخاصة بعمليات المقاومة.

ب. تضحيات المقدسيين في الفترة 2007–2014:

الشهداء:

يشير الجدول رقم (10) الذي أعده الباحث لغرض الدراسة والمثبت ضمن ملاحق الكتاب إلى الحقائق التالية:

عدد الشهداء المقدسيين في الفترة ما بين الانتفاضتين الثانية والثالثة (2005–2014) بلغ 25 شهيداً، وهم موزعون كالتالي:

- 6 شهداء من الأطفال أو القاصرين، أي ما نسبته 21% من مجموع الشهداء.
- 13 شهيداً ممن أعمارهم بين 18–30 عاماً، ونسبتهم 52% من مجموع الشهداء.
- 6 شهداء ممن أعمارهم بين 31–60 عاماً، ونسبتهم 21% من مجموع الشهداء.

وكان معدل ارتقاء الشهداء في العام الواحد بين 2–3 شهداء، سوى سنة 2007، حيث استشهد فيها 8 مقدسيين.

الأسرى:

يشير الجدول رقم (3) والمثبت ضمن ملاحق الكتاب، إلى أصحاب الأحكام العالية من الأسرى المقدسيين ما بعد الانتفاضة الثانية وحتى سنة 2014. ومن هذا الجدول نستنتج أن محاكم الاحتلال أصدرت على 8 مقدسيين من أصل 24 بالسجن المؤبد، وعلى 8 آخرين لمدد تزيد عن 20 عاماً، وعلى 8 آخرين كذلك لمدد تزيد عن 10 أعوام.

ج. خسائر الإسرائيليين في الفترة 2007–2014:

أسفرت عمليات المقاومة الفلسطينية في مدينة القدس في الفترة ما بين 2007–2014 عن خسائر عديدة، أهمها: مقتل 13 إسرائيلياً بينهم ضابط استخبارات. كما أدت هذه العمليات إلى إصابة 125 إسرائيلياً بينهم 9 من عناصر الشرطة الإسرائيلية.

رابعاً: العمليات الاستشهادية:

مارست معظم الفصائل والحركات الفلسطينية الكفاح المسلح منذ الأيام الأولى لاحتلال فلسطين. وشارك المقدسيون في معظم التشكيلات المسلحة منذ ذلك الوقت. وقد هدفت المقاومة الوطنية من انتهاجها الكفاح المسلح الإبقاء على جذوة الصراع متقدة، وتعبئة الأجيال على روح المقاومة، وإعادة ثقة الشعب بنفسه وبإمكانية تحقيقه لمصيره، وإشغال العدو وحرمانه من الاستقرار ومن فرصة التطور كلما أمكن، وتعطيل مشاريع التسوية التي تحاك ضدّ المصالح الوطنية[254].

وقد تعددت أشكال المقاومة الفلسطينية المسلحة خلال القرن العشرين، وكان لها في مدينة القدس أذرع وخلايا، واختلفت تعبيراتها باختلاف المراحل السياسية والظروف الإقليمية والدولية، بدءاً بالمنظمة الجهادية بقيادة الشيخ عز الدين القسام في ثلاثينيات القرن العشرين، وكذلك جيش الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني، ثم مجموعات الإخوان المسلمين بقيادة كامل الشريف، ومن ثم القيادة العامة لقوات العاصفة، وكذلك قوات القسطل، وقوات الكرامة، وكتيبة الجرمق، وقوات الـ 17، تلتها مجموعات

[254] عبد الغني سلامة، جدلية العلاقة بين المقاومة والبرنامج الوطني التحرري، موقع مدونة صدى الصمت، 2008/7/20، انظر: http://abedelghani.blogspot.com/2008/07/blog-post_103.html#more

صقور الفتح، والفهد الأسود، والنسر الأحمر، والمجد في سبعينيات القرن العشرين، وفي سنوات الثمانينيات من القرن العشرين تشكلت سرايا الجهاد الإسلامي وكتائب عز الدين القسام، وكتائب الأقصى، وكتائب أبو علي مصطفى، وألوية الناصر صلاح الدين، وكتائب المقاومة الوطنية وغيرها[255].

1. أسباب استخدام الفلسطينيين للعمليات الاستشهادية:

اقترن مفهوم المقاومة والاستشهاد في مخيلة الشعب الفلسطيني خصوصاً وكل الشعوب المقهورة عامة، بقيم الشجاعة والتضحية والفداء، ضمن إطار مفعم بالروحانيات والعاطفة الملتهبة التي تعلي من قيمة السلاح والتحدي وتقلل من شأن الموت، أو تجعله طريقاً لا بدّ منه للحياة الكريمة، بل وتجعل منه هدفاً بحد ذاته في بعض الأحيان. وطالما أثار هذا المفهوم التباساً في أروقة المثقفين والسياسيين، وجعلهم يختلفون على تعريفه واشتراطاته. إلا أنه ظلّ دوماً مادة للشعراء وملهماً لخيال الشباب، وأنشودة تصدح بها النسوة والأمهات، كلما زُفّ عريس أو شهيد[256].

لذلك فإن من عادة الفلسطينيين إكرام الاستشهاديين واعتبارهم "صديقين". ووصفهم بأجمل المسمّيات والألقاب، كما يوقن الفلسطينيون بإكرام الله لهم، وأنهم في الجنة أحياء. كما أن من عادة الاستشهاديين الاستعداد ليوم الشهادة، فيسجلون موعظة أو وداعاً أو وصية[257].

وقد عللت الفصائل الفلسطينية استخدامها أسلوب العمليات الاستشهادية في الفترة 1994–2004، بالافتقار إلى الخيارات الجدية البديلة وقتئذ، في مقابل آلة الدمار التي يستخدمها الاحتلال. وتدافع الفصائل عن خيار العمليات الاستشهادية في أنه حقق أهدافاً استراتيجية عديدة، منها: حرمان المجتمع الإسرائيلي من الشعور بالأمن، وإيقاع الخسائر الأمنية والاقتصادية والبشرية في صفوف قوات الاحتلال، وانخفاض وتيرة الهجرة إلى كيان الاحتلال وتضاعف الهجرة العكسية منه، وضرب نظرية الردع التي يتغنى بها جيش الاحتلال، في مقابل عودة ثقة المقاومة الفلسطينية بقدراتها، ونقل

---

[255] المرجع نفسه.

[256] المرجع نفسه.

[257] مازن قمصية، **مرجع سابق**، ص 17.

ساحة الحرب إلى عمق دولة الاحتلال، وأخيراً إيصال الصوت الفلسطيني إلى الرأي العام الدولي[258].

2. موقف الشرع الإسلامي من العمليات الاستشهادية:

استخدمت العمليات الاستشهادية في العصر الحديث بشكل بارز مقارنة بالأزمنة القديمة. وبالرغم من أن مواقف العلماء المسلمين، داخل فلسطين وخارجها، قد تباينت إزاء تنفيذ العمليات الاستشهادية، إلا أن الفصائل الفلسطينية تبنت الرأي القائل بجواز هذه العمليات بضوابطها المقرّرة.

وقد أجازت "رابطة علماء فلسطين" في سنة 2001 تنفيذ العمليات الاستشهادية بقصد إيقاع الخسائر في الأرواح والممتلكات الإسرائيلية، وكذلك في صدّ قوات الاحتلال وتدمير مقدراته، وعدَّت الرابطة هذه العمليات "جهاداً في سبيل الله لما فيها من النكاية بالعدو الإسرائيلي من قتل وجرح وإلقاء الرعب في قلوب الصهاينة، وإرهابهم، والإثخان فيهم، وإغاظتهم، وهزّ أركان دولتهم، ودفعهم للتفكير في الرحيل عن فلسطين"[259].

وأفتى الدكتور يوسف القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، فتواه الشهيرة بجواز العمليات الاستشهادية، وعدَّ هذا النوع من المقاومة "أرقى أعمال الفداء والتضحية في سبيل الأرض والعرض والمقدسات"[260]. كما أكد بيان علماء الأزهر والذي وقع عليه 28 من كبار علماء الأزهر في 2002/8/11، مشروعية العمليات الاستشهادية في فلسطين. حيث أشار البيان إلى أن "الجهاد في سبيل تحرير الأرض والمقدسات أمرٌ واجب"، وأن "العمليات الاستشهادية التي يقوم بها الفلسطينيون دفاعاً عن أرضهم ومقدساتهم وأعراضهم هي أعلى مراتب الجهاد وأسمى صور الشهادة". وهي "عمل بطولي يقوم به شخص يضحي بروحه في سبيل الله دفاعاً عن الوطن والأمة، ودفاعاً عن النفس والعرض والشرف والدين والمقدسات"[261].

---

[258] إبراهيم أبو حليوة، **العمليات الاستشهادية خلال انتفاضة الأقصى 2000–2007**، (بيروت: باحث للدراسات، 2007)، ص 21.

[259] العمليات الاستشهادية: فتوى صادرة عن رابطة علماء فلسطين، كانون ثاني، 2000م، شبكة فلسطين للحوار، 2001/9/5.

[260] انظر ملحق الوثائق، وثيقة رقم (1)، فتوى الدكتور يوسف القرضاوي، ص 279.

[261] أحمد صدقي الدجاني، "ظاهرة الاستشهاد في الواقع الفلسطيني المعاصر،" مجلة **شؤون عربية**، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، القاهرة، العدد 107، أيلول/ سبتمبر 2001، ص 122.

وقد أجاب المفتي العام للمملكة العربية السعودية الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ على سؤال فحواه أن "بعض الدول الإسلامية تتعرض لحرب أو احتلال من دول أخرى، فيعمد بعض أفرادها إلى مهاجمة أفراد البلد المعتدي بالطرق الانتحارية فيقتل نفسه ويقتل غيره من الأعداء، ويرون أن هذا لون من ألوان الجهاد في سبيل الله، وأن المنتحر شهيد؟"، فقال مفتي المملكة بأن طريقة قتل النفس بين الأعداء أو ما يسمى بالطرق الانتحارية "لا أعلم لها وجهاً شرعياً، ولا أنها من الجهاد في سبيل الله، وأخشى أن تكون من قتل النفس". وأضاف مفتي السعودية في حوار نشرته صحيفة الشرق الأوسط اللندنية في 2001/4/21، أن "إثخان العدو وقتاله مطلوب، بل ربما يكون متعيناً لكن بالطرق التي لا تخالف الشرع". وقد عقب الدكتور يوسف القرضاوي، على تصريح مفتي السعودية بقوله إن "تفجير المجاهدين المسلمين أنفسهم ضدّ المحتلين تعدّ مقاومة شرعية، ومن أعظم أنواع الجهاد في سبيل الله". وعدَّ القرضاوي هذا النوع من المقاومة "فدائية بطولية استشهادية، وهي أبعد ما تكون عن الانتحار، ومن يقوم بها أبعد ما يكون عن نفسية المنتحر". وأضاف: "...أما الفدائي فيقدم نفسه ضحية من أجل دينه وأمته، ويقاتل أعداء الله بسلاح جديد وضعه القدر في يد المستضعفين ليقاوموا به جبروت الأقوياء المستكبرين"[262].

3. بين الحق في المقاومة و"الإرهاب":

نجح الجهد الكبير الذي بذله الاحتلال الإسرائيلي في زعزعة المعنى السامي للمقاومة في نفوس الفلسطينيين نجاحاً نسبياً، فصارت المقاومة في بعض النفوس "إرهاباً" منبوذاً. ولأن القوي في العادة هو الذي يفرض قواعد الحرب والسلم ويصيغ مفاهيم الصراع، فإنه بالتالي يكون المسؤول عن إضفاء الشرعية على غيره أو نزعها عنه. ولهذا تختلط اليوم مفاهيم المقاومة و"الإرهاب" على نحو ملتبس، على الشعوب وعلى المثقفين على حدّ سواء[263]. وقد أجمل الحاخام دفيد مئير دروكمان David Meir Druckman أحد أبرز المرجعيات الدينية في "إسرائيل"، وجهة النظر الإسرائيلية والحاخامية اليهودية

[262] القرضاوي: العمليات الاستشهادية من أعظم أنواع الجهاد، الجزيرة.نت، 2001/4/21، انظر: http://bit.ly/2i4znbr

[263] عبد الغني سلامة، جدلية العلاقة بين المقاومة والبرنامج الوطني التحرري، مدونة صدى الصمت، 2008/7/20.

عن الإرهاب في مقالٍ له تحت عنوان "أنا إرهابي فخور"، حيث ضمّن مقاله فتوى تعدُّ استخدام العنف ضدّ الفلسطينيين، ليس فقط أمراً تقره الشريعة اليهودية، بل تعدّه واجباً، واصفاً منفذي العمليات الإرهابية ضدّ الفلسطينيين بـ"الصّديقين"[264].

ويُعد الإرهاب بمفهومه العام: "الاستخدام غير المشروع للعنف" ظاهرة قديمة جديدة، لكن سُلطت الأضواء عليها في السنوات الأخيرة، في ظلّ الأزمة الأخلاقية التي يعيشها النظام الدولي، وفي ظل الانتقائية في تطبيق قواعد القانون الدولي والشرعية الدولية وتوظيفها سياسياً. وتؤكد النصوص والأعراف الدولية والإنسانية وأحكام الشريعة الإسلامية، التباين بين المقاومة والجهاد من جهة، والإرهاب من جهة ثانية، وذلك في مختلف الجوانب القانونية والسياسية والاجتماعية، وبالوسائل التي تستخدم في الحالين والأهداف المرجوة[265].

وفي مقابل النظرة اليهودية للإرهاب، أكد "اتحاد العلماء المسلمين" على فتوى "رابطة علماء فلسطين" في اعتبار المقاومة بقصد إرهاب المحتلين أمراً واجباً، إذ أفتى رئيس الاتحاد، الدكتور القرضاوي، بقوله:

> أما الفلسطينيون، فإرهابهم —إن صحّت تسميته بذلك— إرهاب مشروع، مستجيبٌ لقول القرآن: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[266]، فهو إرهاب للدفاع والمقاومة "المشروعين"، لا لاستباحة الحرمات[267].

---

[264] صالح النعامي، فتاوى لا يرصدها الرادار، **العربي الجديد**، 2015/2/28.

[265] وثيقة: مفهوم الإرهاب والمقاومة: رؤية عربية – إسلامية، موقع مركز دراسات الشرق الأوسط، الأردن، تموز/ يوليو 2003، انظر: http://www.mesc.com.jo/Documents/Doc_3.html

[266] **القرآن الكريم**، سورة الأنفال، الآية 60.

[267] يوسف القرضاوي، **القدس قضية كل مسلم**، ص 130.

وثيقة "مفهوم الإرهاب والمقاومة: رؤية عربية – إسلامية"[268]:

عَرّفت وثيقة "مفهوم الإرهاب والمقاومة: رؤية عربية – إسلامية" الإرهاب كما يلي: "هو استخدام غير مشروع للعنف أو تهديد باستخدامه ببواعث غير مشروعة، يهدف أساساً إلى بثّ الرعب بين الناس، ويعرض حياة الأبرياء للخطر، سواء قامت به دولة أم مجموعة أم فرد، وذلك لتحقيق مصالح غير مشروعة، وهو بذلك يختلف كلياً عن حالات اللجوء إلى القوة المسلحة في إطار المقاومة المشروعة"[269].

وأشارت الوثيقة إلى ما اصطلح عليه الفقهاء من أن المعنى الخاص للجهاد هو، "بذل الوسع والطاقة في القتال في سبيل الله بالنفس والمال واللسان، بهدف نصرة الإسلام والمسلمين"، وأكدت الوثيقة على أن القتال إنما يكون لقتال من اعتدى على المسلمين وأخرجهم من ديارهم، أو القتال لأجل ردع المعتدين ودفع عدوان واقع، أو لإخراج المعتدين من أرض المسلمين، أو القتال دفاعاً عن النفس والمال والعرض، حيث يُعد كل ذلك جهاداً في سبيل الله. وبذلك فإن مقاومة المسلمين للاحتلال الأجنبي، ودفع ظلمه وعدوانه عن الأنفس والممتلكات والأعراض يُعدّ جهاداً في سبيل الله[270].

ونبهت الوثيقة إلى تحريم الشريعة الإسلامية العدوان في الجهاد، مثل قتل من لا يجوز قتله من النساء، والأطفال، وكبار السن، ورجال الدين المنقطعين للعبادة، وكذلك قتل سائر المدنيين غير المقاتلين ممن لا يخدمون تحت السلاح لدى المعتدين. كذلك تحريم الشريعة تجاوز الحد المشروع في القتل، أو القتال لأجل الفساد في الأرض، أو

---

[268] جاء عن مركز دراسات الشرق الأوسط في الأردن، في سبب إصدار هذه الوثيقة:
".. رغبة في تشكيل رؤية عربية إسلامية لمفهوم الإرهاب، وتمييزه عن مفهوم المقاومة المشروعة، وإسهاماً من مثقفي الأمة في صياغة مفهوم دولي للإرهاب (...) والتزاماً بالمبادئ الدينية والأخلاقية السامية التي تمثلها قيمنا الحضارية العريقة التي تدعو إلى حماية حقوق الإنسان التي نصت عليها مبادئ القانون الدولي وأسسه. وتأكيداً على حقّ الشعوب في مقاومة الاحتلال الأجنبي والتصدي للعدوان، وتحرير الأرض، وتقرير المصير، ونيل الاستقلال بمختلف الوسائل، بما في ذلك الكفاح المسلح. وتماشياً مع النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية –التي تأسست في تموز/ يوليو 2002– الذي ألزم جميع الدول بالامتناع عن استعمال القوة أو التهديد باستعمالها ضدّ السلامة الإقليمية أو الاستقلال السياسي لأي دولة أو على أي نحو لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة. أعدت هذه الوثيقة للتفريق بين الإرهاب من جهة، وأعمال المقاومة المشروعة والكفاح المسلح من جهة ثانية، ولتحول دون اتخاذ الاتهام بالإرهاب ذريعة لانتهاك حقوق الإنسان، وسيادة الدول، والتدخل في شؤونها الداخلية".

[269] وثيقة: مفهوم الإرهاب والمقاومة: رؤية عربية – إسلامية، مرجع سابق.

[270] المرجع نفسه.

نهب خيرات الشعوب، أو تخريب زروعها وثمارها وأشجارها. وبناءً على ما تقدم، فإن الوثيقة تعرّف المقاومة على أنها: "استخدام مشروع لكل الوسائل بما فيها القوة المسلحة لدرء العدوان، وإزالة الاحتلال والاستعمار، وتحقيق الاستقلال، ورفع الظلم المسنود بالقوة المسلحة، بوصفها أهدافاً سياسية مشروعة، وهو ما يتفق مع القانون الدولي وتؤيده الشريعة الإسلامية". وتستند مشروعية المقاومة، حسب الوثيقة، إلى "مجموعة من المبادئ القانونية الثابتة، كحق المقاومة، استناداً لعدم الولاء والطاعة لسلطة الاحتلال، واستناداً إلى حقّ الشعوب في تقرير مصيرها، والدفاع المشروع عن النفس، والاستناد إلى قرارات الأمم المتحدة، والاتفاقيات الدولية الخاصة بحماية المدنيين أثناء الحروب"[271].

وتخلص الوثيقة إلى التفريق بين المقاومة والإرهاب في الشأن الفلسطيني، فـ:

> المقاومة عمل مشروع لتحقيق مصالح الشعوب التي تتعرض للعدوان والاحتلال، فيما الإرهاب يمثل اعتداء على حقّ هذه الشعوب في الحياة والحرية وتقرير المصير.... ولهذا فإن أعمال المقاومة الفلسطينية ضدّ الاحتلال الإسرائيلي هي مقاومة مشروعة، وهي لا تختلف عن مقاومة ديغول [De Gaulle] وتشرشل [Churchill] للإرهاب النازي في أوروبا، ولا المقاومة الأمريكية للاحتلال الإنجليزي لأراضيها قبل قرون، ولا مقاومة الشعوب الأخرى للاستعمار والاحتلال الأجنبي لتحقيق الاستقلال وتقرير المصير[272].

4. واقع العمليات الاستشهادية في مدينة القدس:

كانت أول محاولة لتنفيذ عملية استشهادية في مدينة القدس قد فشلت، في أعقاب اعتقال قوات الاحتلال لعناصر الخلية التابعة لسرايا الجهاد الإسلامي، والمعنية بتنفيذ العملية في 1987/8/2، حيث كان من المفترض أن تقوم المجاهدة عطاف عليان من مدينة بيت لحم بقيادة سيارة مفخخة وتفجير نفسها أمام مبنى رئاسة الحكومة الإسرائيلية في مدينة القدس[273].

---

[271] المرجع نفسه.

[272] المرجع نفسه.

[273] لا تنسوا الأخت الأسيرة عطاف عليان، شبكة فلسطين للحوار، 2003/1/1، انظر:
https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=6796

وبينما خلت الانتفاضة الأولى (1987–1993) من أي من العمليات الاستشهادية، فقد وقعت أول عملية استشهادية في 1994/12/25، أي عقب توقيع اتفاقية أوسلو بـ 15 شهراً، كما وقعت آخر عملية استشهادية بعد العملية الأولى بعشر سنين، وذلك في 2004/9/22.

يشير الجدولان رقم (1) و(7) المثبتان ضمن ملاحق الكتاب، إلى عمليات المقاومة في الفترة 1994–2004، ويتضمنان أيضاً كافة العمليات الاستشهادية التي وقعت في مدينة القدس في الفترة المذكورة، بعض هذه العمليات نفذها مقاومون مقدسيون، وبعضها نفذها مقاومون من الضفة الغربية أو من قطاع غزة، أو شاركهم فيها مقدسيون. كما يشير الجدول إلى عدد العمليات الاستشهادية إجمالاً وإلى الجهات المنفذة لها، وكذلك أعداد القتلى والجرحى والمصابين في الطرف الإسرائيلي.

يشير الجدولان رقم (1) و(7) إلى أن 47 عملية استشهادية وقعت في المدينة في الفترة 1994–2004، وهي فترة ما بعد توقيع أوسلو وحتى انتهاء الانتفاضة الثانية. حيث نفذ الفلسطينيون في الجولة الأولى (1994–2000) 7 عمليات استشهادية، بينما نفذوا في الجولة الثانية 40 عملية استشهادية، وهي فترة الانتفاضة الثانية (2000–2005).

أ. الجولة الأولى من العمليات الاستشهادية (1994–2000):

يدل الجدول رقم (1) على أن العمليات الاستشهادية السبعة في الجولة الأولى، اقتصر تنفيذها على حركتين معارضتين لخط التسوية السياسية، وهما حركة حماس وحركة الجهاد الإسلامي، حيث نفذت الأولى خمس عمليات استشهادية بمفردها، بينما نفذت الثانية عملية واحدة، واشتركت الحركتان في عملية سابعة. وقد أسفرت هذه الجولة من العمليات الاستشهادية عن مقتل 85 إسرائيلياً من المستوطنين والجنود، إضافة إلى إصابة 534 إسرائيلياً، بينما كانت حصيلة تلك الفترة من القتلى نتيجة استخدام كافة أشكال المقاومة 92 قتيلاً، من المستوطنين والجنود، إضافة إلى 590 مصاباً إسرائيلياً.

ب. الجولة الثانية من العمليات الاستشهادية (2000–2004):

يشير الجدول رقم (7) إلى أن العمليات الاستشهادية في الجولة الثانية والبالغة 40 عملية، اشترك في تنفيذها ثلاث حركات فلسطينية، وهي: فتح، وحماس، والجهاد الإسلامي. وقد أعلنت حركة فتح عن مسؤوليتها عن 16 عملية استشهادية نتج عنها

49 قتيلاً وإصابة 566 آخرين، فيما أعلنت حركة حماس مسؤوليتها عن 15 عملية نتج عنها 167 قتيلاً وإصابة 890 آخرين، أما حركة الجهاد الإسلامي فقد أعلنت مسؤوليتها عن 3 عمليات نتج عنها قتيلان وإصابة 62 آخرين. فيما بقيت 6 عمليات استشهادية دون أن تعلن أيّ جهة مسؤوليتها عنها.

وقد أسفرت مجمل العمليات الاستشهادية في الجولة الثانية عن مقتل 272 إسرائيلياً من المستوطنين والجنود، إضافة إلى إصابة 1,778 إسرائيلياً، بينما كانت حصيلة تلك الفترة من القتلى نتيجة استخدام كافة أشكال المقاومة 308 قتلى، إضافة إلى 1,911 مصاباً إسرائيلياً.

5. مشاركة النساء في العمليات الاستشهادية:

شاركت النساء المقدسيات بالعديد من العمليات الاستشهادية في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي، إضافة إلى مشاركتهن بالعمليات المسلحة إجمالاً. وتحصي الجداول الخاصة بعمليات المقاومة والمثبتة ضمن ملاحق الدراسة خمس عمليات استشهادية نفذتها نساء في مدينة القدس. وشارك في هذه العمليات مقدسيتان، هما: آمنة منى وسناء شحادة، إضافة إلى ثلاث نساء من الضفة الغربية، هن: أحلام التميمي، وآيات الأخرس، وعندليب طقاطقة، عدا محاولتين لم يكتب لهما النجاح، وشاركت بهما كل من عطاف عليان وثورية حمود.

وقد أدت العمليات الاستشهادية الأربع التي شاركت بها نساء، كما تدل الجداول المذكورة إلى مقتل 42 إسرائيلياً وإصابة 289 آخرين. وانتسبت هؤلاء النساء إلى الفصائل الأربعة الرئيسية: فتح، وحماس، والجهاد الإسلامي، والجبهة الشعبية. وبينما اقتصر دور النساء على المساعدة وتوصيل الاستشهاديين، فقد قامت اثنتان منهما بدور الاستشهادي وهما: آيات الأخرس وعندليب طقاطقة. ووقعت هذه العمليات الاستشهادية في الانتفاضة الثانية في سنتي 2001 و2002.

6. أثر العمليات الاستشهادية على الاحتلال:

تسببت الانتفاضات بشكل عام والعمليات الفدائية والاستشهادية بشكل خاص، بخسائر فادحة على مختلف الصعد الإسرائيلية، حيث انخفضت نسبة السياحة انخفاضاً حاداً، وارتفعت تكاليف الإنفاق العسكري، وارتفعت الأصوات في داخل

المجتمع الإسرائيلي مطالبة بالانسحاب من المستوطنات في الضفة الغربية، ومطالبة كذلك بالانسحاب من شرقي مدينة القدس. كما ارتفعت أصوات تطالب بالمقاطعة الدولية للدولة العبرية، وشاع الإحساس بعدم الأمان وسط الجمهور الإسرائيلي، وانخفضت نسبة اليهود القادمين للعيش في "إسرائيل"، في مقابل ارتفاع نسبة اليهود الذين يفكرون بهجرتها[274].

وقد رأت قوات الاحتلال في العمليات الاستشهادية خطراً شديداً على أمنها، فاستخدمت في مواجهتها سياسة القبضة الحديدية، وأخضعت نشطائها لعقوبات قاسية ومؤلمة، ولاحقت معدي العبوات والأحزمة الناسفة فقتلتهم، أو قصفت بيوتهم، أو اعتقلتهم وحكمت عليهم بالسجن لمؤبدات عديدة. وفي مدينة القدس هدمت سلطات الاحتلال أو ملأت بالباطون كافة منازل الاستشهاديين أو الذين قاموا بقتل إسرائيليين، وفي حال كانت شقة المقاوم جزءاً من عمارة، قامت السلطات بهدم وتخريب قواطع الشقة الداخلية وواجهاتها الخارجية.

خلاصة:

لاقت العمليات الاستشهادية استحساناً كبيراً وسط الفلسطينيين، وانعكس ذلك في تكريمهم للاستشهاديين وتكريم ذويهم وعائلاتهم. ويرى قطاع عريض من الفلسطينين أن للعمليات الاستشهادية نتائج إيجابية، تمثلت في أنها أوصلت صوت الفلسطينيين للعديد من المنابر الدولية، وتسببت بالخسائر الفادحة للاحتلال على الكثير من الأصعدة. إضافة إلى ازدياد أعداد الإسرائيليين الداعين إلى الانسحاب من الأراضي المحتلة، وازدياد أعداد الذين يرغبون بالهجرة من "إسرائيل". وكل ذلك انعكس إيجاباً لصالح تعاظم الثقة بالمقاومة وسط الفلسطينيين.

بالمقابل لم تخلُ العمليات الاستشهادية من مظاهر سلبية، نتيجة سقوط ما سُمّي بـ"المدنيين اليهود" وتحديداً من الأطفال، ممّا أفقد الفلسطينيين جزءاً من التعاطف الدولي، وخصوصاً أن العمليات الاستشهادية في الانتفاضة الثانية جاءت متزامنة مع ما سُمّي "الحرب على الإرهاب". ورأى البعض أن هذه العمليات تسببت على الدوام في ارتفاع أسهم اليمين المتطرف في الشارع الإسرائيلي، ممّا أدى ذلك إلى فوز نتنياهو

[274] أحمد صدقي الدجاني، "ظاهرة الاستشهاد في في الواقع الفلسطيني المعاصر،" ص 40.

برئاسة الوزراء في حزيران/ يونيو من سنة 1996، وفوز شارون برئاسة الوزراء في آذار/ مارس من سنة 2001.

كذلك جرت العادة أن توقع اتفاقيات، بين الإسرائيليين والقيادة الفلسطينية، في غمرة الانتفاضات أو في أعقابها، وقد يهدأ الصراع لفترة من الزمن. ولكن سرعان ما يعود الوضع الفلسطيني المتأزم لفرض نفسه من جديد، وذلك من خلال هبات وانتفاضات جديدة، وتعود معها ظاهرة العمليات الفدائية والاستشهادية، ويستقبلها الشارع الفلسطيني بترحاب وتكريم كبيرين.

The Palestinian Resistance Against the Israeli Occupation of Jerusalem 1987–2015

هذا الكتاب

هذا الكتاب في أصله رسالة ماجستير يبحث في مقاومة الشعب الفلسطيني للاحتلال الإسرائيلي في مدينة القدس، خلال الفترة 1987–2015، ويستعرض التسلسل التاريخي للهبات والانتفاضات، والدوافع وراء إصرار الفلسطينيين على مقاومة الاحتلال، والتي كانت السبب الأول في إعاقة التهويد المطلق للمدينة.

ويخلص الكتاب إلى عدد من النتائج، في مقدمتها أن المقاومة في المدينة تُطوّر أداءها تبعاً للمستجدات الأمنية الإسرائيلية، كما أنها تنتقل عبر الأجيال دون توقف.

وينبه الكاتب إلى عدد من التوصيات، أهمها: تشكيل مرجعية مركزية فلسطينية قابلة للاستمرار في العمل الميداني في ظلّ البطش الإسرائيلي، وتوحيد الجهد الوطني في مقاومة الاحتلال، وتطوير المراكز البحثية المتخصصة في الشأن المقدسي، لتوثيق أعمال المقاومة في المدينة، وإشاعة الثقافة العربية الإسلامية في أوساط الفلسطينيين، والتركيز على محورية المسجد الأقصى في الصراع، وعلى وحدوية الانتماء الوطني في الدفاع عن المدينة وسكانها.

ISBN 978-9953-572-66-6

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب: 14-5034 بيروت – لبنان
تلفون: 644 803 1 961+ | تلفاكس: 643 803 1 961+
info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت